القائمة القصيرة لجائزة مان بوكر 2005

رواية

آلي سميث

المُصادفة

@ketab_n
Follow Me
9.5.2017

ترجمة: أسامة منزلجي

آلي سميث

المُصادفة

ترجمة: أسامة منزلجي

Twitter: @ketab_n

المُصادفة

Twitter: @ketab_n

رواية

Author: **Ali Smith**

اسم المؤلف: آلي سميث

Title: **The Accidental**

عنوان الكتاب: المُصادفة

Translator: **Osama Menzlchi**

ترجمة: أسامة منزلجي

cover designed by: **Majed Al-Majedy**

تصميم الغلاف: ماجد الماجدي

P.C.: **Al-Mada**

الناشر: دار المدى

First Edition: **2016**

الطبعة الأولى: 2016

Copyright © **(2005) Ali Smith**

All rights reserved

جميع الحقوق محفوظة:

دار المدى

للإعلام والثقافة والفنون

Al-mada for media, culture and arts

بغداد: حي ابو نواس - محلة 102 - شارع 13 - بناية 141

Iraq/ Baghdad- Abu Nawas-neigh. 102 - 13 Street - Building 141

www.almada-group.com email: info@almada-group.com

+ 964 (0) 770 2799 999
+ 964 (0) 770 8080 800
+ 964 (0) 790 1919 290

بيروت: الحمرا- شارع ليون- بناية منصور- الطابق الأول

info@daralmada.com

+ 961 175 2616
+ 961 175 2617

دمشق: شارع كرجية حداد- متفرع من شارع 29 أيار

al-madahouse@net.sy

ص.ب: 8272

+ 963 11 232 2276
+ 963 11 232 2275
+ 963 11 232 2289

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced or stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means; electronic, mechanical, photocopying, recoding or otherwise, without the prior permission in writing of the publisher.

لايجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو تخزين أي مادة بطريقة الاسترجاع، أو نقله، على أي نحو، أو بأي طريقة سواء كانت الكترونية أو ميكانيكية، أو بالتصوير، أو بالتسجيل أو خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من الناشر مقدّماً.

Twitter: @ketab_n

إهداء المؤلِّفة

إلى فيليبّا ريد، مع أفضل آمالي

وإلى إنوك هوف هانسن، البعيدة جداً والقريبة جداً

وإلى سارا وود، أشدّنا براعة

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

بــين تجربة عيش حياة طبيعيــة في هذه اللحظة علــى الأرضــ والحكايــات الشعبية التــي تُحكى لتُضفي معنــى على تلك الحياة، البَــونْ، الفجوة، هائلة.

جون برغر

التناسُق السطحي ليس حَدَثاً عرضياً بل نتيجة لِما يُسمّيه الماركسيون بتفاؤل الرأسماليّة المتأخّرة.

نيك كوهن

«سرعان ما اختُزِلَ التاريخ برمّته إلى مادة تافهة أمــا بالنسبــة إلى إيمّــا ونسيبيها: - فإنــه حافظ في مخيّلتها على مكانته، وكان هنري وجون لا ينفكّان يســألان في كل يوم عن حكايــة هارييت والغجر، ولا ينفــكّان يُصحّحــان لها بعنــاد إذا ما انحرفتْ قليلاً عن الرواية الأصلية». (من رواية «إيمّا»).

جين أوستن

Twitter: @ketab_n

كثيرةٌ هي الأشياء التي يرى الإنسان
أنه يجب فهمها.
وإذا لم ير ذلك، كيف سيعرف
ما يكمن بين يديّ الزمن القادم؟

سوفوكليس

إنَّ براعتي الفنيّة متقشّفة قليلاً.

تشارلي تشابلن

Twitter: @ketab_n

بدأتْ أمي بصناعتي ذات ليلةٍ من عام ١٩٦٨ على طاولةٍ في مقهى دار السينمـا الوحيدة في البلدة. على مسافة بضع دَرَجات سلّم، خلف المخمل الأحمـر البسيط لستارة الشرفة، كانت مرشدة النظّارة تتثاءب، تؤرجـح المصبـاح المُطفأ، وهي متّكئـة بمرفقها فـوق الحفيف والثرثرة الصادرة عن الصف الخلفي وتعبث بخشب الحاجز الفاصل،ناقرة قِطعاً صغـيرة منه على رؤوس أهل البلدة الصغـيرة في الظلام. وعلى الشاشة فوقهم كان يُعرَض فيلم «المسكينة»[1]، من بطولة تيرينس ستامب، وهو ممثـل ذو موهبة هائلة حتـى إنّ أمي، الشابة، الأنيقـة، النحيلة والمهيبة، كانـت تشاهد الفيلم للمـرة الثالثة في ذلك الأسبـوع، نهضت واقفة، تاركـة المقعد يُصدِرُ صوتاً مكتوماً خلفهـا، وشقّت طريقها وهي تدفع سيقـان الناس الجالسين في صفّهـا وانطلقت على الممـر بين صفوف المقاعد نحو باب الخروج، بين شقيّ الستارة وإلى ضوء النهار.

كان المقهـى خاليـاً إلاّ من فتى يضع الكراسي علـى الطاولات.قال لها، إننـا نُقفِل. تابعتْ أمي طريقها، ولا تـزال عيناها تطرفان من تأثير

---

١ - «المسكينـة»: فيلم إنكليزي من إنتاج عام ١٩٦٧، وهـو شديد الكآبة، يتحدث عـن تلك الفتاة التي تهرب مع لصٍ شـابّ يُسيء معاملتها وتنجب منه ولداً، لكنه سرعـان ما يُـودَع السجن وتبقى وحيدة بـلا مُعيل، ثم تعمـل في حانة ثم تصبح عاهرة، وأخيراً تفقد ابنها وتبقى وحيدة... - المترجم.

Twitter: @ketab_n

الظلام، هابطةً الدَرَج الأحمر البالي. أخذتْ الكرسي الذي كان يحمله ووضعتــه، ولا يزال مقلوباً، علــى الأرض. ثم خلعتْ حذاءها. وحلّت أزرار معطفها.

خلــف درج النقود كانت البرتقالات نصف المغمورة في آلة العصير تــدور وتدور علــى نتوءاتها؛ والثفــل في قاع الحوض يرتفــع ويستقر، يرتفــع ويستقر. بــرزت قوائم الكراسي الموضوعــة على الطاولات في الهواء؛ كانت بقايا فُتات الكعك تنتظر في الأسفل بسلبيّة على السجادة مجيء خرطوم المكنسة الكهربائية. تهبطْ والدتي الدَرَج الرئيسي الفخم المؤدي خارجــاً إلى الشارع، إلى حيث ستذهــب في غضون بضع دقائق بعــد أنْ تلــمَّ جواربها النايلون على شكل كــرة دافئة وتضعها في جيب معطفها، وتؤرجح حذاءها بيدها من خلفيته المُخطّطة، وجولي أندروز وكريستوفر بلَمَر يُرســلان ابتسامتهما من خلف إطارهما بالضبط كما سيظلان يفعلان، وقد أضحيــا شاحبَين وفاتنَين، وعتيقيّ الطِراز بمقدار عقــدٍ من الزمان[٢]، في وجه وهج الضوء الــذي أظلمَ مطلعَ الدَرَجِ بعد ذلــك بخمسة أعوام عندما سيُتلِف مُشغــل الفيلم الشاب (الذي خُدِعَ وطُــرِدَ مــن عمل يعتقد أنه خُلِقَ له؛ وكان المدير قــد عيَّنَ مُشغِّلاً جديداً مــن المدينة بعد أنْ توفى المُشغِّل العجوز) المبنــى بعلبة من الوقود ورمي طرف سيجارته.

مقاعــد الشرفة الغالية، حيــث يُمنَع التدخين؟ تلاشــتْ مع الدخان. الكبائــن بمقاعدها العميقــة التي تفوح برائحة الجلد؟ زالــتْ إلى الأبد.

---

٢ – هنــا وصــف لإعــلان فيلــم «صــوت الموسيقــى» الاستعراضــي والغنائــي الشهير. – المترجم.

Twitter: @ketab_n

والستائـر المخملية، والشمعدان الزجاجـي؟ تحوّلتْ إلى رماد في مهب الريـح، إلى رذاذ من نُتفٍ من الضوء المُهشَّم على سطح التاريخ المحلي. صحـف اليوم التالي كانـت قاسية، قالت إنه حـادث عارِض. وطالب صاحـب دار السينما بقيمـة التأمين، ثم باع الموقِـع المُدمَّر لمخزن البيع بالجملـة (احملْ وامشِـ) وسُمّـيَ، دون استخدام الخيـال، محل ماكي احمِلْ وامشِ.

ولكـن في مثل مسـاء ذلك اليوم من عـام ١٩٦٨ كانت الأصوات لا تـزال تهـدر مُعبِّرة عن الحب الحديث خلف الجـدران في المقهى شبه المُغلَـق. كانت الموسيقى تنبعث مـن اللا مكان. وقُبيل الجزء الذي تصل فيه القـذارة إلى تيرينس ستامب وتضعه حيـث ينتمي كانت قد ربطت حذاءهـا عند العقبَين من خلف ظهره وكان والدي قد تسلّل، مُندهشاً، وزمجـر في وجهها، مُقدِّماً لها حرفياً ملايـين الاحتمالات، انتقت منها واحداً فقط.

مرحباً.

أنـا الحمراء[٣]، سُمّيتُ على اسم مـكانٍ في تصوّري. صدّقني. هذا شأنُ كلّ شيء.

من أمي ورثتُ: الجمال المُعرَّض للضغط؛ وفوائد الغموض؛ وكيف أحصل على ما أريد. ومن والدي ورثتُ: الاختفاء، التلاشي.

٣- الحمراء: المقصود به قصر الحمراء في الأندلس.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

بدايةُ

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الأشيـاءِ – متى؟ أستريد سمارت تُريد أنْ تعرف. (أستريد سمارت. أستريد بيرينسكي. استريد سمارت. أستريد بيرينسكي) الخامسة وأربع دقائق صباحاً حسب توقيت إذاعة ساعة الحائط دون المعياريّة[٤]. إذ لماذا دائمـاً يقول الناس إنَّ النهار يبـدأ الآن؟ في الحقيقة إنه يبدأ في منتصف الليـل بُعيد الثانية عشرة بجزءٍ صغير من الثانية. ولكن ليس من المُفتَرَض أنْ يبـدأ إلا مع بزوغ الفجر، في الحقيقـة لا زال الظلام ينتمي إلى الليلة الفائتة ولا يأتي الصباح إلا مع ظهور الضوء، وإنْ كان الصباح في الواقع يحـلّ بُعيدَ الساعة الثانيـة عشرة بمقدار حتى جزء صغير مـن الثانية أي تلـك التجربة التي تُميِّز الأشياء بوضوحٍ تـامّ كالمسافة بين الأرض وكُرةٍ ارتـدَّتْ عنها بحيث يمكن البرهنة، كمـا يقول ماغنوس، على أنَّ الكرة في الحقيقة لم تلمس الأرض أبداً. وهذا هُراء لأنها طبعاً تلمس الأرض، وإلاّ كيف ارتدَّت، وإلاّ لما كان هناك ما *ترتدّ* عنه، ولكن في الواقع يمكن البرهان على أنها لا ترتدّ علمياً.

أستريـد تُسجّل أوقات الفجر. لا شيء آخـر يمكن عمله هنا. القرية كئيبـة. مكتب بريد، مطعم هندي مُخرَّب، محـل لبيع المقالي، محل صغير

٤ – سـوف تستخدم الكاتبة في الصفحات التالية هذه العبارة ساخرة للإشارة إلى كل ما يُعتبر خطأً وغير اعتياديّ وخارجاً عن النمط التقليدي. – المترجم.

Twitter: @ketab_n

لا يفتــح أبوابــه أبداً، مكان لعبور البط للطريــق. في الحقيقة للبط إشارة مرور خاصة به! هناك مخزن لبيع الأرائك اسمه **الأريكة مُريحة جداً**. إنه موحش. وهناك كنيسة. للكنيسة أيضاً إشارة مرور خاصة بها. لا شيء يحدث هنا إلا الكنيسة وبعض البط، وهذا المنزل قذارة صِرف. إنه دون المعيار. لن يحدث شيء هنا طوال فصل الصيف دون المعياري.

لديهــا الآن تسعة أوقات فجر واحداً تلو الآخر على شريط التسجيل في آلــة التصويــر الرقمية. الخميس ١٠ تمــوز ٢٠٠٣، الجمعة ١١ تموز ٢٠٠٣، السبــت ١٢، الأحد ١٣، الاثنــين ١٤، الثلاثاء ١٥، الأربعاء ١٦، الخميس ١٧ واليوم الجمعة ١٨. ولكن من الصعب معرفة اللحظة الدقيقــة التي يكون فيها فجــر. كل ما يوجد عندما تنظر إليه على شاشة آلــة التصوير هو مشهد الخلاء يزدادُ وضوحــاً. فهل هذا يعني أنَّ البداية شيءٌ له صِلة بالقُدرة علــى الرؤية؟ وأنَّ النهار يبدأ حالما تستيقظ وتفتح عينيك؟ وهكذا عندمــا يستيقظ ماغنوس أخيراً بعد الظهيرة ويتمكنون من سماعه يتنقَّل في أرجاء الغرفة التي يملكها في هذا المنزل القذر الدون معيــاري، فهل هذا يعني أنَّ النهار لا زال في بدايته؟ هل البداية تختلف بالنسبــة إلى كل شخص؟ أم أنَّ البدايات تمتدُّ وتمتــدُّ قُدُماً طوال النهار؟ أم لعلّها تمتد وتمتــد باطّراد نحو الخلف. لأنكَ كلما فتحتَ عينيك كان هناك وقتٌ مختلف قبل ذلك ثــم وقت مختلف قبله عندما أغمضتهما ثم وقت مختلف قبله عندما فتحتهما، وهكذا تتراجع إلى الخلف، خلال كل أوقــات النوم واليقظة والأشيــاء العادية بطرفة عين، حتى تصل إلى أول مرة قاطبة فتحتَ فيها عينيك، التي لعلها ربما لحظة مولدك.

خلعت أستريد حذاء الرياضة ورمته على الأرض. انزلقتْ عائدة إلى السريــر الفظيع. أم أنَّ البداية تعود إلى الوراء أكثر من ذلك، عندما كنتَ

Twitter: @ketab_n

في الرحِـم أو كائناً ما كان اسمه. لعلّ البدايـة الحقيقية هي عندما تباشر بالتشـكّل لتُصبح شخصاً وتكوّن للمرة الأولى المادة اللزجة التي تتألّف منهـا عيناك وتُشكّل في الواقع المادة الصلبة الداخلية التي تصبح رأسك أو جمجمتك.

تحسَّسـتْ بأصابعهـا منحنـى عِظام أعلـى عينها اليُسـرى. العينان متطابقتـان مع الحيِّـز الذي تستقرّان فيـه، كأنَّ كلاً منهما خُلِقَ للآخر، الحيِّـز والعـين. وكالمسرحية التـي شاهدتها التي تضـمّ الرجل صاحب العينَـين المُقتلعتين ، والأشخاص الذين على خشبة المسرح أداروا وجهه بحيـث لا يراه المشاهدون، ثـم اقتلعوا عينيه ثـم أداروا الكرسي حول محوره وكان يضـعُ يديه على وجهه فأبعدهمـا، وكانت يداه مُلطّختين بمـادة حمراء، وكانت تلـوُّث مِحجريّ عينيه. كان ذلـك جنوناً. كانت هُلامـاً أو ما شابه. وابنتاه هما اللتان فعلتا به هذا أو ابناه. كانت إحدى مسرحيـات مايـكل المأساوية. لكنها مع ذلك كانـت جيدة جداً. نعم، بالضبـط، لأنه في المسرح ترتفع الستارة وتعلم أنها البداية لأنَّ الستارة، بكل وضوح، ارتفعـت. ولكنَّ مع خفوت الأنـوار، يكتنف الصمت المشاهدين، وبعد أنْ ترتفع الستارة، يأتي الهواء، إذا كنتَ جالساً بالقُرب مـن خشبة المسرح، تستطيع في الواقـع أنْ تشمّ رائحة هواء آخر مختلف يحتـوي ذرّات من الغبار وأشياء أخـرى تتحرّك فيه. كما حدث عندما دفعها مايكل وأمها إلى الذهاب لمشاهدة المسرحية المأساوية الأخرى التي كانـت جنوناً صِرفاً وتدور حول المـرأة التي تفقد عقلها وتقتل ولدَيها، ولكـن قبل أنْ تفعل تُرسِـل الولدَين، الصغيرَين جـداً، بعيداً عن خشبة المسـرح، وهما في الواقع يهبطان إلى مـكان المشاهدين ويمشيان بينهم، وتكـون أمهما قد أعطتهما ملابس مسمومة لكي يُعطيانها للأميرة التي

Twitter: @ketab_n

سيتزوجهـا والدهمـا بدلاً عنها فيذهبـان إلى منـزلٍ أو إلى قصرٍ يقع في مـكانٍ ما خلف المشاهدين، فهذا لا يحـدث على الخشبة، ولا يحدث في أي مـكان إلا في القصـة، أي في رأسك ولكن مـع ذلك تعلم أنه لا يحدث، تعلم أنها مجرد مسرحية، مع ذلك، في مكانٍ ما خلفك لا تزال الأميرة ترتـدي الملابس المسمومة وتموت بطريقة فظيعة. تذوب عيناها داخـل محجريهما وتندفـع خارجة باندفاع كما لـو أنَّ إرهابيين يرمون الجراثيم في النفق. وتذوب رئتاها وتتثاءب أستريد. إنها جائعة.

في الواقع، تكاد تموت جوعاً.

لن يُقدَّم أي شـيء يُشبه الإفطار قبل مرور ساعات عديدة حتى وإنْ أرادتْ أنْ تأكل أيّ شيءٍ في هذه القذارة غير الصحيّة.

كان في وسعهـا أنْ تعود إلى النوم. ولكنَّ الوضع النموذجي والذي يدعـو إلى السخرية هو أنهـا يقظة تمام اليقظة. والضـوء انتشر على كل شيء في الخارج الآن؛ تستطيع أنْ ترى على مسافة أميال. ولكنْ لا شيء يستحق المشاهدة هنا؛ لا شيء غير الأشجار والحقول وما شابه.

إنهـا الخامسة وست عشرة دقيقة حسـب توقيت ساعة المذياع دون المعياريّة.

إنها يقظة حقاً.

كان في استطاعتهـا أنْ تنهض وتذهب لتصـوّر التخريب. سوف تفعل ذلك اليوم دون أدنى شك. سوف تذهب إلى المطعم لاحقاً وتسأل الهندي إنْ كان لا بأس في أنْ تفعل ذلك. أو ربما ستقوم ببساطة بتصويره

Twitter: @ketab_n

دون عِلمِهِ تحسّباً لرفضِهِ. فإذا ذهبت الآن إلى هناك لن تجد أحداً وتستطيع أنْ تؤدي عملها. وإذا تصادفَ أنْ كان أحدهم يقِظاً ويتجول في المكان في مثـل ذلك الوقت من الصباح (لـن يوجد أحد، لا أحد استيقظ على مسافة أميال غيرها، ولكن إذا كان هناك أحد، فليكُن) فسوف يقول في نفســه أوه، انظر، هناك فتاة في الثانية عشرة تلعب بآلة تصوير سينمائية. في الغالب سوف يُلاحظ جودة نوع آلة التصوير، هذا إذا كان يعرف أي شــيءٍ عن آلات التصوير. سوف تقول له إذا سألها إنها زائرة في العطلة الصيفية (وهذا صحيح) وتصوِّر المشهد الطبيعي (وهذا صحيح) أو أنه من أجل مشروع للمدرسة (يمكن أنْ يكون صحيحاً) عن مختلف الأبنية واستخداماتهـا (هذا جيد جـداً). وعندئذٍ قد يظهـر دليل حيويّ على شريط التسجيل الصغير عندما تعود إلى المنزل وقد يتذكَّر أحد المسؤولين عنـد نقطة معيَّنة أثناء إجراء التحقيق في عملية التخريب ويقول أوه هذه الفتاة ذات الاثنـا عشر ربيعاً كانت حاضرة هناك مع آلة تصوير، ولعلّها سجّلتْ شيئاً يُعدُّ حاسماً في تحقيقاتنا، وسوف يعودون ويقرعون بابها، ولكـن ماذا لـو أنهم لم يمكثوا هنا خـلال فصل الصيف، مـاذا لو أنهم ذهبـوا إلى ديارهم، فبعض التحقيقات تستغرق وقتاً طويلاً جداً، حسن إذن سـوف تقتفي السلطات أثرها في وطنهـا بحواسيبهم بالبحث عن اسم مايـكل أو بسؤال الناس عن صاحب هذا المنـزل دونَ المعياريّ، وبسببهـا سوف تستقيم الأمور أخيراً ويُحلُّ لغـزٌ مثل مَنْ المسؤول عن عملية التخريب في كري بالاس.

هــذا مكانٌ جوهريّ. هذا ما تُكرِّر أمهـا قوله، تقوله كل ليلة. يبدو أنــه لا يوجد الكثير من الناس الآخرين هنا خلال العطلـة بغضّ النظر عـن مدى كونه جوهرياً، ربمـا لأنَّ فترة العُطل لم تبدأ حقاً بعد، رسمياً.

Twitter: @ketab_n

الناس في القريـة يُحدّقون كثيراً حتى عندما لا تفعـل أستريد أيّ شيء، فقط تتجوّل. حتى عندما لا تستعمل آلة التصوير. لكنَّ الطقس جميل. إنهـا محظوظة لأنهـا ليست في المدرسة. كانـت الشمس قد ظهرت في كل اللقطات التي سجّلتها لأوقات الفجر. هذا هو معنى الصيف الجيد. في الماضـي، قبل أنْ تولد، كانت فصـول الصيف أفضل، كانت فصول صيـف جميلـة بلا انقطـاع من شهر أيـار وحتى شهر تشريـن أول في الماضي طبعاً. الماضي قرنٌ مختلف.لعلّها هي نفسها سيطول عمرها حتى ما بعد بداية القرن الجديد من بين كل مَنْ يقطنون هذا المنزل الآن، أمّها، وماغنوسـ، وهي، ومايـكل. إنهم جميعاً أشدّ انتمـاءً إلى القرن القديم منهـا. ولكن مـع ذلك فإنَّ حياتهـا كلها، بمُجملهـا، عاشتها في القرن القـديم. ولكن مع ذلك هذا هو حـال حياتهم جميعاً أيضـاً، وبالنسبة المئويـة عاشت حتى الآن ٢٥٪ مـن حياتها في القرن الجديد (إذا بدأتَ مع عام ٢٠٠١ وسمحتَ بمرور الستة أشهر التالية). هي نفسها جديدة بنسبة ٢٥٪، و٧٥٪ قديمة. وماغنوس عاش ثلاثة أعوام من عمره البالغ سبعـة عشر عاماً هذه هي النتيجة. ووجـدت أستريد الحل. إنَّ ماغنوس جديد بحدود ١٧٪، وقديم بنسبة ٨٣٪. هي جديدة أكثر من ماغنوس بنسبـة ٨٪. وأمها ومايكل متقدّمان كثيراً بنسبة مئوية أصغر بكثير جداً في القـرن الجديد، وبنسبة مئوية أكبر بكثير جداً في القرن القديم سوف تحل الأمر لاحقاً. لا تستطيع أنْ تزعج نفسها الآن.

تقلَّبـتْ على السريـر دون المعياري. السريـر دون المعيـاريّ يُصدِرُ صريـراً عالياً. بعد الصرير تسمع الصمت يرين على باقي المنزل. الجميع نيـام. لا أحـد يعلم أنها يقِظة. لا أحد أشدّ حِكمـة منها. الأشد حِكمة يبـدو كشخصٍ من التاريخ القديم. أستريـد في عام ١٠٠٣ ق.ش (قبل

Twitter: @ketab_n

الشهرة) تذهبُ إلى الغابة حيث يُقيم «ليس حكيماً»، الذي ينتمي في الواقع إلى طبقة النبلاء وهو ملك لكنّه اختارَ بصورة غير متوقّعة أنْ يكون «نكرة» ويعيش حياةً بسيطة، في كوخ، كلا، بل كهف، ويُجيب عن الأسئلة التي يطرحها عليه أناسُ الصالحِ العام الذين يأتون إليه من مسافات شاسعة (غالباً هو رجل لأنه لو كان امرأة لالتحقتْ بدير أو احترقَتْ). وكان على الأشخاص الذين يرغبون في معرفة الأجوبة على أسئلتهم أنْ يقرعوا باب الكهف، أعني، الصخرة الخارجية، وتلتقط حجراً وتضربه بحجرٍ آخر، وهذا يجعل «ليس حكيماً» يعلم أنَّ ثمة شخصاً ينتظر. تهتف أستريد في وجه ظُلمة الكهف، «لقد جلبتُ إليك قُرباناً، قرباناً من الكعك الهلالي. لعلّكَ لا تستطيع أنْ تحصل على كعك هلالي جيد في الغابة، كما لا تستطيع أنْ تحصل عليه هنا في الخارج».
كان مايكل وأمّها يشتكيان من عدم توفُّر الكعك الهلاليّ منذ أنْ قدِما إلى هذه القرية غير المعيارية وهذا أمر نموذجي ويدعو إلى السخرية بما أنهما قدِما إلى هنا بإرادتهما ودفعتها وماغنوس إلى المجيء وجعلتْها أشد غرابة في أطوارها وخِلافاً لِما يُفتَرَض بكل شخص أنْ يكون مما هي عليه الآن، ولكن قد يشاء الحظ أنه مع حلول وقت افتتاح المدارس أبوابها من جديد في شهر أيلول ستكون لورنا روز وزيلدا هاو ورييبكا كالو قد نسين أنها قد أُخرِجتْ من المدرسة قبل الموعد بشَهرين.

أخرجتهن أستريد من تفكيرها. إنها واقفة أمام باب كهف. تحملُ كعكاً هلالياً. «ليس حكيماً» يبتهج. يومئ لأستريد كي تدخل.

يُشرِقُ وجهه لها خلال ظلمة الكهف؛ إنه عجوز وحكيم؛ وفي عينيه نظرة أبويّة. تباشر أستريد بالقول: «أجِب عن سؤالي أوه أيها الحكيم والكاهن».

Twitter: @ketab_n

ولكــن هذا كل ما تتمكن من قوله لأنه ليس لديها أي سؤال. إنها لا تعـرف عمَّ تسأله، أو تطلب منه. لا يخطر في بالها أي سؤال، لا يوجد داخلهـا أي شــيء يمكن لها أنْ تصيغه بالكلام حتــى لنفسها، فما بالك بالجهر به لشخص غريب كليّاً، ومن صُنعها هي.

(أستريد سمارت. أستريد بيرينسكي)

تعتــدل في جِلستهـا. تلتقط آلــة تصويرهــا، وتقلبها بيدهــا. تُغلِقُ شاشتهــا، وتُخرِجُ شريــط البدايات وتودِعه علبة صغــيرة وتضعها على الطاولــة. تُقحِمُ بدلاً عنه الشريط الجديد الخالي مــن البدايات داخل آلة التصويــر. تستلقي على ظهرها من ثم تنقلب على بطنها. مع نهاية فترة مكوثهــم هنا سوف يتجمَّع عندها واحد وستــون بداية، حسب وقت رحيلهم إلى الوطن سواء في يوم الجمعة، أم السبت أم الأحد.

واحد وستون ناقص تسعة، هذا يعني أنه بقيَ هناك اثنان وخمسون. تتنهَّد أستريد. يبدو تنهيدها عميقاً أكثر مما ينبغي. لا يُسمع ضجيج حركة المرور هنا. ربما سبب بقائها شديدة اليقَظة يعود إلى غياب الضجيج. إنها في ذروة اليقظــة. وفي غضــون دقيقة سوف تذهــب لتصوُّر التخريب. تُغمِضُ عينيها. إنها داخل ثمرة بُندق؛ القشرة تنطبق عليها بصورة تامة، وكأنهــا وُلِدَتْ داخلهــا. رأسها استخدمها كقلنســوة. إنها تنطبق على منحنى رُكبتيها. إنها تتطابق بصورة مِثاليّة. إنها غرفة كاملة. وآمنة تماماً. لا احــد غيرها يستطيع أنْ يلجها. ثم ينتابها القلــق حول تنفُّسها، بما أنَّ ثمرة البندق مُغلَقَة بالكامل. وتبدأ بالقلق بشأن تنفُّسها الآن. هناك حتماً كمية محدودة من الهواء، أو لم يتبقَّ منه شيء، داخل ثمرة البندق. ثم تبدأ بالقلق حول لورنا روز وزيلدا هاو وريبيكا، إذا ما حدث واكتشفنَ أنها

Twitter: @ketab_n

تتخيَّل أنها داخل ثمرة بندق، فسوف يعتقدنَ أنها مُضحكة أكثر من ذي قبل وثمة خللاً في عقلها. لورنا روز وزيلدا هاو تلعبان كرة المضرب في ملعب عامّ في المتنزّه. تمرّ أستريد مع ريبيكا. ريبيكا وأستريد لا تزالان صديقتين. لورنا روز تقترب من السياج وتقول لأستريد وريبيكا إنَّ عليهما أنْ تدخلا وتلعبا على الملعب المُجاور للملعب الذي تلعبان عليه هي وزيلدا هاو، وبعد ذلك تلعب الفائزتان مع بعضهما ليرين مَنْ من الأربع هي الأفضل. تنظر أستريد إلى الملعب الذي من المُفترض بها وبريبيكا أنْ تلعبا عليه. إنَّ أرضه مُغطّاة بقطع الزجاج المكسور. وتوشك أنْ ترفض العَرض لكنَّ ريبيكا تقول نعم. تقول أستريد، «ولكن انظري إلى الزجاج»، لأنَّ الأمر جنونيّ. تقول زيلدا هاو: «جبانة. كنا نعلم أنكِ لن تقبلي. لقد وضعوا الزجاج المكسور عن عمد كاختبار». وتُخبر أستريد ريبيكا «إذا أردتِ أنْ تلعبي على زجاج مكسور فأنتِ حمقاء». تدخل ريبيكا الملعب وتسيرعلى الزجاج المكسور وتسحقه. ثم يأتي رجل. إنه والد إحداهنّ. سوف تُخبره عن الزجاج ولكن قبل أنْ تفعل يستدعي الجميع باستثنائها إلى السياج ليقسمن لوح شوكولاة كادبري بالفاكهة والبندق أربعة أقسام متساوية. يُعطي قطعة لكلٍ منهنّ. وتنظر لترى إنْ كان هو نفسه يأكل القطعة الرابعة لكنها لا تستطيع أنْ تميِّز وجهه، إنه بعيد أكثر مما ينبغي. إنها تحمل شيئاً بيدها. إنها آلة التصوير. لو تستطيع أنْ تصوّره بها فسوف تتمكّن من أن تعرِض على أحدهم كلِ ما يجري. لكنها لا تستطيع أنْ ترفع آلة التصوير. إنها ثقيلة جداً. لن تستطيع ذراعُها حملَها. تسمَع رنين جرس باب، على بُعد أميال. إنه من المنزل. لا يُقيمُ في المنزل غيرها. الصالون فيه شاسع وفارغ كالصحراء. تركض أستريد لتقطع أرضه وتفتح الباب. يبدو الصالون كأنه بلا نهاية. وعندما تصل إلى الباب تنطوي على نفسها لأنَّ أنفاسها تنقطع خشية أنْ

Twitter: @ketab_n

يكـون منْ يقف خلفه قد رحل حينئذٍ لأنهـا تأخّرت في الردّ. وتفتحه. ثمة رجل يقفُ هناك. بلا وجه. بلا أنف، ولا عينين، لا شيء، مجرد رقعة خاليـة من الجلد. أستريد تُصـاب بالرعب. سوف تغضب أمّها منها. إنَّه موجود بسببها. تُحاول أنْ تقول له: «لا يمكنكَ أنْ تدخل»، لكنّ أنفاسها مقطوعة. وتتنفَّس «نحن لسنا هنا. نحن في عطلة. ارحل»، وتحاول أنْ تُغلِـق الباب. يظهر فمٌ علـى رقعة الجلد ويهدر صـوتٌ منه كأنها تقف شديدة القُرب من طائرة. وتُغلق الباب رُغماً عنه. تفتح عينيها، وتنهضُ مباشرة عن السرير وتقف على قدَمَيها.

إنهـا تُمضي العطلـة في نورفوك. ساعـة المذياعِ غـير المعيارية تقول إنّ الوقـت هو العاشرة وسبع عشرة دقيقـة صباحاً. الضجيج يصدر عن كاترينا عاملة المنزل وهي تُمرِّر المِكنسة الكهربائية على حواشي الجدران الخشبية وعلى أبواب غرفة النوم.

يدها نائمة. لا زالـتْ متشابكة مع شريط حامل آلة التصوير. تفكّها وتهزّها لتُعيد جريان الدم فيها.

تضعُ قدمَيها على حذائها الرياضي وتجرّهما على طول السجادة غير المعياريّة. كم من أقدامٍ حافية ليعلم الله كم مائة من الموتى أو العجائز من الناس مشتْ عليها؟!.

عندما تنظر في المرآة فـوق المغسلة ترى بصمة إبهامها تحت وجنتها حيـث نامت على يدها!! إنها أشبه بالأواني الفخّاريّة التي تشتريها أمها وصنعهـا أُناسٌ حقيقيون (وليـس المصانع)، حرفيـون مَهَرَة حقيقيون يعملون في بلـدانٍ حارّة يتركون عليها بصمـات حقيقية لأيديهم بمثابة توقيعهم، أي أنها وقَّعتْ على نفسها بنفسها أثناء نومها!

Twitter: @ketab_n

تضغط إبهامها على الانبعاج الذي سبّبته. إنه يتطابق معه تماماً.

ترش ماءً علــى وجهها وتُجفّفه بكُمّ قميصهــا الرياضي بدل المنشفة الفظيعــة. تنتعل حذاءهــا الرياضي كما ينبغي. وتلتقــط آلة التصوير من جديد وترفع المزلاج عن الباب.

هنــاك طريقتان لتشاهد ما تُصوّر: ١ – على شاشة صغيرة، ٢ – من خــلال منظــار. إنَّ صانعي الأفلام الحقيقيين دائمــاً يستخدمون مناظير علــى الرغم من أنّه مــن الأصعب الرؤية من خلالهــا. تضع عينها على المنظار وتسجل صورة يدها وهي ترفع المزلاج وتُعيده إلى موضعه. بعد نحــو مائة عامٍ من الآن ربما لن يعود لمثل هــذه المزاليج وجود وسيُصبح هذا الفيلم برهاناً على أنهــا كانت موجودة وسوف تكون دليلاً للناس الذيــن يحتاجــون إلى أنْ يعرفــوا في المستقبل كيف كان مــزلاجٌ كهذا يعمل.

بطاريــة الإشارة تومض. البطارية أضحــت ضعيفة. هناك ما يكفي من الطاقة لتسجيل كاترينا عاملة التنظيف وهي تُنظّف بأنبوب المِكنسة الكهربائية داخل كل دَرَجة. كاترينا تشكّل جزءاً من المنزل. لقد جاءت مــع الأمتعة. أمهــا ومايكل تتبادلان نكتة همساً حــين تكون بعيدة عن مرمــى السمع، أو حتــى عندما لا تكون في المنــزل ولا تسمعهما حتى وإنْ صرختــا، وكاترينــا عاملة التنظيــف في سيارتها الفــورد كورتينا. وفورد كورتينا سيارة يعــود طرازها إلى حقبة سبعينيات القرن الماضي؛ لعلّها سيارة متهدمة، علــى الرغم من أنَّ كاترينا لم تفهم النكتة؛ كاترينا في الواقــع لا تبدو أنها تمتلك سيارة؛ إنهــا تحمل المكنسة وتمشي بها في الشارع إلى المنزل من منزلها هي في القرية ثم تحملها وتعيدها من جديد

Twitter: @ketab_n

بعـد انتهائها. إنهما دائماً تتصرّفان كمراهقتـين وكأنهما في أسوأ حال يمكـن بلوغه، وتقولان شيئاً محفوفـاً بالمخاطر. أستريـد شخصياً تتعالى عـن مثل هذه الأشيـاء. الناس يختلف بعضهم عـن البعض الآخر، هذا مـا تُفكِّـر فيه. هذا واضـح. بعض النـاس ليسوا طبعـاً مؤهَّلين للعيش بالطريقـة نفسها التـي يعيش بها البعض الآخر، لـذا فهم يكسبون مالاً أقلّ ويعيشون حياةً مختلفة، وأقلّ رفاهية.

ليس هناك ما يكفـي من الضوء على الدَرَج. سوف يكون أثراً مثيراً للاهتمام. تُراقـبُ قمة رأسـ كاترينا من خلال المنظـار. تصوّرها وهي تنظِّف الدَرَجة. ثم تصوّرها وهي تنزل لتنظِّف التي تحتها.

تنتقل كاترينا عاملة التنظيف إلى أحد الجانبَين، وترفع بصرها لتفسح مجالاً لأستريد لتمرّ.

تهتف أستريد بأدب: «عُذراً. هل أستطيع أنْ أسالكِ شيئاً ؟».

تميـل كاترينـا عاملـة التنظيف بعيـداً عـن أستريد وتُطفـئ المكنسة الكهربائية. لا ترفع بصرها.

تقـول أستريد: «هل أستطيع أنْ أسألكِ كم عمرك؟ من أجل أبحاثي والأرشيـف». (يبدو هذا جيـداً. تحاول أستريـد أنْ تحفظه في ذاكرتها لكي تتمكن من الاستعانة به مع الرجل الهندي في الكري بالاس).

تقول كاترينا عاملة التنظيف شيئاً نحو الأسفل. يبدو شيئاً مثل واحد وثلاثين. هي تبدو بهذا السن دون أدنى شك. كاثيت قد شغَّلتْ المكنسة الكهربائيـة من جديد. سن الواحـد والثلاثين مُخادِع. تُقـدّره أستريد.

Twitter: @ketab_n

١٠٪ جديـدة، و ٩٠٪ قديمة. وتصوّر كل شيء حول كاترينا ثم تصوّر قدميها هي أثناء هبوطها باقي الدَرَج.

هذه الكمية ستأتي في الترتيب مباشرة بعد الشيء الميّت الذي صوّرته علـى الطريق عندما كانت تمشـي عائدة من القرية في الليلة الفائتة. كان شيئاً شبيهاً بأرنب لكنه لم يكن أرنباً. كان أكبر من أرنب. كانت له أُذنان صغيرتان وقائمتاه الخلفيتان أصغـر؛ كانت السيارات قد سحقته؛ كان فـروه ممزوجاً بالطين والدم. عندما اقتربت منـه طفرت أربعة غربان أو خمســة مبتعدة؛ كانت تنتفُ قِطعاً منه. كانت قد عثرت على عصا على الحافـة ونخسته بها. ثم صوّرتــه. في مرحلةٍ ما سوف تترك آلة التصوير على الطاولة في حجـرة الجلوس غير المعيارية والشريط متوقّف بالضبط في الموقـع المناسب وسوف يعمد مايكل دون أدنى شك إلى التقاطها بما فيها، سيفعل حتماً، وهو فاشل بحيث أنه موسْوَس حقاً تجاه أمورٍ كهذه إذا تصــادفَ وحدثتْ في الحياة الواقعيـة وليس كما تحدث على خشبة مسرح أو ما شابه.

تتوقف، وتقفُ في الصالون. الشيء الميت. ماذا لو أنه كان حياً لكنه غائب عن الوعي وهي نخسته بقوة ولكنه لم يكن ميّتاً أبداً، ربما كان لا يزال يشعر بنخسها له وبدا فقط ميتاً لأنه كان في غيبوبة؟

حسنٌ ولكن لعلّه على ما يُرام لأنه إذا كان ربما في حالة غيبوبة لشعرَ بـه كما لو أنه يقِظ. هنـا على ممر السيارات علـى الطريق مارست أمها ومايكل لعبــة إطلاق النفير لقطيع الغنم حيــث كان مايكل يُطلق النفير كلمـا مرّا بقطيعٍ من الغنم ويقومان بضـمّ قبضتيهما في الهواء كما كانا يفعـلان كلما مرّت السيارة بضحيـة طريق. كان من المفترض أنها إيماءة

Twitter: @ketab_n

تقدير لروح الشيء الميت. كان تصرّفاً صبيانياً. كانت أستريد في الماضي تحب أنْ تشعر بالاضطراب لأجل الأشياء الميتة. أما الآن فهي في الثانية عشرة وهذه مجرد أشياء ميتة لا أكثر ولا أقلّ.

غالباً لم يشعر بأي شيء عندما نخسته.

لقد نخسته من أجل أبحاثها والأرشيف.

تعيد أستريد وضع عينها خلف آلة التصوير. من المُهمّ أيضاً النظر عن قُرب إلى الأشياء، خاصةً الأشياء الصعبة. أُم أستريد دائماً تقول هذا. أستريد تمشي في ظُلمة الصالون وتلج الغرفة الأمامية. لكنَّ منظار آلة التصوير يغمره الضوء المُبهر بحيث تعجز عن الرؤية. عليها أنْ تشيح ببصرها بعيداً عنه بسرعة.

تطرف بعينيها. من شدة الإبهار كاد يكون موجِعاً.

ثمة شكل لشخصٍ جالس على الأريكة بجوار النافذة. وبسبب الضوء المتسلل من النافذة خلف الشخص، وبسبب ومض الضوء الذي لا زال يملأ عينيها بألوان الأحمر والأسود، الوجه مطموس بالضوء والظلام. تنظر أستريد نحو الأسفل إلى السجادة التي عاد إليها بصرها. تستطيع أنْ ترى قدَمَين حافيتين.

سيكون شخصاً من أهل البيت، أحمق من القرية. سيكون أحد تلامذة مايكل. تطرف أستريد بعينيها من جديد وتُدير له ظهرها. تتجاهل ذلك الجانب من الغرفة. تُطفئ آلة التصوير بعناية شديدة وتُخرِج الشاحن والبطارية الأخرى من خلف الكتب ذات الغلاف الورقي العتيقة والفظيعة في خزانة الكتب. تحملها إلى المطبخ.

Twitter: @ketab_n

مايكل يُقشِّر ثمرة أجاص في طبق. كان الطبق قد استُخدِمَ مئات المرات من قِبَل. مَنْ يدري كم من الناس الذين دخلوا هذا المنزل؟. إنه يُقشِّر ثمرة الأجاص بسكين ذات مقبض من الخشب. وخشب ذلك المِقبَض يحمل آثار كل مياه الشطف القذرة على مدى كل الأوقات التي غُسِلَ بها على أيدي مئات العجائز الموتى الذين عاشوا هنا أو امضوا فترات العُطَل هنا.

مُحَمّصة الخبز أيضاً تحوي فُتات العجائز الآخرين. تضع أستريد أغراض آلة التصوير بجوار الكرسي، وتفرش قطعة من ورق الفضة وتكسر شريحة من الطرف السليم من رغيف الخبز. تُغطي صينية المشواة غير المعيارية بورق الفضة وتضع الخبز تحت المشواة، وتشعلها. ثم تجلس على الكرسي بجوار الباب، تؤرجح ساقيها.

تسأل مايكل الذي يُقطِّع ثمرة الأجاص إلى شرائح بيضاء أنيقة ورقيقة «مَن ذلك الشخص الجالس في الغرفة الأمامية؟».

يقول مايكل: «شخص جاء في أمرٍ يخصّ أمك». لقد تعطّلتْ سيارتها.

يحمل الطبق مع ثمرة الأجاص وينتقل إلى الجهة الأمامية، وهو يُهمهمُ لحناً. إنه يُهمهم تلك الأغنية التي تُغنّيها المُغنية بيونسه. إنه يعتقد أنه مُعاصِر جداً، أي أنه مصدر إحراجٍ شديد.

تضرب أستريد بيدها على جانب الكرسي لترى إنْ كان ذلك يُسبِّب الألم. إنه يؤلِم، ولكن ليس كثيراً. تضرب من جديد، أقوى. يؤلم أكثر. طبعاً يمكن للعِلم أنْ يُثبت، بشكل نموذجي ويدعو للسخرية، أنَّ يدها

Twitter: @ketab_n

في الحقيقة لا تضرب الكرسـي باختصار المسافة أكثر فأكثر. إنها تضربه من جديد. آخ.

تنتظر حتى يُسفَع الخبز قليلاً.

يمكنهـا أنْ تسمع مايكل من الغرفة الأماميـة يتحدث بصوتٍ عالٍ. تفتح صنـدوق القمامة. قشور الأجاص الملتوية تعلـو بقايا عشاء الليلة الفائتـة. إنهـا بيضاء من الداخـل وبرّاقـة. تلتقطها. لقـد قشّرها قطعة واحـدة. تحملها بيدها بحيث تأخذ شكل الثمرة قبـل أنْ تُقشَّر. القطعة المُسطّحة مع العود المُلحَق بها تجلس على القمة كقبّعة. إنها ثمرة أجاص فارغة!

تدع القشـرة تقع داخل صندوق القمامة مـن جديد، وتترك الغطاء يسقط. تغسل يديها في المغسلة. يعود مايكل. تستطيع أنْ ترى الابتسامة التـي رسمها من أجل الشخص الجالس في الغرفة الأمامية تتلاشى وهو يفعل.

يقول: «إنها تحترق، يا أستريد».

تقول: «أعلم».

يُخرِج صينية الشيّ، ويفتـح صندوق القمامة ويرمي الشواء، الذي أضحى أسود اللون، فوق قشور الأجاص.

يقول: «لو أنكِ قطعته بشكل دقيق منذ البداية، لما احترقَ هكذا».

تقول: كأنما لنفسها «أنا أحبه محروقاً».

Twitter: @ketab_n

يقطع شرائح أخرى من الرغيف ويُسقِطها في المشواة.

تقول أستريد: «شكراً لا أريد».

لا يسمع مايكل ما قالت. يا له من قذر. إنه يفعل شيئاً بآلة صنع القهوة. كنية اسمه تلتصق بطرف اسمها ولا تتذكّرها أبداً. تلتقط آلة التصوير وتنتقل إلى الصالون. إنها لا تعرف أين تقع مآخذ الكهرباء في صالون هذا المنزل الدون معياري. إنها لا ترى أياً منها. هي تعرف مواقع المآخذ في الغرفة الأمامية في جزء الجلوس في الغرفة الأمامية. أو يمكنها أنْ تعود إلى الطابق العِلوي، لكنّ أمرها يبدو نموذجياً ومُثيراً للسخرية ككاترينا والمكنسة الكهربائية التي في غرفتها الآن. في الواقع إنَّ كنس سطح شيءٍ ما لا يشكّل فرقاً كبيراً من الناحية الصحية. لقد لعقَ العجائز الأثاث بألسنتهم الميتة وغرزوا الدرَج كله برقائق من جلد أيديهم العجوز.

تعود من خلال غرفة الجلوس. المآخذ المجاورة لجهاز التلفاز مُستعمَلة كلها. إذا نزعت أحدها قد تقع في مشكلة من نوعٍ ما.

فجأةً يتوقف هدير المكنسة الكهربائية. النوافذ الفرنسية مفتوحة. الغرفة مملوءة بأصوات الحديقة، أي العصافير وما شابهها. تعبر المكان عائدة إلى الجزء الأمامي وتنزع مآخذ مصباح معياري. تُقحِم الشاحن وتنهضُ واقفة.

في مستطيل ضوء الشمس الأصفر القادم من خلال النافذة الأمامية العالية يتمدَّد الشخص على الأريكة. إنها امرأة ترفع قدميها الحافيتين وتسندهما عليها. عيناها مُغمضتان. في الواقع هي نائمة.

Twitter: @ketab_n

تقتربُ أستريد من الأريكة.

تبدو امرأةً لكنها أقرب إلى كونها فتاة. من المُفتَرَض أنَّ شعرها أشقر لكــنَّ أستريد ترى منطقة أشــدّ سواداً أعمق داخــل شَعرها عند جذور المفرق. ساقاها مرفوعتان على الوسائد. أخمصا قدميها قذران جداً.

من تلك المسافة القريبة بدتْ أصغر سناً من والدة أستريد، أصغر ربما مــن كاترينــا، لكنها حتماً أكبر سناً من اعتبارها مجــرد فتاة. إنها لا تضع أية مساحيق تجميــل. وهذا غريب. تحت إبطيها غير حليق. هناك شَعر، شَعــر غزير. قصبتا ساقيها وفخذاها وما خلفهمــا أيضاً غير حليقة. أمر لا يُصــدَّق. إنها تلمع بشَعر حقيقــيّ. الشَعر أشبه بمئات الخيوط الدقِيقة تخرج مباشرة من الجلد.

علــى مسافة أقلّ من قَدَم مــن وجه أستريد فتحت الفتــاة، أو المرأة، كائناً ما كانت، إحدى عينيها، ونظرتْ مباشرةً إليها.

تطفــرُ أستريد متراجعة. هناك طبــق على الأرض بجــوار الأريكة. ترفعه وكأنَّ مايكل أرسلها خصيصاً لتجلبه. وتسير حاملة الطبق أمامها وتعــبر أرض الغرفــة وتخرج مباشرةً مــن خلال الواجهــة الفرنسية إلى الحديقة وتنعطف عند الزاوية.

لم تتوقف إلا بعد أنْ أضحت بعيدة عن المنزل. أنفاسها عالية وتُصدر صوتــاً غريباً. أمر غريب أنْ تنظــر إلى شخص ما. أمر غريب أنْ يُبادلك النظر. إنه لأمر غريب حقاً أنْ تُفاجأ وأنت تنظر.

الطبق لــزج الملمس بسبب مــادة ما. تمصّ أستريــد إصبعها. المذاق

Twitter: @ketab_n

حلـو. تضع الطبق على العشب بالقـرب من الحديقة الصخرية. تغمس يدها في وعاء الري لكي تتخلّص اللزوجة. ثم تتساءل إنَّ كان ما يحتويه وعاء الـري هو ماء.قد يكون مبيـداً للحشـرات أو للأعشاب الضارة. تُخـرِج يدها وتُقرِّبها من أنفها لكنها لا تشم رائحة مادة كيميائية. وتمدّ لسانها وتتذوّقه. ليس له أي مذاق.

تسير إلى داخل الحديقة نحو المقرّ الصيفي. والمقرّ الصيفي مجرد سقيفة رحبـة على الرغم مـن أنَّ الشائع هو أنها مقرّ صيفـيّ؛ ووالدتها ومايكل يتذمران بشأنه منذ أنْ أقاموا هنا، بما أنَّ أحد الأسباب الرئيسة لمجيئهم إلى هـذا المكان المُملّ النائي هو لكي تتمكن أمها من العمل في المنزل الصيفي طـوال فصـل الصيف كمـا كان أحد كتّـاب الزمن الماضـي يفعل. تكاد تسمـع صوت أمها صادر من داخله من هنا. إنَّها عنيفة حتى على مفاتيح الحاسوب المحمول. إنها تكتب وتقوم بالبحث حول أناسٍ ماتوا في القرن الماضـي من جديد. إنها تطبع بإصبعَـين بقسوة لا تُصدَّق وكأنها غاضبة، على الرغم من أنها في العموم ليست كذلك، بل يبدو الأمر هكذا.

أستريد تقف في الخارج، بجـوار الباب الذي يُمنَع قرعه إلا في حالة الطـوارئ. إنها تقف في هذه الحديقة بـكل أشجارها العتيقة وأكماتها والحقـول والغابات التي تمتـد بلا نهاية بعد المنـزل. إنها ليست مصدر إزعـاج بأي حال. وهـي بالمقارنة مع تلك الأشجـار التي تكتنف المقرّ الصيفـي تشبه شجـرة لا معنى لها زُرِعَـتْ في المناطـق المعشوشبة من مواقف سيارات مراكز التسوق.

ضجيج الطباعة توقف.

صرخت أمها من داخل المقرّ الصيفي: «ماذا تريدين؟».

Twitter: @ketab_n

تراجعت أستريد خطوتين.

صرخت أمها: «أنا أسمعك. ماذا تريدين؟».

تقول أستريد: «لا شيء. كنتُ فقط واقفة».

تتنهّـد أمها. تسمع أستريـد الكرسي يُسحب نحـو الخلف. ويُفتَح البـاب. تخـرج أمها إلى ضـوء الشمـس. تُضيّق عينيهـا، وتتراجع إلى مدخل الباب وتُشعل سيجارة.

تقول: «حسن. والآن. ماذا تريدين؟».

تقول أستريد: «لا أريد أي شيء. أنا فقط موجودة هنا».

تنهدت أمها من جديد. يُغرّد طائر في موقع ما فوقهما.

تقول أستريد: «ألم تري بعد ما حدث للمطعم الهندي؟».

هـزّتْ أمها كتفيها استخفافاً. تقول أستريد: «أنا لا أستطيع أنْ أفكّر في أي شيء آخر الآن».

إنَّ عليهـا دائمـاً أنْ تفكّر في الأموات منذ ستـين عاماً مضت. إنهم يستولون على تفكيرها كله عندما تكتب عنهم. وأستريد شخصياً تعتقد أنَّ الفائـدة ستكون مضاعَفة في معرفة ما يحدث الآن بدل الاهتمام بمَنْ ماتوا منذ أكثر من نصف قرن.

تقـول أستريد: «عندما استيقظتُ وجـدتُ بصمة إبهام حيث كنتُ أنام على إبهامي. كان شيئاً مُذهلاً».

Twitter: @ketab_n

تقـول أمهـا دون أنْ تنظر إلى أستريـد، التي وضعـت إبهامها على المكان من وجهها حيث كانت البصمة «ممم».

تقـول أستريـد: «إنها تشبه آنيـة الفخار في المنـزل. يعلم المرء كيف حصلت على بصمة الإبهام من الصانع الماهر».

لم تقُل أمها أي شـيء. الطائر لا يزال يغرّد، النغمات الثلاث نفسها مرة بعد مرة.

تقول أستريد: «إنه حقاً يوم جميل، أليس كذلك؟».

تقول أمها: «ممم».

تقـول أستريـد: «هكذا كان حـال الصيف، أليس كذلـك، قبل أنْ أولَد؟».

تقول أمها: «ممم».

تقول أستريد «إنَّ أيامـاً كهذا تستمر أشهراً، وكأنما من شهر أيار إلى تشرين أول هناك فصول صيف عِـدّة، هل كانت فصول الصيف دائمة في الماضي؟».

لم تُلاحظ أمها ما قالت. لم تُبدِ أية ردّة فعل. بل لم تطلب من أستريد أنْ تكفّ عن تكرار الكلام نفسـه. اتّكأت على إطار الباب واستمرت بالتدخين. شعرت أستريد بوجهها يتـورّد. السجائر شيء جنوني تماماً. إنها مؤذية. ورائحتها فظيعة. إنها السبب الرئيس لأنواع الأمراض كافة وليس فقط للشخص الذي يُدخّنها.

Twitter: @ketab_n

راحــت ترفس العشب حول جدار المقـرّ الصيفي. إنها تدرك جيداً أنه لا ينبغي عليها أنْ تجـهر برأيها عن مضار التدخين. هذا شيء لا يُقال إلا في أوقات معيَّنة.

بدل ذلك قالت: «ومن هو الشخص؟».

تقول أمها: «أي شخص؟».

تقول أستريد: «الذي في المنزل».

تقول والدتها: «ليست لدي أية فكرة. ألا يزال مايكل هنا؟».

تقول أستريد: «أه هاه».

تقول أمها: «هل استيقظ ماغنوس؟».

تقول أستريد: «لا أعتقد ذلك».

تقــول أمهــا: «تذكّري، إذا ذهبــتِ إلى أي مكان بعــد ظهيرة اليوم خذي معك هاتفك المحمول».

تقــول أستريــد: «أه هاه». إنَّ هاتفها المحمــول، المُغلَق، موجود في قعرأحــد صناديــق القش في المدرسة، على الأقلّ هنــاك تركته قبل ثلاثة أسابيــع. لو علِمــت أمها ومايكل بهذا الأمر لأحضـرا هريرات[٥] دون مبالغــة؛ إنهما لا يزالان يدفعان قيمة الإيجــار. إنَّ أمها تعتقد أنها دائماً في أمــان وهي تحمله، لأنهــا تكون قادرة على الاتّصــال، طبعاً، ولكن

٥- هريرات: صِغار القطط.

Twitter: @ketab_n

أيضـاً لأنَّ في استطاعة الشرطة دائماً أنْ تُحـدد مكان الناس جغرافياً من أرقـام هواتفهم المحمولـة إذا ما فُقِدوا. **أتعتقدين أنكِ ذكية. يا أسـتريد سـمارت**[٦]**. أنتِ فاشلة. أنت اسـم جديد** = ARS - TIT[٧]**. وجهك كوجه بقرة ARS 3 ها ها أنت سحاقية أنت شاذة.** إنَّ التنمُّر أمر خطير. لقـد توفيت فتاة في الفصل الدراسـي الفائت في مدرسة ماغنوس لأنها تعرّضـت للتنمُّر على شبكة الإنترنت. وقـد وصلت رسالة من مدرسة ماغنوسـس بهذا الشـأن. يجب أنْ تُخبري الناسـ إذا تعرّضتِ لمثل هذا. لكنَّ هذا حدث في مدرسة ماغنوس. وعند نقطة ما سوف تُخبر أستريد أمها بأنَّ هاتفها المحمول قد سُرق.

تقول أمها: «هل أكلتِ شيئاً ؟».

تقول أستريد: «تناولت بعض الخبز المُحمّص».

تقول أمها: «لا تفعلي هذا، يا أستريد».

أستريد لا تعلم ما الذي ليس من المفترض بها ألا تفعل.

تقول: «ماذا؟».

تقول أمها: «لا ترفسي هكذا».

تكـفّ عن الرفس. وتقف وذراعاهـا تتدليان على جنبيها. تنظر إلى أمهـا. إنَّ أستريد شخصياً لن تكون أبـداً بقياس أربعة عشر. إنه ضخم.

---

٦ – سمارت smart بالإنكليزية تعني ذكي. المترجم

٧ – عبارة قذرة.

Twitter: @ketab_n

أمها تربت برفق على طرف السيجارة التي دخّنت نصفها وهي تتكئ على إطار الباب. وعندما انطفأت السيجارة سحقت الرماد الذي سقط بقدمها، وأعادت نصف السيجارة إلى العلبة، ثم ولجت المقر الصيفي من جديد وأغلقت الباب.

انتظرت أستريد أنْ يبدأ ضجيج الطباعة من جديد. انتظرتْ بضع لحظات. ثم بدأ.

نظرت إلى تسرّب أشعة الشمس من بين أوراق الشجر من فوقها، وتذكّرت إيكاروس الذي وضع جناحين صنعهما له والده وأذابتهما الشمس عندما طار واقترب منها أكثر مما ينبغي. وتساءلت إنْ كان الأمر سيختلف لو أنَّ الوالد صنع الجناحين لفتاة، لعلها كانت عرفت كيف تُحسن استخدامهما. ولكن ربما كان ذلك سيعتمد على سن الفتاة، ذلك أنها إذا كانت في مثل سن أستريد فلا بأس. ولكن إذا كانت أصغر من أستريد فسيكون الأمر خطيراً، سوف تكون صغيرة جداً، وإذا كانت أكبر سناً فسوف تقلق من أنْ يرى الناس ما تحت ثوبها ومن أنْ تُذيب الشمس مسحوق التجميل عن عينيها.

وتعرف أستريد أيضاً من مصدر ما، ربما من ماغنوس، أنَّ من المُفترض أنْ يستغرق الأمر ثمان وعشرين ثانية من النظر مباشرة إلى الشمس كي يُصاب المرء بالعمى. كيف يكون الشعور بالعمى؟ لا يمكنك أنْ تذهب لمشاهدة مسرحية، أو فيلم سينمائي؛ ولا يعود لأي شيء معنى. وقد يتحول جهاز التلفاز إلى مذياع. وأغمضت عينيها. كيف يُقرر العميان بداية النهار إذا كانوا لا يستطيعون أنْ يروا إنْ كان ضوء النهار قد بزغ أم لا؟ وإذا كانوا لا يُفرّقون بين النور والظلام اللذين يتناوبان في كل يوم؟

Twitter: @ketab_n

وتتساءل ماذا سيحدث إذا وقفت هنا وجعلت نفسها تنظر إلى الشمس مدة ثمان وعشرين ثانية.

سوف تذوب عيناها.

سوف يأتي الأطباء وسيارات الإسعاف إلى آخره.

خطتْ إلى أشعة الشمس المُبهرة بين شجرتين عتيقتين. فتحت عينيها واسعاً ونظرت مباشرة إلى أعلى. عدَّتْ، واحد. ثانية واحدة تكفي وزيادة. أغمضتْ عينيها بإحكام. داخلهما طغى الضوء الوامض. وعندما فتحتهما عجزت عن رؤية أي شيء ما عدا قرص الشمس الذي نظرت إليه، بلونٍ برتقاليّ برّاق. تغمضهما من جديد. العالم الخارجي يتنقّل على عينيها، كصورة فوتوغرافية داخلية. ثم تطغى الصورة الداخلية على العالم الخارجي عندما تفتحهما. لو كان في استطاعتها أنْ تلتقط صوراً فوتوغرافية بعينيها لكان ذلك أمراً مذهلاً. لو كان في استطاعتها أنْ تفعل ذلك وكان لها جناحان، أي أسطورة بجناحين، لالتقطت صوراً من الجو. كانت ستحوم فوق كل شيء كطائرة مروحية. سوف يبرز صِغر القرية المتناهي. وسوف تبرز ضآلة هذه الأشجار الضخمة التي تقف تحتها. سوف تتمكن من أنْ تطير فوق المنزل. وسوف تتمكن من حمل المنزل بأكمله على راحة يدها. سوف تطير فوق المدرسة كلها خلال جزء من الثانية. إنَّ التلاميذ كلهم في صفوفهم في هذه اللحظة يتلقّون درس اللغة الفرنسية، وملاعب الرياضة، وفناء المدرسة، والشوارع المحيطة بالمدرسة، ستكون ضئيلة، أصغر من راحة يدها وتزداد ضآلة على ضآلة حسب مقدار ارتفاعها عالياً في السماء.

Twitter: @ketab_n

الجو شديد الحرارة في الحديقة. تسير باتجاه المنزل. هذه غرفة نومها، هناك. سوف تطير عالياً وتدخل من النافذة. لن تُضطر إلى لمس السجادة بقدميها بعد الآن. سوف تبقى مرتفعة عن الأرض بمقدار بضع بوصات طوال الوقت. سوف تطير إلى نافذة غرفة ماغنوس الآن وتتلصّص من تحت الستارة. (ماغنوس سمارت. ماغنوس بيرينسكي. ماغنوس لا يُبدي حتى انزعاجاً. ذات مرة قال، لماذا أهتم بأمره إذا كان هو لا يهتم بأمري. لكنَّ ماغنوس يتذكّره: لقد حملني على كتفيه وسار بي على الشاطئ. هذا ما أخبر أستريد به ذات ليلة وهما في منزل الشجرة. لقد سمح لي بوضع السكر في الشاي الذي يشرب). إنَّ ستارة غرفة ماغنوس دائمة مُسدلة. بل ليس لديه حمّام أو دش. وهو لا يستيقظ قبل الساعة الثانية من بعد الظهر في أغلب الأيام ولا يهبط إلى الطابق السفلي إلا لكي يحمل الأطباق القذرة، ولكي يحمل طعام عشاءه في المساء إلى الطابق العِلوي ومن ثم يُغلق الباب من جديد. إنَّ صبر أمهما ومايكل يكاد ينفد. ولكن على الرغم من انزعاجهما منه لا يزال على سلوكه المعتاد. ولأنّه تصرف نموذجي ويدعو إلى السخرية، عندما حاولت أستريد أنْ تأخذ وجبة عشائها إلى الطابق العِلوي قامت الدنيا و لم تقعد.

السيارة التي كانت متوقفة أمام المنزل اختفت، وحلّ محلها على الممر سيارة بيضاء قديمة. المطبخ خال. جهاز التلفاز يعمل وحده في حجرة الجلوس. في الأخبار نبأ عن رجل مفقود، وعثرت الشرطة على جثة. وضعت أستريد صحيفة هذا اليوم على الأريكة وجلست عليها، واحتفظت بذراعيها ويديها على نفسها بعيداً عن ذراعيّ الأريكة. مذيعو الأخبار والناس الذين يُجرون معهم مقابلات يُكررون القول إنَّ ثمة رجلاً مفقوداً وإنهم عثروا على جثة، ولكن لا أحد سيقول

Twitter: @ketab_n

إنَّ للجثة أية صِلة بالرجل المفقود أو بالعكس على الرغم من أنَّ من الجليّ أنَّ هذا ما يعنون. إنَّ للأمر صِلة بالحرب. ويأتي رئيس الوزراء مُحاطاً بأميركيين يُهللون ويُصافحنه رجال يرتدون بذّات رسمية. وبعد انتهاء نشرة الأخبار تتحدث سيدة في استوديو التلفاز مطولاً عمّا حدث لحركة أمعائها منذ أنْ بدأتْ تصنع طعامها بتركيبات معيَّنة. تقول مقدّمة البرنامج، إنهن لسن فقط جميلات. يضحك كل مَنْ في الاستوديو. إنه تصرّف صبياني. يتصل رجل بالبرنامج ويقول إنه يشرب بوله. ويتناقش الموجودون في الاستوديو حول ما إذا كان من المفيد أنْ يشرب المرء بوله. أستريد سعيدة لأنَّ مايكل غير موجود لأنه كان سيعتقد أنَّ فكرة شرب البول جيدة ويدفعهم جميعاً إلى تنفيذها.

جهاز التلفاز هذا لا يحتوي إلا ثلاثين قناة أو نحوها وغالبيتها تافهة. إنها طبعاً دون المعيار. هناك استعراض فيديو موسيقي من حقبة الثمانينيات على قناة أخرى. لا بأس في مشاهدته لأنَّ لا أحد منهم سيتصرف بحمق ولا ينبي يتحدث عن الزمن الذي كانت فيه الموسيقى الرائجة ذات صِبغة سياسية أو يؤدي رقصة بلهاء. الفيديو يصور فتاة في المقهى تشرب فنجاناً من القهوة وتقرأ في مجلة مُصوّرة ثم تدب الحياة في المجلة المُصوَّرة وتُصبح جزءاً من القصة. الفتى في القصة المُسلسلة يغمز لها، ثم يمد يده، من الصورة مباشرة إلى عالمها فتتناولها بيدها الحقيقية وتنتقل إلى داخل عالم الكرتون وتصبح رسماً مثله، ولكن في العالم الحقيقي الخارجي لا تفهم صاحبة المقهى أين ذهبت الفتاة وتغضب لأنها غادرت من دون أنْ تدفع ثمن القهوة لذا تقبض على المجلة المصورة وترمي بها في صندوق القمامة مُسببة بهذا لعالم الصور كارثة شاملة وتدفع بالرجال حاملي العتلات إلى اقتحام المكان ومباشرة

Twitter: @ketab_n

أعمـال العنف. هنا مزّقَ الفتـى عالمه (كان عالمه مصنوعـاً من الورق) لكي تتمكّن الفتاة من الهرب من خلال الورق الممزّق للمجلّة المُصوَّرة وتعـود إلى عالمهـا. وتعثر صاحبة المقهى في العـالم الواقعي على الفتاة، الحقيقية أيضاً، فتنهار فوق صندوق قمامة المقهى خلف النضد. وهكذا تتناول الفتـاة المجلة المجعّدة من القمامة، وتهـرع خارجة من المقهى، وتركض على طوال الطريق حتى منزلها وتجلس في غرفة نومها وتحاول أنْ تُصلـح من شأن المجلة المُجعّدة. وينتهـي الفيديو بمحاولة فتى المجلة المصـوّرة (وهو المغنّـي الرئيس في الفرقة الغنائيـة) أنْ يقتحم طريقة إلى عالم الفتاة الحقيقي لكي يُصبح حقيقياً، وليس مجرد رسم.

تنتقـل أستريـد إلى المطبخ وتقطع رغيف الخبـز إلى قسمين عندما لم تعـثر على أي سكين في الجـوار. وتُخرج اللب من داخله بكامل يدها. وتأكلـه. وفي طريـق عودتها تخلع قميصهـا الرياضي مـن فوق فمها وتتنفّـس من خلال النسيـج القطني. رائحته عطـرة. وتتساءل إنّ كان هـذا مذاقها هي، هذا المـذاق الذي يُشبه الأنفاسـ العطِرة، إن كان في استطاعتهـا أنْ تتذوّق مذاقهـا، أو إن كان في استطاعة شخص آخر ربما أنْ يفعـل ذلك. ولكن ماذا لو أنَّ مذاقها كريهاً؟ إنها تقلق من أنْ يكون مذاقها كريهاً بعد مشاهدتها فيلمين آخرين. ثم أطفأت جهاز التلفاز.

ثبّتت البطاريات في آلة التصوير وجرّبتْ صلاحية عملها. ووضعت الشاحن، ولا يـزال يشحن البطارية الأخرى، مـن خلف كتب الجريمة والألغـاز الرهيبة القديمـة ذات الأغلفة الورقية على الـرف السفلي من خزانـة الكتب. أرهفت سمعها وهـي في الرواق لكنّ لا صوت يصدر عـن ماغنوس. وغـادرتْ المنزل من البـاب الأمامـي. إنَّ أمها ومايكل لا يكفّـان عـن القول ما أجمـل أنْ يكون المرء في بلدٍ يمكنـه فيه أنْ يثِقَ

Twitter: @ketab_n

في الناس ويترك سيارته غير مُقفلة وأبواب المنزل غير موصدة أو حتى مفتوحة على مصراعها. وتحقّقت أستريد من أنّها أوصدت الباب الأمامي خلفها. إذا أراد أحد أنْ يسرق المنزل يمكنه أنْ يدخل من النوافذ الفرنسية المُطلّة على الحديقة ويمكن وضع اللوم حينئذٍ على أمها. وهو لن يعثُر على الشاحن إلا إذا جاء خصيصاً لكي يسرق روايات أغاثا كريستي القديمة، وسوف تكون تلك جريمة ممتازة تدعو إلى السخرية.

تسير على طول الزقاق المؤدي إلى الطريق المؤدية إلى القرية. الجو حار جداً. تفكّر في المنزل الذي تركته خلفها، وتتخيّل نفسها جالسة هناك تملؤها الأشياء المرعبة التي تسكنه، وهناك أيضاً ذكرياتهم عن العطلة كلها، مرتّبة ومختلفة، كأشياء تطفو على سطح شديد الحرارة. إنها اللحظة التي تسبق دخول اللصوص عبر الحديقة وسرقتهم ما يشاؤون. ولكن، بما أنها اللحظة السابقة لهذا الحدث، الغرف في الطابق السفلي كلها خالية، لا توجد فيها إلا الأشياء، تشبه غرفاً تحبس أنفاسها في هذا الجو الصيفي الحار.

أخبرها ماغنوس عن تلك الفكرة التي تقول إنَّ ما يجري في الأفلام يختلف عما يجري في الحياة الواقعية. ففي الأفلام هناك دائماً سبب. فإذا كانت هناك غرفة خالية في الفيلم فإنهم يفعلون ذلك لسبب معيّن. ورفع ماغنوس قلماً، ثم تركه يقع. قال إذا أسقطتِ قلماً من يدك في الحياة الواقعية، فهذا كل شيء، إنَّ قلمكِ يقع من يدك ويستقر هناك على الأرض. ولكن إذا أسقط أحدٌ في فيلم قلماً وأرتكَ آلة التصوير القلم، فذلك القلم الذي سقط هو أهمّ من ذاك الذي سقط في الحياة الواقعية. إنَّ أستريد تعلم أنَّ هذا صحيح لكنها ليست متأكّدة كيف. عندما يعاود ماغنوس تواصله مع الناس فسوف تسأله. سوف تسأله، إذا تذكّرتْ،

Twitter: @ketab_n

عن سبب نخزها الحيوان الميت بعصا من دون أي تفكير. سوف يعرف ماغنوس سبب رغبتها في ذلك وسوف يشرح لها. سيكون ذلك شيئاً رائعاً، لو كان في حوزتها فيلم عن ذلك الحيوان، وهو على قيد الحياة وذلك قُبيل دهسه، في الدقيقة التي سبقت دهسه. سيكون هناك، جالساً على جنبه على حافة الطريق، كائناً ما كان، أرنباً، أو قطة، فقط جالساً هناك بعينيه ومخالبه إلى آخره.

ولكن سيكون أمراً مذهلاً حقاً إذا راقبته وأنت تعلم ماذا سيحدث بعد ذلك. أنت تعلم، لكنَّ الحيوان لا يعلم. وإذا كنتَ تعلم هذا وصوّرته فكأنكَ تنظر إلى غرفة قبل أنْ تتعرَّض للسرقة. أنت تعلم هذا، لكنَّ الغرفة لا تعلم. هذا لا يعني أنَّ في وسع الغرفة أنْ تعلم الأشياء، كأنَّ في استطاعتها أنْ تكون كائناً حياً، إنساناً. تخيَّل غرفة حيّة، وأثاثها يتنقّل في المكان من تلقاء نفسه، والجدران يُنادي أحدها الآخر.. غرفة حيّة، ها ها. تخيَّل أنك في الغرفة، الغرفة الحية ها ها ها، وأنت لا تتوقّع أنْ تكون حيّة وأردتَ أنْ تجلس على أحد الكراسي فإذا بالكرسي يقول ابتعد عني! لا تجلس عليّ! أو أنّه يتحرك لكي يمنعك من الجلوس عليه. أو تخيَّل أنَّ للجدران عيوناً وتستطيع أنْ تتكلَّم، فتلج الغرفة وتسألها عمّا حدث فيها أثناء وجودك في غرفة أخرى وتخبرك بما حدث بالضبط.

يقول أحدهم: «مرحبا».

تردّ أستريد: «مرحبا».

إنه الشخص الذي رأته في الصباح وكانت تتمدّد على الأريكة في الغرفة الأمامية.

Twitter: @ketab_n

إنها تسير بمحاذاة أستريد. وتحمل تفاحتين بإحدى يديها. إنها تزنهما، وتتفحّصهما، لتنتقي منهما واحدة لنفسها.

تقول: «خذي».

تأتي التفاحة إلى أستريد عبر الهواء وتضربها بقوة على صدرها، فتتلقّفها بمنحنى ذراعها بينها وبين آلة التصوير.

تقول المرأة: «أستريد، أستروم، أستراليس. ما شعورك وأنت تحملين اسماً متألّقاً كهذا؟».(٨)

ثم تبدأ بالكلام عن النجوم. تقول إنه بسبب تلوّث الضوء القادم من المدن وأنوار الشوارع، لم يعُد في الإمكان مشاهدة سماء الليل كما ينبغي وإن السماء في العالم الغربي كله الآن لم تعد تُصبح مظلمة كما ينبغي. وفي أكثر من نصف أوروبا، وأميركا، وفي العالم أجمع، لم يعُد في استطاعة الناس مشاهدة النجوم كما كانوا يفعلون في الماضي.

كانت لها طريقة معيَّنة في الكلام، بنبرة أيرلندية، أو ربما تشبه النبرة الأميركية. وعلى الرغم من أنَّ أستريد لم تقُل أي شيء عن ذهابها إلى المطعم الهندي كري بالاس، فإنها تطرقت إلى هذا الموضوع. وسألت أستريد إنْ كانت شاهدته وأنه بمثابة عمل إجرامي محلي صارخ. فما الذي يدعو شخص إلى رش دهان أسود على باب وواجهات المطعم العِرقي الوحيد في القرية؟ المطعم العِرقي الوحيد على امتداد أميال؟

رفعت أستريد آلة التصوير عالياً، ثم قرّبتها من عينها، على الرغم من

---

٨ - تعني أنَّ اسمها، أستريد، يُشبه كلمة أسترا باللاتينية والتي تعني نجم. - المترجم.

Twitter: @ketab_n

أنَّهـا كانت مُطفأة وغِطاء العين مُسدل. أملتْ أنْ ترى المرأة آلة التصوير وتسألهـا عنها. لكنَّ المـرأة كانت قد كفّت عن الـكلام الآن وأخذت تسـرع خطاها في المشي، وتقدّمت قليلاً على أستريد. أخفضت أستريد آلة التصوير. وباشرت بأكل التفاحة. لم تكن تُدرك أنها جائعة هكذا.

هتفت: «كيف عرفتِ؟ أعني عن المطعم؟».

وحثّت خطاها لتلحق بها.

قالت المـرأة: «كيف عرفتُ؟ كيـف يمكـن أنْ يفوتنـي أمره؟ كيف يمكن ألا أعلم؟».

سألت أستريد: «هل لك صِلة بأهل المنزل؟».

توقفـت المرأة في الطريـق. إنها تنظـر بإمعان إلى الأرضـ. وفجأة تجلسـ القرفصـاء. ترى أستريـد نحلة هنـاك، تزحفُ علـى الإسفلت الخشـن، من نوع النحل الكبير، المكسـو بالزغب. أخرجت المرأة شيئاً مـن الجيب الخلفي لبنطلونهـا الجينز المقصوص من الأسفـل. إنها علبة صغـيرة. تفتحها من زاويتها وتخرج منها شيئاً تحمله في كفّها. ثم تغلق زاويـة العلبة وتعيدها من جديد إلى جيبها. تبصق في يدها. شيء مقزز. وتفـرك البصاق على راحة كفّها بإبهامها. تمسح ببصاقها الطريق ابتداءً مـن مكان النحلة، التي كانت الآن قد توقفـت تماماً لأنَّ شيئاً أكبر منها حجماً يقترب منها.

تنهض المرأة واقفة وتواصـل السير، وهي تلعق راحة يدها وتفركها على قماش بنطلونها الجينز.

Twitter: @ketab_n

تفكّــر أستريد في أنْ تسألها عن عمرهــا. تنظر إلى ساقي المرأة اللتين يكسوهما الشَعر. يــا للقذارة. إنها لم تر مثيلاً لهذا. وتنظر إلى القدمين الحافيتين، تسيران على أرض الطريق.

تسأل: «ألا تتألمين من السير على قدميك هكذا؟».

قالت المرأة: «كلا».

تسأل أستريد: «هل تعطّلت سيارتك؟».

إنهما تسيران على درب لم تتعرف أستريد عليه.

قالت المرأة: «إنَّ ركــوب السيارات فكرة سيئة جداً في عالم مُلوّث كهذا».

تقول أستريد: «هل أنتِ التي استأجرنا منها المنزل؟».

تقول المرأة: «أي منزل؟».

تقول أستريد: «المنزل الذي نستأجره».

أنهت المرأة أكل تفاحتها ورمت اللب في الهواء وعبر سياج.

تقول: «إنه قابل للانحلال البيولوجي».

تسأل أستريد: «لماذا فعلت ذلك هناك، بالقرب من النحلة؟».

تقول المرأة: «إنه إحياء».

تُخــرِج من جيبها كيس الطيب ذا الزاوية المطوية، وتحرص على طيّه

Twitter: @ketab_n

جيـداً، ثم ترميه نحو أستريد. إنه من النوع المربع الشكل الذي يضعونه في أوعيـة السُكّـر في المقهى، النوع المُـدوَّن عليه معلومـات عشوائية كتواريـخ مولد مؤلفي الموسيقى الكلاسيكيـة أو الكُتّاب المشهورين أو أسمـاء السيارات والأحصنـة الشهيرة التي فـازت في السباقات. على أحـد جانبيه كُتبَ «سُكّـر أبيض». على الجانب الآخـر هناك الصورة الممزقـة لطائرة مُقاتلة مع الكلمات «**الحـرب العالمية الثانية، ١٩٣٩ – ١٩٤٥. فُقِدَ فيها حوالي ٥٥ مليون نفس**».

تقول: «احتفظي به».

وازنـت أستريـد التفاحة وآلـة التصويـر ودسّـتْ السُكّر في جيب بنطلونهـا الخلفي.. على امتداد الـدرب الطويل والغريب والمرأة تتكلّم عـن كيف تتخلّص النحلات العامـلات، بعد انصرام فصـل الصيف، النحـلات الكسول من الخلية لأنـه لا يوجد ما يكفي من الطعام للنحل كلـه طوال فصل الشتاء وبعد تلقيح الملكـة ينتهي نفع النحل الكسول، وتتغـيَّر إدارة شؤون الخلية بسبب انتهاء فصـل الصيف، لذلك ما تفعله النحـلات العاملات هو أنها تمضغ أجنحة النحلات الكسول ثم تتركها تقع من الخلية إلى الأرض.

تقول أستريد: «وماذا يحدث لها بعد ذلك؟».

تقول المرأة: «تأكلها الطيور، ربما».

تقول: «إنَّ النحلات الكسول تبذل أقصى جهدها للتمسُّك بالنحلات التـي تطردها؛ تتشبّث بها بكلاّباتهـا وأطرافها أثناء مضغ أجنحتها»، ثم تقول «أما الآن، فالنحلات الكسول آمنة. الصيف ما زال في بدايته».

Twitter: @ketab_n

إنهـا خبـيرة في النحـل. وهي تُصفّـر الآن. تضع يديهـا في جيبيها وتواصل السـير على الدرب متقدّمة على أستريد، تصفّر لحناً كما يفعل الفتيـان. إنَّ أستريد تسير في دربٍ لا تعرفه مع امرأة لا تعرفها، وهاتفها المحمول مدفون في القمامة ولا أحد الآن يستطيع أنْ يقتفي أثرها.

هتفت لخلفية رأس المرأة: «كيف عرفت أنَّ اسمي أستريد؟».

تقول: «حسن، أمر سهل. الرجل أخبرني».

تقول أستريد: «أي رجل؟».

تقـول المرأة: «الرجل. الرجل الـذي في منزلك. الرجل الذي ليس والدك. أنا أيضاً ليس لدي أب. لم أقابل أبي أبداً».

ترمـي أستريد التفاحة التي لم تـأكل إلا نصفها. تتدحرج على حافة الطريـق. وتكاد تُسقِـطُ آلة التصوير، لكنها تُمسـك بها بجسمها وهي تنزلق. تتوقف. تقف في منتصف الطريق.

تقـول المرأة عندما تنحـدر سيارة عند المنعطـف أمامهما «سيارة». تقفـز أستريد جانباً. تحاول أنْ تتذكّر ما قالـت حتى الآن بصوتٍ عال. إنهـا لم تقُـلْ أي شيء عـن أي شيء. لم تقل أي شـيء. لم تذكُر إنْ كان لديهـا والد أم لا. تنعطـف السيارة بسرعة حولهـا وتشعر بالهواء لدى مرورها. وكأنَّ محرّك السيارة يهدر في أُذنيّ أستريد وعينيها، على الرغم مـن أنه لا توجد أي رياح وتلاشى ضجيـج السيارة وهذا اليوم العادي من شهر تموز يسوده السكون، والشمس ساطعة.

واصلـت المرأة السير. هتفت مـن دون أنْ تلتفت «أسرعي إذن، إنْ كنتِ قادمة».

Twitter: @ketab_n

لقد أصبحت الآن سريعة جداً. بدأتْ أستريد تركض. وأثناء محاولتها اللحـاق بالمرأة توضَّحَ لها الأمر. إنَّ مغزى كونهـا أول مَنْ يستيقظ في الصبـاح هو أنه لا يوجد أحـد غيرها، فقط أستريد، تتثاءب، شبه نائمة، تطـل من النافذة المفتوحة، توازن نفسها بمرفقيها على عتبة النافذة لكي تُصوّر بـزوغ الضوء. ليس هناك غير الطيور التـي تستيقظ، والأشجار التـي تتمايل مع هبـوب الريح، وحركـة المحاصيـل، لا سيارات على الطرقـات القريبة أو البعيـدة، لا كلاب تنبح، لا شيء. ولكن في صباح أحـد الأيام، ومن خلال عدسة آلة التصوير، التـي لها مجال رؤية طويل جداً، رأتها أستريد.

إنها هي.

إنها حتماً هي.

كانـت بعيدة جداً، كان هنـاك شخص جالس علـى سقف سيارة، سيـارة بيضاء، أستريد متأكدة مـن أنها سيارة بيضاء، متوقفة في الطرف القصـيّ من الغابة. بدا أنَّها تضع نظـارة أنفيّة أو ربما آلة تصوير من نوع ما، كأنها مراقبة للطيور أو خبيرة في شيء ما في الطبيعة. من الغريب أنها كانت تراقب الشخص الوحيد المستيقظ، وكاد يبدو، بشكل نموذجي ومُثـير للسخرية، أنها تراقبهـا في المقابل، والآن عندمـا تُقابلها أستريد علـى الطريق إذا بها تتكلَّم وكأنهما في منتصف حديث ما وكأنها تعتبر بداهةً أنَّ أستريد تفهم بالضبط عمّا تتكلّم.

تقـول المرأة: «اسمعي، إذا أخبرتِ أي شخص فسوف أقتلك. أنا جادّة. سأفعل».

Twitter: @ketab_n

التفتت المرأة ونظرتْ إليها. وبـدأتْ تضحك، وكأنَّ شيئاً أبهجها، شيئـاً مُضحـكاً جداً بحيـث لا يمكنهـا إلا أنْ تضحـك. رسمت على وجهها عينين جاحظتين في وجه أستريد وأدركت أستريد أنَّ سبب رسم المـرأة ذلك التعبير على وجهها هـو أنَّ لها هي عينين جاحظتين. كانت عيناهـا جاحظتين إلى درجة أنه كان في استطاعتهـا في الواقع أنْ تشعر مادياً بمدى اتساعهما.

مدّتْ المرأة يدها، ولا تزال تضحك، ووضعتها بحزم على قمة رأس أستريد ثم ضربت بقوة، مرتين.

قالت «أهناك أحد في الداخل؟».

بعد ذلك بفـترة طويلة، بقيَتْ أستريد تشعر بمـكان الضرب. أصبح شعورهـا بقمة رأسها مختلفاً تماماً عن شعورها بباقي جسمها، وكأنَّ اليد لا زالت هناك تلمسها.

ثمة أمرٌ بدأ حتماً.

Twitter: @ketab_n

بداية هذا = نهاية كل شيء.

لقـد كان جزءاً من المعادلة. أخذوا رأسها. ثبّتوه على الجسم الآخر. ثم أرسلوه بالبريد الإلكتروني إلى كل شخص. ثم انتحرتْ.

ذلك الضجيج في الخارج هو من الطيور. طيور السّمامة[٩]. إنها تُثير ضجيجها المسائي المعتاد. الطيور لا معنى لها الآن. والمساء لا معنى له. أخـذا رأسها. وضعاه على جسم آخـر. ووزّعاه عبر البريد الإلكتروني. ثم انتحرتْ.

كان يوم ثلاثاء. مجرد يـوم ثلاثاء. ماغنوس يعلم أنه لن يكون هناك مجـرد يوم ثلاثـاء آخر. في المعتاد كانـت هناك مجرد أيـام في الأسبوع حيث كل شيء يبدو طبيعياً. من المذهل الآن التفكير في ذلك الشعور. سـارا على طول الرواق، فقط هبطا الدَرَج الرئيس ثم سارا على طول الـرواق كما لو أنـه أي يوم ثلاثاء قـديم. كان يرتدي مـا كان يرتدي في صبـاح ذلك اليـوم. كانت مجـرد ملابس. الملابـس لم تكن تعني أكـثر من كونهـا ملابـس، حينئـذٍ. أكان يرتدي ذلك الجـورب؟ إنه يعلم أنـه كان يرتدي هذا البنطلون. لقـد كان يرتدي دون أدنى شك

٩ – السّمامة: تشبه طيور السنونو. – المترجم.

Twitter: @ketab_n

ذلـك الحذاء. هذا بنطلون المدرسة. وهـذا حذاء المدرسة. كانت مجرد نكتة. كانـا يضحكان حول كيف ستكون فكهة جداً. كان يضحك. كان هـو الـذي دفع الباب وفتحـه. لا يزال يشعر بالبـاب الذي ارتدِّ إليه بقوةحول مفصل الحريـق. استخدما آلات فحص جديدة. ولكن كان يمكـن لطفل أنْ يشغّلهـا، حتى بجهاز قديم. لقد كان إجراءً سهلاً جـداً. ولكن كلاهما كانا غشيمـين في استعمال الحاسوب. وما كان في استطاعتهمـا أنْ يقوما بالعمل لو لم يُرهما كيف يفعلان ذلك. أولاً فحصاهـا. ثـم فحصا الصورة الأخـرى. ثم جرّا الرأس إلى الصورة الأخـرى. ثم أرسـلا الصورة بالبريـد الإلكتروني عبر قائمـة الرسائل الإلكترونيـة. ثم استأنفـا أداء أعمالهما، وملابـس، وأحذية، وأروقة مدارس، ومنزل، وأيام الأسبـوع، يوماً بعد يوم، وعلـى امتداد أيام طويلة. وفي أحد تلك الأيام، انتحرت.

«هل طلع النهار؟». نظر ماغنوس بعينين تطرفان إلى الستارة المُسدلة على النافذة. يمكن إسدال الستارة ولكن يمكن رؤيته من خلفها. الضوء يجعـل عضلاته كأنها مُخدَّرة. يجعـل ذراعيه كأنهما قُدّتا من حجر. إذا كان ضوءاً، فسوف يتحول إلى ظلام. تناولا رأسها. وضعاه على جسم آخر. وأرسلاه إلى الناس. ثم انتحرتْ.

يعتـدل في جلستـه، ويُمسـك بطنه. يُضيّـق عينيه في وجـه الضوء، الظلام. في المدى البعيد البعيد، وكأنه ينظر إلى الطرف الخطأ من المُكبِّر، رأى صبياً. الصبي بحجم حجر صغير. إنه يلمع، كأنه مصقول. يرتدي ملابس المدرسة. يُلوِّح بذراعيه اللتين بحجم قوائم عنكبوت. إنه يتكلّم بصوت رفيع. يقول أشياء مثل **«شيء جيد»**، **«جودة»**، **«إنه محتال حقاً»**. إنـه يتكلم عن أشياء. يتكلّـم وكأنها أشياء هامـة. يتكلّم عن الحساب،

Twitter: @ketab_n

عـن كيف تنمو النباتات أو كيف تتكاثـر الحشرات أو عن شكل داخل عـين الضفـدع. يتكلّم عن الأفـلام، والحواسيب، والثنائيـات. يتكلّم عن تكـوّن إضاءة الهولوغـرام hologramالمُجسّمة. هـو نفسه نِتاج أشعـة الهولوغرام[١٠]. إنه خليقة أشعـة الليزر، والعدسات، والحاملات البصريـة، وطاولة بصرية للذبذبات المعزولة. إنـه خليقة ضوء ثابت. إنه يتكلـم عن الأمر بصوتـه الرفيع والعالي. يقـول إنَّ الضوء الثابت رائع. ممتاز. إنَّ لديـه المعلومات الضرورية كلها عن شكله، وحجمه، وبريقه. إنـه فرح بصورة مُقززة بنفسه. إنه في الواقـع محتال تماماً. إنه فقط يبدو كأنَّ لـه أبعـاداً. إنه نِتاج ثلاثي الأبعاد لشيء غـير موجود حقاً. وهو لم يوجـد أبداً حقاً. انظـر إليه. إنه محظوظ. أولاً، هـو غير موجود. وهذا مـن حُســن الحظ. وثانيـاً، هو ضئيل جـداً. في إمكانـه أنْ ينزلق مختبئاً تحـت عقب الباب. يستطيع أنْ يمر من خلال شق في الأرضية الخشب. ثالثـاً، هو في ذلك الزمـان، السابق. أما ماغنوسـ الحقيقي فهذا، الآن، الضخم، الـذي لا يمكن تجنّبه. ماغنوس الحقيقـي أضخم مما ينبغي. إنه كتلة ضخمة، هائلة، كحـوتٍ جانح على الشاطئ، كبير كعملاقٍ بشع يتخبـط في مشيته. ينظر إلى ذاته السابقة وهو يتكلم بصوت رفيق حاد، لامعـاً، يتنقَّلُ بجهد بقدميـه العملاقتين وكأنَّ كل قَـدَم جبل، أو تجربة مُثـيرة أو مغامـرة. وليست لدى صبـي الهولوغرام أية فكـرة لِمَن تلك القَـدَم. صبي الهولوغـرام لا يستطيع حتى أنْ يتخيَّـل وجود مثل تلك الأبعاد الهائلة الضخامة. أولاً هُم. هُم ثمّ. ثم هُم. ثم هي.

ينبطـح ماغنوس على وجهه على الأرض. إذا كان حقاً حوتاً، حتى وإنْ كان حوتـاً جانحـاً علـى الشاطئ، فسوف يبقى ممكنـاً. وإذا كان

---

١٠ – أي أنه صورة وهمية، كالسراب. – المترجم.

Twitter: @ketab_n

سمكـة، أي نوع من الأسماك، داخل المياه أو خارجها. فسوف يكون ممكناً مواصلة التنفُّس. أو سوف يكون من دواعي الارتياح، والتخبُّط، والفـزع، والعجز عن التنفُّـس. إذا كان كانت له مخالـب أقدام حيوان تـترك آثار خـبّ مخالب على طول شاطئ من الرمـال. وإذا كان كلباً ذا مخ كلب. يمكنه أنْ يكـون كلباً بين حين وآخر. فسوف يكون مخلصاً. سوف ينتظر طوال النهار في المنزل فقط ليعود أحدهم إلى البيت. سوف يستمتع بالانتظار. سوف يأكل من الوعاء. سوف يشرب باللعق بلسانه. سوف يُنفّـذ ما يؤمر. سوف يؤدي خِدعاً سخيفـة. سيكون ذلك شيئاً لامعاً. سوف يكون أي حيوان. يمكن أنْ يكون حيوان الغرير[١١]. يمكنه أنْ يعيش داخل الأرض. يمكنه أنْ يأكل الديدان. يمكنه أنْ يحفر بمخالبه. ويمكن أنْ يُعثَر على التراب بين براثنه. يمكنه بكل سرور أنْ يكون حيوان غرير. غرير Bad ger. حتى الكلمة تجلب الحظ. نصفها فقط سيئ[١٢]. ماغنوس نفسه كله سيئ. كان سيئاً دائمـاً دون علمه. لقد آمن بضوئه الثابت. وكان على خطأ. كان سيئاً. كان سيئاً دائماً. إنه ثمرة عفنة تتدلى من غصن. إذا ما التقطه أحد، وفتحه، فسوف يرى. العالم بما فيه من أيام ثلاثاء، وتشكيـلات أشعة البولوغرام، والحيتان، والسمك، والكلاب، والضفادع، وحيوانات الغريـر المتنشّقة ذات العيون الرطبة، تفرّ هاربة منـه. تفر وحدها وكأنه يُشاهد عـبر المُكبِّر فيلما قديماً عن صيد الثعالب في إنكلـترا العجـوز، وأبواق الصيد المرحة بموسيقاهـا التي تتلاشى مع اختفـاء الثعلب ومن ثـم تتراجع ظهور الجياد، وظهـور الصيادين. فتى

---

١١ – الغرير: حيوان ثديي قصير القوائم يحتفر في الأرض أوجرةً يسكن فيها.

١٢ – بالإنكليزية حيوان الغرير تكتب badger، وعندما تُقسَم إلى لفظَين تصبح bad ger، والنصف الأول bad يعني سيئ. والأمر كله لعب بالألفاظ. – المترجم.

Twitter: @ketab_n

أشعة الهولوغرام يرسم ابتسامة صبيانية، يُلوّح بمنديله كأنما مودّعاً، ثم أعياد الميلاد كلها، وأعياد الفصح، وعطل منتصف العام الدراسي، وعطل الصيف تخبو، تغيب. يزيح ماغنوس اللحاف عن السرير. ثم يجرّه، ثقيلاً، فوق رأسه ومع ذلك يبقى قادراً على التنفُّس، حتى تحت ثقله. الديدان تنهشه. ثمة تراب تحت أظافره. العِظام، والعضلات التي تُثبّت الجسد إلى الرأس انكسرت وتقطّعت. إنها النهاية. واللوم يقع عليه. أراهما كيف يفعلان. وفعلا. وضعا رأسها على جسد آخر. وأرسلاه عبر قائمة العناوين الإلكترونية. وانتحرت.

كان ماغنوس يُصعَق في كل مرة يُفكّر في الأمر. ما يصعقه حقاً هو أنَّ لا شيء يحدث. لا شيء يحدث في كل مرة يُفكر في الأمر. ألم يكن لهذا أهمية؟ أليست له أهمية؟ أخذا رأسها. وضعاه على الجسد الآخر. على الرغم من أنّها كانت كذبة تحولت إلى حقيقة. أصبحت نفسَها أكثر من نفسِها. عندما وصل إلى المنزل في يوم الثلاثاء ذاك نظر في بريده. وَمَضَتْ الرسالة أمامه. هو أيضاً كان موضوعاً على قائمة العناوين الإلكترونية. نقر عليها. ها هي. الصورة مضحكة. ضحك. إنه يفكّر في الأمر الآن. يجمد. ها هو يظهر، ثم يختفي. وفي كل مرة يفكّر في نفسه واقفاً ينظر إلى الصورة التي صنعاها، وحده، في غرفته. كان منهمكاً في الأمر كله. في كل مرة، يظهر من جديد. أه. إنه شنيع جداً. لا يستطيع أنْ يتوقف. لقد حاول. حاول أكثر، ها ها. كانت مضحكة جداً. الطريقة التي وُضِعَ بها الرأس على الجسد. الطريقة التي عُرِضَ بها ثدياها. طريقة لم يعرفها أحد. ولكن هو عرفها. والآن هو يضحك من جديد، ومتخشب كالجحيم. إنه قبيح. لقد تغيَّر عندما غيَّرها. لقد قطع رأسه هو من دون حتى أنْ يعلم. وانتقل الرأس إلى جسدٍ لا يعرفه. إذا

Twitter: @ketab_n

نظر في المرآة فإنه يبدو تماماً كما في السابق. لكنه لم يعُد كما في السابق. إنَّ رؤيـة منظـره الجديد يُشكل صدمة. هي أيضـاً رأتْ أنها تغيَّرتْ. لم تعرف أبداً مَنْ فعل ذلك. إنه هو. هو فعلها. ماغنوس هو الله. في الواقع لا وجـود لله. هناك فقط ماغنوس. لعلّ صبي أشعـة البولوغرام يؤمن بوجـود الله. لقد رأى صبي أشعة البولوغـرام الله بشرياً أكثر من البشر، يتنقَّـل بين المخلوقـات الأدنى من البشر كظهـور الشخصيات الشهيرة أسبوعياً بـين الدُمى في استعراض الدُمـى. كان صبي البولوغرام يتخذ شكل قائد. ألقى خطاباً في تجمُّع إحياء ذكرى الجنود الموتى في الحربَين العالميتـين. إنَّ عمل صبـي البولوغرام هو وضع إكليـل الزهور، وقيادة المُصلّين بأصواتهـم الحادة، لكي لا ننسى. لكنَّ صبي البولوغرام ينسى دائماً. كان محظوظاً. كان عقل صبي البولوغرام يتألف فقط من الضوء. ليـس هناك نسيان الآن. ولن يكون هناك نسيان بعد الآن. التذكُّر يشبه الظـلام. أصبح الظلام يحدث أكـثر. وكأنَّ الإصابة بالبرد تحوّل الضوء إلى ظلام. تماماً كما حصل عندما أُصيبَ بالبرد في شهر كانون أول عام ١٩٩٩ وشهـر كانون ثاني عام ٢٠٠٠. المسلسلات القديمة التي كانت تدور حول الألمان الذين هبطـوا إلى الأعماق بالغواصة وكانت تُعرَض في كل يوم على التلفـاز، الضغط، وما إذا كانوا سينجون وهم في ذلك العمق أم لا. حدث ذلك للمرة الأولى بعد يومين من علِمه أنها انتحرتْ. كان واقفـاً، فقط واقفاً، عند موقف حافلة بجوار شجرة. كان للشجرة غصن بارز. فوق الشجرة، وحـول الغصن، ازدادت ظلمة السماء. ثم ساد الظلام كل شيء. ولكن لا شيء تغـيَّر. كانت السماء زرقاء. خالية مـن الغيوم. بدا كأنَّ لا شيء تغـيَّر. كان الأمر يستفحل، والظلام يُصبح أشـدّ حلكة. تلاشى بعد أنْ نام. ثم عاد من جديد في الأسبوع التالي في المقهـى. ثم تلاشى. ثم عاد، أشد حلكة. بلا سابق إنذار. كأنكَ في دار

Twitter: @ketab_n

للسينما تنتظر إطفاء الأنوار. إنَّ شيئاً داخل عقلك يعلم أنَ الأنوار سوف تُطفأ في أية لحظــة. لذلك أحياناً تشعر أنها انطفأتْ بينما لم يحدث أي شــيء، لم يتغيَّر أي شيء. ظل ذلك يحدث معه. سبّبته تأثيرات عارضة. هو سبّبهــا. غيَّر صورة العالم. عبثا قليلاً برأسها إلى أنْ أصبحا سعيدَين. راحا يُغيّران وضع العنق. ثم وضعاه. ثم انتحرتْ.

لعل أربعين شخصــاً في الصف السادس الأعلــى شاهدوا الصورة. ولعــلّ ستة وعشرين شخصاً في السادس الأدنــى شاهدوها. لا يستطيع ماغانوســ أنْ يُحصي عدد الآخرين الذين مــن الممكن أنهم شاهدوها، أو لا يزالــون يُشاهدونهــا. هنــاك مُحاضرة ستُلقــى في التجمُّع، لاحقاً. قال ملتــون على الأشخاص الذين أرسلوها أنْ يتقدّموا. قال إنها سترى النــور. وعندما ستفعل سيصبح الأمر بالنسبــة إليهم أسوأ إذا لم يتقدّموا الآن. ولكن لا يمكن اقتفاء أثرها. لا سبيل إلى اقتفاء أثر رسالة إلكترونية في طريــق عودتها إليهم. عثر أنطوان على رمــز منطقة بريدي لمكان ما في الولايات المتحــدة. حصل عليه من خلفية المجلة. كانت الرسالة من «مايــكل جاكسون». وعندما تفقّد ماغنوســ بريده في ليلة يوم الثلاثاء ذاك ظهــر له هذا الاسم. وضحك. رأى أنه أمر ظريف جداً، أنْ يكون جزءاً منــه. كان موجوداً في الغرفة عندما دخــل عليه جيك ستروذرس للمــرة الأولى مع الصــورة الفوتوغرافية. جيك ستروذرســ سرقها من مكتــب المدرسة. كان جيك ستروذرس قــد أُرسِلَ ليوصل رسالة ولكن عندمــا وصــل إلى هناك كان المكتــب خالياً. كان بــاب خزانة الملفات مفتوحــاً على مصراعيه. نظر داخلها. وجــد الصورة الفوتوغرافية على ملفّهــا. كانت في غرفــة صف السادســ الأدنى. بالقــرب من واجهة المخطوط. دخلت السيدة جيــك ستروذرس إلى غرفة الجلوس، وأرتها

Twitter: @ketab_n

لأنطون. كان أنطون يضع المجلة في الخزانة. أخرجها، ووضع الصورة داخلها. جنّ جنون جيم ستروذرس. «أرجوك لا تفعل إنك تثنيها». كان جيك ستروذرس قد أبدى رغبته في الخروج معها. لهذا سرقها. لم يرغب في صورة تظهر على الهاتف. أراد صورة لم تؤخذ خِلسة. ثم نظر جيك ستروذرس في الواقع إلى المُركّب الذي شكّله أنطون من ثنيها. ضحكا كلاهما. لم يُخبراه أو يُرياه. كانا يعلمان أنه لم يكن قد فعل ذلك بعد. كان في استطاعتهما أنْ يشعرا بذلك وكأنه مكتوب على جبينه. قال أنطون: لستُ مسؤولاً عمّا يحدث للمثليين جنسياً. قال ماغنوس إنه ليس كذلك. قال أنطون: أنا أصدّقك، حقاً. ولكني لستُ مسؤولاً أيضاً عما يحدث للأبرياء الذين يرون أشياء ليسوا مستعدين لها بعد. كان أنطون على حق بهذا الشأن. لقد كان صبي الهولوغرام نقياً جداً. لاحظ صبي الهولوغرام أطرافه المتيبّسة كأنه يُراقب تجارب علمية مُثيرة للاهتمام. عند تلك النقطة كان لا يزال صبي هولوغرام. عند تلك النقطة كان صبي الهولوغرام لا يزال تحت تأثير وهم أنه ماغنوس سمارت. كان ذلك اليوم لا يزال يوم ثلاثاء عادياً. عَلِمَ ماغنوس سمارت شيئاً لا يعرفانه. يمكن لطفل أنْ يفعله لمجرد المتعة. أنطون، وجيك ستروذرس ليست لديهما أية فكرة. كانا جاهلين بأمور الحاسوب. أخبرهما ماغنوس سمارت أنَّ هناك شيئاً يُريد أنْ يُريهما إياه. حدث ذلك بعد انتهاء دوام المدرسة. لم يكن هناك أحد في المكان. سارا على طول الرواق مروراً بعمال التنظيف. وهبطا الدرج الرئيس. كانت المدرسة خالية، خاوية، كبيرة كالحوت. سارا خلاله كأنهما داخل أضلاعه. أما الآن فماغنوس أكبر حجماً، وأضخم من المدرسة. إنَّ لديه من المعرفة أكثر مما في المدرسة كلها. دفعا الباب وفتحاه. ماذا ترى عندما تنظر إلى صورة أحدهم؟ هناك مقال في الصحيفة. يقول:

Twitter: @ketab_n

مأساة خسارة كاثرين ماسون التي التحقت بمدرسة دينز. إنها شخص سعيد وكريم ومحبوب وفتاة مؤدبة وذكية وصديقة وفيّة سوف يفتقدها أصدقاؤها كلهم كعضو متحمّس في جمعية صقل الحجارة الكريمة. الصورة الموجودة في الصحيفة هي صورة المدرسة. كانت هي نفسها. إنَّ ماغنوس يعلم أكثر منها. ماغنوس يعلم أكثر مما تعرفه عائلتها، حتى في الوقت الحاضر. من كل الذين تلقّوا الرسالة الإلكترونية، كل الذين قرؤوا الصحيفة، يعلم ماغانوس أكثر مما يعلمون جميعاً. أنطون يعلم. جيك ستروذرس يعلم. لا أحد سيعلم أنَّ لماغنوس أية صِلة بهما. معروف أنَّ سمعتهما سيئة. معروف أنه طيب. تقابلوا عند البوابة الجانبية وكأنما مُصادفةً كانوا فقط يتمشون بإيقاع خطى واحد في طريقهم إلى المنزل عائدين من المدرسة. كان أنطون ينظر إلى الأرض وهو يمشي. قال: لا أحد يجب أنْ يعلم، لا أحد يجب أنْ يتكلم. واتفقوا جميعاً، هزوا رؤوسهم موافقين دون أنْ يقولوا شيئاً، لا أحد سيعلم. لكنَّ ماغنوس يعلم. إنه منتفخ بالمعرفة.

هو فعل.

هم فعلوا.

ثم هي فعلت.

انتحرتْ.

يهزّ ماغنوس رأسه بقوة من تحت الغطاء. يردّد الكلمات لنفسه من جديد. لقد. انتحرتْ. لا شيء. لا فائدة من الكلمات. إنها لا تعني أي شيء. لا تنجز أي شيء. يزيح الغطاء عن رأسه. لا يزال في

Twitter: @ketab_n

غرفته. إنهم يقضون عطلة في نورفوك. أما زال الظلام سائداً؟ لا يهم. كاثرين ماسون. ينطق اسمها بينه وبين نفسه. كاثرين ماسون كاثرين ماسون كاثرين ماسون. لا يهم لا يهم لا يهم. إنها سعيدة، وكريمة، ومحبوبة. أصدقاؤها يُحبونها. يضع رأسه تحت الغطاء من جديد. كانت على حق. كانت مهذّبة. ذهبت إلى نادي صقل الحجارة الكريمة. في نادي الأناقة يصقلون الحجارة ليصنعوا منها أشياء، كالحلي أو أزرار الأكمام. سوف تحتفظ بالأشياء التي تصنع في طاولة زينتها في غرفة نومها. ها هي، مع الحاسوب، في غرفة نومها. إنها غرفة نوم أنيقة خاصة بفتاة. لديها مُلصقات تمثّل مغنين وصور لمشاهير التلفاز، وصور مُقتطعة لأحصنة، وصِغار الحيوانات، ونمور ودببة قطبية. إنها اللحظة التي تفتح فيها رسالة إلكترونية تقول إنها من مايكل جاكسون. تنقر عليها. تحدّق إلى الشاشة. أه. لا يهم. لا يهم. لقد مرّ بها ذات مرة في الرواق. إنه ليس حتى متأكداً من أنها كانت حقاً هي. كانت مجرد فتاة. كانت مع مجموعة من الفتيات يضحكن بأصوات عالية. كنّ مخيفات. كنّ ذاهبات لحضور درس اللغة الفرنسية. كنّ يأكلن رقائق البطاطا، يتدافعن عند باب غرفة الدرس. كنّ يصرخن قائلات، ما أسخف الكلمة الفرنسية التي تعني إطارات، *Les pneus*. أكانت هي؟ إذا كانت تلك هي الفتاة إذن فقد تجاوز أحدهما الآخر لا يفصل بينهما أكثر من نصف متر دون أنْ يعلما. لم تعلم مَنْ هو. ولا هو كان يعلم، مَنْ هو. إنها محظوظة. إنها ميتة. لا تشعر بأي شيء. هو أيضاً لا يشعر بأي شيء. لكنه ليس ميتاً. بعد ذلك، سرَت الشائعة في أرجاء المدرسة. ثمة فتاة من دينز انتحرتْ في حمّام منزلها. عثرت عليها أمها أو أخوها. سمع الإشاعة أثناء درس الرياضيات. يريد تشارلي أنْ يُضيف مساحة من الأرضية مقدارها ١٨ متراً مربعاً إلى خلفية منزله. يريد أنْ يستخدم

Twitter: @ketab_n

أقلّ عدد ممكــن من حجارة الآجر، لذلك يريد أنْ يعرف أصغر مساحة يستطيع أنْ يستخدم. اكتب تعبيــراً يدل على المساحة باستخدام رمزيّ x، y. الحســاب هو علــم التحديد، خاصــة فيما يتعلق بنســب التغيُّر. هنــاك ما يُشبه الحرب الدائرة حول مَنْ اكتشفــه أولاً، إنْ كان ليبنتز أم نيوتن. إنَّ ليبنتز اخترع إشارة المساواة (=). الرياضيات = العثور على البسيــط في المُعقَّد، على المحدود في اللا محدود. يجلس على السجادة، مُمسكاً بقدميه. كان يــوم ثلاثاء. قال الهامس إنها مشنوقة (hung)[١٣] نفسهــا. ســارة تسير مع أخيهــا ستيفن من المنــزل إلى المدرسة كل يوم. ذات يوم حــدّدا وقتاً لنفسيهما. عندما وصــل ستيفن إلى المدرسة قال: استغــرق مني المشوار ٦ دقائق وثماني ثــوان. وعندما وصلت سارة إلى المدرســة قالت: لقد استغرق مني مــن ٦ إلى ٧ دقائق. فأي الجوابين هو الصحيــح؟ صبي الهولوغرام، الذي يوشك أنْ ينتسب إلى الجامعة، قال بصوته الحــاد داخل رأسه إنَّ كلمة (شنقــت hanged) أصحّ من كلمة (مشنوقــة hung). تصحيــح. لا وجود للجامعــة. في الغالب الجامعة ليست حقيقية. الجامعة تُثير الضحك. الحساب يُثير الضحك. كل شيء نكتة. حتى أيام الأسبوع تُثير الضحك. كان يوم ثلاثاء عندما سمع النبأ. إذا لم يكــن، في يوم الثلاثــاء ذاك الأول، موجوداً في غرفة الجلوس بعد انتهــاء دوام المدرسة. إذا لم يكن يعــرف الكثير. إذا لم يكن هناك. إذا لم يكن. فهم لم يكونوا. وما كانت فعلت. ربما كانت لا تزال.

ذلــك الضجيج هو لشخصــ يقرع باب هذه الغرفــة. يرفع رأسه من تحــت الغطــاء. فوق البــاب يوجــد عارضة خشبيــة ناتئة. لعلهــا ليست أصليــة. بنطلونه الجينز مكوَّم على الأرض. قميصــه ذو الأكمام الطويلة

---

١٣ – الكلمة مكتوبة خطأً عن عمد. بعد قليل سيتم التصحيح. – المترجم.

Twitter: @ketab_n

مكـوَّم أيضاً بجـوار البنطلون. الملابس كلها التي جلبهـا إلى هنا مكوّمة بجـوار المغسلة. تدخل هي من بـاب الحمّام. تجلس علـى حافة حوض الاستحمام. إنها مُحاطة بستـارة الدش. ما هذه الرائحة؟ معجون أسنان، صابون، مواد تنظيف. سوف تكون هناك قطعة سجاد تحت قدميها. لعلّ السجـادة لا تـزال رطبة من أثر آخر شخص كان يستحـم أو يأخذ دشاً. لابد أنها كانت داهية تماماً. ليست هناك أماكن واضحة كثيرة في الحمّام. عندما تفكر في هذه الغرفة تجد أنَّ انتقاءها أمر غريب. ولكن بعد التفكير قليـلاً يُصبح الأمر مفهوماً تماماً. أنت تدخـل الحمّام ثم تخرج منه. أنت لا تمكث مدة طويلة. وفيه تتخلص من قذارتك كلها. وفيه تصبح نظيفاً. تنظر إليه من حافة المغطس. إنها مؤدبة، وذكية. إنها ترتدي زيّ المدرسة، كما في الصورة. إنها تنظر إليه مباشرة.تهزّ رأسها. إنها ميتة. إنها لا تنظر إليه، لم يعد في مقدورها أنْ تنظر إلى أي شخص. إنها تمسك برأس الدش كأنَّه عضوها هو الذي ينتصب، لا عضوه. تهزّه في وجهه. ترنو إليه.

ذلـك الضجيج هو من جديد لشخصـص يقرع الباب. شخص يهتف بشيء. يبدو غاضباً.

يهتف ماغنوس «لا بأس. كل شيء على أحسن ما يرام».

يبـدو صوته غريبـاً. كأنه ينبعث من بطنه. يُدهشـه أنه لا يزال هناك تواصُل بين جذعه ورأسه.

هتـف الصوت من خلـف البـاب «ماغنوس، متى اتَّصـلَ؟». كان صـوت أمه. الكلمات لم تكـن غاضبة بحد ذاتها ولكـنَّ جرسها كان كذلك. «انزل الآن»، «حسنٌ. حسن». هذا كل ما كان يقول منذ أيام. إنه شنيع، كاذب. حسن.

ينهض ماغنوس يشعر بدوار بسبب الوقوف. يسير قاطعاً أرض الغرفة. ثم يُلاحظ ذراعه العارية فوق يده. يلاحظ صدره. ينظر على أسفل. إنه لا يرتدي أي شيء. يعود أدراجه إلى الغرفة. يرتدي القميص. يُمسك بزر، ويُثبّته إلى الثقب في الجهة المقابلة. لكنه لا يتمكن من فعل ذلك. يرتدي بنطلون الجينز، ويشدّه على جسمه. يتناول السحّاب، يضع إصبعاً هنا، إبهاماً هناك. يبذل مجهوداً. يرتفع السحّاب.

يفتح قفل الباب. فوق ثقب المفتاح للباب مزلاج. يتظاهر بأنه باب قديم أصيل. لعل كل ما يوجد هناك لم يعُد أصلياً. لعل كل ما هو موجود زائف. يفتح ماغوس الباب. القاعة شديدة الضياء. هذا نوع الضياء الذي يُصبح ظلاماً. هناك الباب المؤدي إلى الحمّام. مُثبّتة عليه رقعة مستطيلة صغيرة مكتوب عليها كلمة حمّام بخط ملتوٍ مع رسمٍ يمثّل وعاء ماء إلى جوار الكلمة. الأزهار تنمو من الكلمة، من خلال الأحرف، والحرف الكبير B. يُغمض ماغنوس عينيه. إنه يتفصّد عرقاً. يتحسَّس طول الجدار بيديه، يتحسس بأصابع قدميه الموقع الذي تتحوّل فيه الأرضية إلى دَرَج. يفتح عينيه قليلاً عندما يعلم أنَّ عليه أنْ يجتاز باب الحمّام. يهبط الدَرَج.

في الصالون يعود إلى مواجهة باب الغرفة التي يأكلون فيها كل ليلة.. يتقدَّم نحوه، يقف أمامه. يرفع ذقنه فوق صدره. «لا بأس». يفتح الباب.

هناك أمه. هي لا تعلم أي شيء. إنها تقول شيئاً. يومئ ماغنوس برأسه. يرفع الطبق من مكان على الطاولة التي لا يجلس عليها أحد. تتناول أخته الطبق منه. هي أيضاً لا تعلم. إنها تضع شيئاً على الطبق من

Twitter: @ketab_n

صحن علـى الطاولة. الغرفة تفوح برائحة السمك. مايكل يقول شيئاً. إنـه لا يعرف أي شيء. إنه يُشـير إلى شيء ما. ماغنوس يومئ برأسه. إنه يأمـل في أنْ تكون تلـك الإيماءة هي ما يحتاجون. يومــئ برأسه مراتٍ عــدّة، كأنه يعــرف تماماً لماذا يومئ. نعم ، نعــم، حتماً. لا داعي للقلق. يتناول السكين ثم الشوكة من المكان. يدسّهما في المكان الذي ينبغي أنْ يكــون فيه الجيب الخلفي. لابد أنهما اختفتا داخلها. فلم يصدر صوت يدل على أنهما سقطتا علـى الأرض. يستطيع أنْ يشعر ببرودتهما على ظهــره. البرودة مدهشـة. مــن المدهش الشعور بأي شــيء. الشعور لن يدوم.

يقــول ماغنوس «إذا لم يكن لديك مانع سآخذ هذا معي إلى غرفتي. اعذريني من فضلك. شكراً جزيلاً لك».

إنه مؤدب. هو يُشبهها. هي كانت مؤدبة، وذكية. *Lespneus*. أمه تقــول شيئاً. تبدو أشبه بعلامة تعجُّب. أختــه تناوله طبقه. يتناوله بيديه الاثنتين لكي لا يوقِعه. السمكة التي فيه ميتة. إنها مقطوعة الرأس.

الباب يترنّح قبل أنْ ينغلق خلفه.أمامه الدَرَج. تسوده العتمة. الباب الذي يحمل كلمة حمّام يقع فوقهم.

يســير ماغنوســ نحو الباب الأمامــي. يضع الطبق علـى السجادة. يفتــح الباب، ويرفع الطبق من جديد. الضوء مُبهر في الخارج. البريق لا يُصدَّق. يحني كتفيه. سيهبــط الظلام قريباً. ذلك الضجيج مجرد حركة الريح بــين أوراق الشجر، وضجيج الطيور. الطيــور كالكابوس. إنها تصدر الضجيج نفسه، مرة، بعد مرة، بعد مرة. الأوراق الخضراء تُصدر همســاً. الطيور لا معنى لها. إنها تُصدر ضجيجــاً لكي تتكاثر لغايات

Twitter: @ketab_n

وراثية. الأوراق الخضراء لا معنى لها. الأشجار لا معنى لها. إنها تدعم حيـاة الحشرات التي تموت فور ولادتها تقريباً. الأوراق الخضراء تساعد علـى إنتـاج الأوكسجين الذي يُساعـد الناس علـى التنفُّس، ثم يكفّ الناس عن التنفُّس. والحشرات تلقّح ثلث الطعام الذي يأكله الناس الذين يُعاملـون الناس الآخرين معاملة فظيعة، النـاس الذين سيموتون بسببه. صبـي الهولوغـرام: *عثّ دود القز المُخصـص للتوالد في شـكل يرقة يمكن أنْ تحول أوراق نبات التوت التي تأكل إلى نصـف ميل خيط الحرير المتواصـل الأقوى من خيط من الفولاذ بالسـماكة نفسها*. المعلومات سخيفة. إنها تُثير الضحـك. إنها مفيدة جداً وهي بـلا معنى. الضجيج الآخر هو صوت سحق قدميه هو على الأرض المُحصّاة. إنه لا يتألم كثيراً. ينظر إلى أسفل نحـو الأرض وهـي تتحرك من تحته. إنـه لا يتألم الآن لأنـه يمشي على الحشيش.

إنه على جسر صغير. تحت الجسر نهرٌ متخثّر. يميل فوقه، يزيل السمك عـن طبقه بيده. معظمه يستقر في المياه. جزء من طرف الذيل ينقصف، يستقر على شجيرة على الشاطئ. يُسقِط الطبق بعد سقوط السمكة. ثم يُخرِج السكين من جيبه الخلفي، ثم الشوكة. يُسقطهما أيضاً.

الشُجـيرة من النوع الشائك. يميل نحوها لكي يلتقط قطعة السمكة التـي أفلتت. عندما يحصل عليها، يذهب إلى حافة النهر. يخوض فيه، ثم يغمر القطع الصغيرة في الماء وهي في يديه. يدعها تطفو خارج يديه. تتمايل ثم تغرق، تتباعد، مُستقرة حول قدميه.

يجلـس ماغنوس على الضفة على بقايـا الأوراق، والأعشاب البرية. بنطلونـه الجينز مُبلل حتى فخذيـه من النهر. ذات مـرة في العام الفائت

Twitter: @ketab_n

جـاءت فتاتان مـن المدرسة بحثـاً عنه. كان يـوم أربعـاء. كان في نادي الشطرنج. أخبرته أستريد لاحقاً. كانت في الحديقة. مدَّتْ الفتاتان رأسيهما مـن فوق البوابة. أهنا يعيش ماغنوس سمـارت. أهذه أخته. سألها: «أية فتاتـين؟»، لم يُصدّق الخبر. كان أمـراً لا يُصدَّق. «كيف كان شكلهما؟» قالت أستريـد: «لا تسألني. لم أميِّزهما. كانتا أكـبر مني بكثير. كانتا في مثل سنك، في السادسة عشرة على الأقلّ. واحدة منهما كانت تزيِّن سرّة بطنهـا». قال: «ولكن ماذا كانتا تريدان؟». صبي هولوغرام. كان يشرق بالذهـول. قالت أستريد: «كانتـا تريدانك. لكنك كنـت في الخارج». ولماذا ترايدانني؟ (صبي هولوغرام. كان يشرق بقوة) قالت أستريد: «في الواقـع أ أ أ». كانت ترمي الكرة إلى الجدار بجوار النقوش المصرية، وهو من أشد الأعمال لا شرعيّـة لو عرفت إيف ذلك، وتمسكها، وترميها من جديـد، وتمسكها، وترميها من جديد. كانت النقوش تهتز عندما تضرب الكرة الجدار. قال: «كلا، حقاً، ماذا؟». قالت أستريد «أخبرتهما أنك لا تقيـم هنا ، قلت لهما إنـك تعاني من رائحة جسم كريهة وعليك أنْ ترى طبيبـاً بهذا الشأن. قلت إنك ذهبت إلى عيادة مختصة لتلقّي العلاج. قلت لهمـا إنَّ كنيتك هي وانكستاين. قلت لهما إنك مثليّ. لقد كانتا قبيحتين جـداً. واحدة سرّة بطنها ملوّثـة. والأخرى لها ندب كهذا على وجهها. وكلتاهما تفوح برائحة سمك ميت تُثير الاشمئزاز».

أمسـكَ بالكرة وهي في الهواء. راح يهبط الدَرَج مسرعاً إلى الطابق الثـاني وهـي وراءه تصرخ أعِدهـا إليّ ماراً بغرف النـوم، وقبضت عليه مـن ذراعه عندمـا ارتقى السلّـم إلى العلّيـة. رماها من النافـذة المائلة، فسقطـت عميقاً داخـل شجيرة و لم تعثر عليها أبـداً. قالت إنَّ الكرة لا تهمّهـا فذهـب إلى غرفتها ليُحضر جهاز ألعـاب الفيديو القديم الخاص

Twitter: @ketab_n

بهـا. ورماه من النافذة إلى الأكمات في الأسفل. لقد حاول على امتداد ليال طويلة أنْ يعرف من كانت تينك الفتاتين. وضع لوائح داخل رأسه بأسمـاء الفتيات اللائي لهنّ سُرّة مثقوبة، علـى الأقلّ باللواتي يعرفهن. مـن المذهل أنْ ترغب فتاة تثقب نفسها في المجـيء إلى هذا منزله. كان قـد تمدد على السريـر واستمنى باستخـدام جورب متخيـلاً أنَّ إحدى تينـك الفتاتين هـي آنّا ليتو. وفتاة كآنّـا ليتو لا يمكـن أنْ تأتي إلى منزله بحثـاً عنـه، أليس كذلك؟ هي حتمـاً تثقب نفسهـا. كان شيئاً عبقرياً. خاضـت سباق المائة متر ركضاً. ليس من المفترض بالرياضيين أنْ يثقبوا أنفسهـم. حاولوا أنْ يزعجوها بسبب ذلـك ولكنها كانت دائماً تحرز لصالـح المدرسة الانتصارات التي لم يتمكنوا من إنجازها. وحتى بعد أنْ ذهب الجنود إلى العراق ظلّت آنّا ليتو تناهض الحرب. وهذا دفع الكثير مـن الأشخاص الآخرين إلى أنْ يحذوا حذوها. وآمن صبي الهولوغرام بالنظـام في مقابل الفوضى العارمة. من الواضح أنَّ بعض الدول كانت تعلم أكثر عن النظام الجديد من أخرى. ولكن إذا كانت آنّا ليتو تناهض الحـرب فليس كل المستهترين كانوا تواقين لمغادرة دروسهم لكي يُعبّروا عـن احتجاجهم على كائناً ما كان. حتـى صبي الهولوغرام كاد يقتنع. ماغنوس يفكّر في اللحظة التي نهضت فيهـا آنّا ليتو واقفة أثناء الدرس لكي تطلب منهم أنْ يُناهضوا الحرب.

لكنـه لم يجـرؤ على التذكُّر جيداً. إنه لا يجـرؤ على إدخال الفكرة إلى رأسـه تحسّباً. لأنهم جميعاً موجودون هناك عند بوابة الحديقة. إنهنّ في انتظاره، أي الفتيـات. كل الفتيات اللائي سيعرفهن قاطبة. كل فتاة سيقـع بصره عليها. كل فتاة سيقع بصرها عليه. كلهن يحملنه، وجهها، الوجه الذي يظهر في الصورة التي التُقِطَتْ في المدرسة.

Twitter: @ketab_n

يُلقـي نظـرةً سريعة إلى السماء، ثـم يُخفض عينيه مـن جديد. برّاق يعنـي مُظلم. خلال التجمُّـع الأول في اليوم الأول مـن العام الدراسي يقرأ صبي الهولوغرام ما كُتِبَ عن أنَّ الأرض هي خواء لا شكل له. كان هناك ظلام دامس. قال الله فليكن نور. فكان. استخدم الله النور ليلتقط به صوراً لأجزاء من فتيـات عند التسجيل. سلّطه على الفتيات المارات وضغـط على الزر. قال أنطون في أُذنـه، كل الفتيات يبدين متشابهات هـذا العام. وفرح لأنَّ شخصاً كأنطون انتقـاه وحده ليُخبره شيئاً كهذا في أُذنـه. قال أنطون، «أنظر، إنهن جميعاً يبدين وكأنهن مأخوذات من مواقع إلكترونية إباحية». كان ذلك صحيحاً. فبعد أنْ تستعرض المواقع الإباحية، تصبح الفتيات جميعـاً هكذا. تصبح الإعلانات التجارية في التلفـاز هكذا. المغنون على قنوات الموسيقيـة يبدون جميعاً هكذا، أو، الفتيات منهم على أي حال.

كان في وسعـه أنْ يسـأل إيف عندما يعـود إنْ كان في استطاعته أنْ يستعـير جهاز الحاسوب المحمول الخاص بهـا. في استطاعته أنْ يطلب ذلـك من مايـكل، إنْ كانت هي تعمـل على جهازهـا أو لا ترغب أنْ يلمسه أحد. يمكنه أنْ يبعث رسالة إلكترونية، يكفي وضع اسم الشخص ثـم (ت م) أي تلميـذ مدرسة دوت دينـز دوت co دوت uk. عزيزتي كاثرين ماسون. أنا. آمل ألا يكون لديك اعتراض عليّ. أرجو ألا يكون لديـك مانع في أنْ أُرسل إليك رسالة ولكن. أنت لا تعرفينني ولكن. لا تتصـوري كم. رغبتُ في أنْ أقول إني حقاً. كثـيراً. ماغنوس يتقيّأ على العشـب بجوار يده. لا يحدث مـا يستحق الذِكر. أحيانـاً يبدو أفضل بكثير جداً. ثم يزول الشعور بالتحسُّن. تلج إحدى غرف الدرس لكنها تجد أنَّ الوجوه كلها غريبة عليها. لا تميِّزها. كن صديقاتها. الآن لم تعد

Twitter: @ketab_n

تعرفهـن. زالت المعرفة. كل ما عرفت هو أنَّها يمكن أنْ تكون أياً منهن. تسير في شارعٍ تعرفه أو تلج دكاناً سبق أنْ ارتادته ألف مرة. وجدت أنَّ مـن الغريب أنه تغيَّر. تجلس في المنـزل. وعائلتها، التي تجلس في الغرفة نفسهـا، في عـالم آخر، عـالم لم تتغيَّر فيـه الأشياء. تجلـس في سريرها. كاثريـن ماسـون. لا يهم. ها هو قادم، الظلام، إنـه يحل عليه، العشب الذي يجلس عليه يتحول إلى اللون الرمادي. يهزّ رأسه، يُغمض عينيه ثم يفتحهما. الأوراق الخضراء من حوله أضحت سوداء. النهر مياه سوداء. ينتهي إلى محيط أسود متلاطم وهائل. لم يعد يهم كم من الأرقام يضيف. كل مليارات النبضات الكهربائية، ومليارات الرسائل المرسلة في أجزاء معجـزة من مليار من الثانيـة بضغط زر أو مفتـاح أو قرص عبر أميال، ودول، وقـارات رمادية، بل عبر العـالم بأسره: إلى هذا ينتهي كل شيء. هو فعل ذلك. هم فعلوا ذلك. هي تلقّت الرسالة. انتحرت.

ينهض واقفـاً. يسير عائـداً عبر الجسـر، يتقيّأ من جديـد. يتمسّك بجـدار بناء أبيض قديم. يشعر من جديد بشيء مـن التحسّن. يعتقد أنَّ في استطاعته أنْ يبقى هكذا بعض الوقت، منخفض الرأس، والكتفان مستنـدان إلى الجدار. ينظر إلى الدبش، الأعشاب تخرج من نقطة التقاء البناء بالأرض. لكنَّ رجلاً يظهر. يصرخ بماغنوس إلى أنْ ينهض واقفاً. يقـول ماغنوس، حسـن. يومئ برأسه معبّراً عـن أسفه للناس من خلال النافذة الكبيرة على واجهة البناء. إنهم ينظرون إليه مذهولين. هناك آنية زهور على الطاولـة بينهما. ماغنوس يجتاز طريقاً. يمر بمحل لبيع رقائق البطاطا. بعض الصِبية يقفون خارجه. يهتفون بشيء خلفه. يتساءل عن شعـوره إذا ما أخـذوا يرفسونه حتى الموت. يحـاول أنْ يتذكّر صلاةً، لكنَّ الشيء الوحيد الذي يتذكّر هو الكلمات الآن أستلقي لأنام وأصلي

Twitter: @ketab_n

للرب لكي يحفظ روحي إذا متّ قبل أنْ أستيقظ، أصلي للرب كي يلحقوا بي ويضربوني ويُرفسوني حتى الموت. لكنهم لا يفعلون، لأنه لا وجود لله. يهتفون بشيء آخر لكنهم لا يلحقون به. لا يهم. ماغنوس يشعر بتحسّن. إنه يعلم ماذا يفعل. كان في الحقيقة يعلم طوال الوقت.

يمشي عائداً إلى المنزل. إنه المنزل الصحيح، المنزل إلى يساره، لأنَّ بابه الأمامي لا زال مفتوحاً. يستطيع أنْ يرى إيف، أمه، جالسة في النافذة الأمامية. إنها تحمل كأساً من النبيذ. يستطيع أنْ يرى لون النبيذ فيه. الدنيا ظلام. بطنه يؤلمه. ظلام بلون النبيذ! صبي الهولوغرام يتكلم بصوته الحاد. إنه يدفع ماغنوس إلى الضحك. بطنه يؤلمه. عائلته تضحك على شيء ما أيضاً، شيء آخر، في الغرفة الأمامية من هذا المنزل الغريب. يستطيع أنْ يسمع أستريد، أخته، تضحك. ليست لديها أية فكرة. فقبل أي شيء، صبي الهولوغرام يقول: لماذا تدع ثلاثة من الصِبية الشرسين خارج دكان بيع رقائق البطاطا يفعلون ذلك في حين أنَّ لا أحد أفضل منك في القيام بمثل هذه الأشياء؟ لا شك في هذا، ماغنوس يوافق. لا شك في هذا. يُكررها كلما وطأت قدمه دَرَجة وحتى آخر الدَرَج. «حمّام». مكتوبة هناك لصالح كل مَنْ يمرّ مؤقتاً من هذا المنزل المُستأجر لقضاء العطل. إنه على مستوى صورة وعاء الريّ. يُلصِق جبينه عليها. يدفع الباب برأسه ليفتحه.

إنه حمّام بسيط جداً. إنه عادي جداً، معتدل. هناك المغطس الأبيض ذو المقابض المطاط الخشن على شكل قدم كبيرة مع أصابعها، مُثبّتة إلى داخل أسفل المغطس لكي لا ينزلق الناس أثناء خروجهم منه. وهناك دش يضخ الماء بالكهرباء. هناك ممسحة حمّام وردية اللون مطوية على الحافة. هناك رف للمناشف، وصابون إضافي وردي اللون. هناك

Twitter: @ketab_n

المغسلة. هو لم يأت إلى هنا إلا عندما لم يتمكن من منع نفسه من فعل ذلك. كان قد تبوّل في مغسلة غرفته. أبقى عينيه مغمضتين عندما اضطرّ بقوة إلى الدخول إلى هنا، عندما احتاج إلى التغوُّط، كما قال صبي الهولوغرام بإشراق.

إنه يرى انعكاس صورته في المرآة. إنه يُشبه نفسه بصورة رائعة. هذه نكتة. المناشف على الرف مطوية بأناقة شديدة. على الجدران المزيد من صور الصفائح تصور ما تحويه الحديقة، كالأزهار، لوحات بلا تعليق. تحسين رخيص لغرفة نحب أنْ نتظاهر بأنَّ لا صِلة لها بالمرحاض. ينطق صبي الهولوغرام كلمتي تحسين ومرحاض بصوته الصبياني. ينتظر، برأس منتصب، ماغنوس أنْ يقول «لا شك في هذا» من جديد.

يقول ماغنوس لصبي الهولوغرام: «اغرب عن وجهي أيها الصغير القذر الزائف».

يفور صبي هولوغرام قليلاً، كأنه يفيض. ثم يخمد في لحظة كأنَّ ثمة مَنْ قطع التيار.

يتنفّس ماغنوس بصعوبة. ينظر إلى السقف فوق المغطس، إلى العارضة الزائفة. يتساءل إنْ كانت غرف المنزل كلها تحتوي مثلها. يقفُ على حافة المغطس. يختبر قوة العارضة بثِقله بالتدلّي من ذراعيه. إنها ثابتة، قوية بقدر كاف. يخلع قميصه، يربط أحد كُمّيه بالعارضة بعقدة منزلقة. يشدّ الكُمّ الآخر ليُثبّته أكثر.

لفتاة المجلة ثديان كأنهما يتقدمان نحوك من المجلة. لم يكن هناك مفر منهما. كانا أشبه بعينين مشدوهتين تنظران إليك. كانا كبيرين جداً،

Twitter: @ketab_n

يصبـغ حلمتيهما لـون أسود فاتح. كان شعرها داكنـاً. لا يتذكر عينيها. حلمتاهـا كبيرتان، وقاسيتـان. فمها أحمر، ومفتـوح. لسانها الرطب كان هناك، وأسنانها. كان جسمها منحنياً بحيث يمكن مشاهدة ثقوبها كلها.

كانـت كاثرين ماسون ترتدي سترتهـا الصوفية المدرسية ذات اللون الأزرق القـاتم؛ الصـدر مزركشـاً على الجانب الأيسـر، وعليه كلمات شِعـار دينز «حـاوِل بتناغُم». إنهـا تضع ربطة عنق بعقـدة تبدو كبيرة وناعمـة، وترتدي قميص مدرسة أبيض طياته مُقحمـة بأناقة داخل السترة الصوفية. ترسـم ابتسامة ودّية. فمها مغلق. تبدو بشرتها نظيفة. شعرهـا يصل حتى كتفيهـا. أهداب شعرها تنسدل حتـى عينيها. ومع ذلك في استطاعتك أنْ ترى عينيها بوضوح تامّ. إنهما بلون بني داكن.

استخدم أحـد أجهزة المسـح (scanners) بحاسـوب ماكنتوش. مسـح أولاً كلاهما باستخـدام برنامج فوتوشوب. ثـم نقر على الأداة الشهيرة. بـيَّنَ لهما كيف ينتقيـان الرأس، وينسخانه ومـن ثم يصنعان طبقـة جديدة بالجسم. ثم بيَّن لهما كيـف يقطعان عنقها بأنشوطة. بيَّن لهمـا محو الخلفية. شرح لصق الرأس، وإزالة الحواف، ومزجها بشكل طبيعـي. بيّن لهما كيف يحفظان، ثم كيـف يُرسلانها كصورة، وأخيراً كيف يمحوانها.

يطوّق ماغنوس نفسه بذراعيه. إنه يرتعش؛ يشعر ببرد حتى التجمُّد. يقـفُ في المغطس على المقبض المطاطي. يمدّ يده ويشـكّل عقدة على الكُمّ الآخر للقميص. يقفُ على حافة المغطس من جديد. يُرخي العقدة إلى أنْ تصبـح كبـيرة بقدر كاف. يُقحِم رأسه فيهـا فتتدلّى مُحيطة بعنقه.

Twitter: @ketab_n

تبرز حوافها داخل أذنه. إنه علـى حافة اليأس. يُجري تجربة لاكتشاف كيف سترتخي العارضة باطّراد مع الثقل المُلقى عليها م = الثقل محسوباً بالطـن، في حين أنَّ ن = الارتخاء مقاسـاً بالمليمتر. يجعل إحدى قدميه تـتركان حافة المغطس، ويتركها معلّقـة في الهواء. يجب أنْ يتلو صلاة. «الآن سأستلقي وأنام». إنه يرتجف. يُعيد القدم بعناية إلى الحافة. يستطيع أنْ يرى الغبار على أعلى العارضة، الشخص الذي دهنها باللون الأسود لم تصـل فرشاته إليها. إنه على مستوى ظِلّة المصباح. في وسعه أنْ يرى شِباك العنكبوت على الحافلة العليا، والغبار المتراكم على قمة لمبة النور. إنه لا يفهم لماذا لا تهتز ظِلّة المصباح أيضاً، لماذا لا تهتز الغرفة كلها.

في تلك الأثناء ولج أحدهم غرفة الاستحمام. إنه خطؤه. كان ينبغي أنْ يقفل الباب بالمفتاح. نسي أنْ يقفله. إنه فاشل كبير. بل إنه لا يستطيع أنْ يُنفّذ هذا كما ينبغي.

إنه ملاك. حدّقت إليه.

يقول: «إنها مجرد نكتة».

تقول: «فهمت. هل هذه نكتة أيضاً ؟».

تميل على منصب المناشف، وتراقبه. لها شعر أصفر ملائكي.

يقـول: «إنـه خطـأي. لأني أولاً أريتهما الطريقة. ثـم أرسلوها إلى أسماء اللائحة. ثم إليها. لقد اضطررتُ إلى فعل ذلك».

يبدأ بالبكاء. يتمسّك بالعارضة.

Twitter: @ketab_n

يقول الملاك: «فهمت».

يقول: «كان حادثاً عارضاً».

يقول الملاك: «حسن».

يقول: «لقد حصل الخطأ».

تقول: «فهمت».

تؤمئ برأسها. إنها غاية في الجمال، تبدو خشنة قليلاً، كفتاة جميلة مُستهلكة مأخوذة من موقع على الإنترنت. إنها تفيض بالإشراق أمام ورق الجدار النظيف.

تقول «هل تحتاج إلى مساعدة؟ عندما تكون مستعداً ستراني هنا معك حتى أُصيبك بالدوار».

تمسكه من ساقه؛ تُمسكه بإحكام شديد بكلتا ذراعيها. ذراعاها عاريان. الساق التي تمسك بها ترتجف على صدرها، ووجهها.

تقول داخل بنطلونه الجينز «فقط قُل لي متى؟».

يبتلع لعابه. إنه يبكي. وجهه ملطّخ بالمخاط والعرق. العرق أو المخاط يلطّخ حافة القميص من أنفه.

تقول «هيا إذن. أنا مستعدة إذا كنتَ مستعداً. هل تريد؟».

يومئ برأسه إيجاباً. يُحاول أنْ يقول كلمة نعم. لا يستطيع. العرق أو البكاء، لا يعلم أيّهما، يسيل من كل مكان منه، ويسقط على صدره.

يقول له الملاك الذي يُمسك به «هل أنت مستعد الآن؟».

Twitter: @ketab_n

البداية من جديد!

شيء خارق. الحياة لا تكف عن أنْ تكون مفاجأة مجيدة، مجيدة، تَجَدُّد مجيـد دائم. كأنها جديدة. كلا، ليست جديدة بـل حقاً جديدة، جديدة فعـلاً. إنه مجاز وليس تشبيهاً. ليس «**تشـابهاً**» بينه وبين الكلمة الجديدة. مَـنْ سيُصـدّق هذا؟ تلك المـرأة، أمبر، دفعت طبقها تـواً بعيداً، ودفعت كرسيهـا نحو الخلف، الطويلـة الأطراف ولا مباليـة والمتغطرسة كفتاة، ونهضـت واقفة وغادرت المائدة، وتركت الغرفة، ومايكل، الذي لم يبقَ أمامـه غير كرسيها الفارغ، استطاع أنْ يتوقف، ويتنفّس، ويتساءل ما إذا كانـت إيف، التي كانت تفرك فُتات الخبز على الفوطة، إذا نظرت عالياً، فلنقُـل إنها نظرت عالياً إلى وجهـه مباشرة، سوف ترى الدهشة مرسومة على كامل وجهه. سوف يحمل وجهه تلك الدهشة التي تبدو عادية أكثر عندما تظهر على وجه مغنية سوبرانو تغني بطبقة صوت عالية مثالية آه.

الآن ترفع إيف نظرها إليه. يُغلق فمه تحسّباً. إنها طبقة الصوت المثالية لهـا، في أُذنيـه ورأسه وتهتز في أرجاء دمه، بحيـث أنه مال نحو الأمام وهـو على المائدة ثم اعتدل في جلسته ثم لم يعُد يتذكّر كيف يجلس. ما سمّاه أبولينير «ذلك المصدر الأكثر حداثة للطاقة - الدهشة!»، كلمات كان يكتبهـا على اللوح الأبيض مع بداية كل سنة دراسية، بما أنّ الأدب

Twitter: @ketab_n

الحديث مملوء بطاقة الدهشة، كما كان الدكتور مايكل سمارت يُخبر طلاب السنة الثالثة الجديدة مع بداية كل فصل دراسي. لكنَّ الدكتور مايكل سمارت باركه الله وكل الذين اتفقوا معه لم يضربوا من قبل على مثل هذا الوتر من أجل هذه الجودة المذهلة، هذه الجِدّة النافذة، هذه الآه القوية.

جلس مائلاً نحو الأمام، معتمداً على يديه على الطاولة. ثم اعتدل من جديد في جلسته. شعر بأنَّ ذراعيه وساقيه جديدان في مفاصلها، ولم يكن قد شعر أبداً بأنَّ يديه ضائعتان لا تعرفان ماذا تفعلان أو أين تستقران كما يشعر الآن. لكنه شعر شعوراً طيباً استثنائياً. شعر بأنه رائع. ضرَبَ على ساقيه: كان شعوراً لذيذاً. تمطّى وهو على كرسيه. شعر بأنَّ كل عضلة غريبة، جديدة، متينة. كانت إيف لا تزال تتكلّم، غافلة، طيبة. كانت تزيل الأطباق، وتقول شيئاً لأستريد. كانتا تقولان شيئاً عن الملاعق. ملاعق! كان هناك عالم، فيه ملاعق، وأطباق، وفناجين، وكؤوس. رفع كأس النبيذ أمامه، وأدار ما تبقّى من النبيذ فيه، وراقبه يعود إلى الاستقرار. كان طيباً. نبيذ غافي، من محلات ويتروز[١٤].

لو أنه ذلك الكأس من النبيذ لكانت هناك شروخ رفيعة كالخيط تحافظ على تماسكه، تمدُّ روابطها الكهربائية الصغيرة الحيّة في أوصاله كلها. آه. لو أمتلئ بالشعور الرائع ومن ثم يهشّمني ذلك الشعور الرائع، يفتّتني ذلك الشعور الصاعق إلى قطع بالغة الجمال كقطع الفسيفساء. ابتسم

---

١٤ - ويتروز: عنوان سلسلة من المحلات التجارية المتخصصة ببيع أرقى أنواع المشروبات والبقالة في بريطانيا. - المترجم.

Twitter: @ketab_n

مايــكل. ظنّتْ إيف أنه يبتسم لهــا. فابتسمت له. ابتسم لأستريد أيضاً. رمتــه بنظرة شرسة وأخذت طبقاً. هذا مفيد لها! تلك البغيضة الصغيرة. ضحك بصوت عال. رمتــه أستريد بنظرة حانقة ثم غادرت الغرفة. إنَّ ولــديّ إيف كليهما يحتاجان إلى تلقّي علاج. كان ماغنوس مثالاً بارزاً على ذلــك. إنَّ رفضــه الأكل معهم هو أمر. ولكن رفضــه التعرُّف إلى ضيفــة في الغرفة، والتصرّف كأنها غيرُ موجودة، ورفضه أنْ يقول كلمة مرحبا بسيطة، كما فعل تواً، فنوع آخر تماماً من الفظاظة، ممجوج بعمق مهمــا بلغ عمق القلق الجحيمي المراهــق إلى آخره، وكان مايكل، الذي في العمــوم يبقى بعيداً عن ذلك الجانب من الأمــور الأبوية، يوشك أنْ يتحدث مع إيف حول الأمر لاحقاً وهما في السرير. أما الآن فولجت عثّة كبيرة من خلال النافذة المفتوحة وراحت تطير حول الشمعة المُضاءة. لا حيلة للعث، **كانجذاب العثة إلى**[١٥]، إنه مُبرمج جينياً لينجذب إلى الضوء، وطبعــاً هو يرى الأضــواء كلها موحية بالحب. وعندمــا يطير في الهواء ثمــلاً نحوه فذلك لأنــه يعتقد، جينياً، أنه سيعــثر على الـ Ubermoth (العثّة الخارقــة)[١٦]، العثّة الوحيدة في العالم المناسبة له. بل أنه سيحاول في ليلة صافية السماء أنْ يطير حتى يبلغ القمر إذا كان بدراً.

بلا مقدمة – توجهتْ هذه مباشرة إلى اللهب وسقطتْ على الطاولة مــع صوت مكتوم ومسموع. كانت عثّة يميــل لونها إلى البني. أخذت تتقلّب، مرة، بعد مرة. كان في استطاعته أنْ يُميِّز قسمات وجهها المبهمة

---

١٥ – إشارة إلى القول السائر «**كالانجذاب العث إلى اللهب**». – المترجم.

١٦ – علــى غرار مقولة الفيلسوف الألماني نيتشه (١٨٤٤ – ١٩٠٠) عن السوبرمان أو الإنسان الخارق أو الـ Ubermensch – المترجم.

Twitter: @ketab_n

التـي يغطيها الزغـب في أثناء تقلّبها على جناحهـا المكسور (طالما كان نظـره ممتازاً، وكانت عيناه صحيحتـين؛ حتى وهو في أربعينيات عمره ولم يحتج في أية مرحلة إلى وضع نظارة أو عدسات لاصقة أو أي شيء) عث وأضواء شموع! كانجـذاب العث إلى اللهب! لقد اختُزِلَ الدكتور مايكل سمارت إلى عبارة مُبتذلة!

إلا أنهـا كانت عبـارة مبتذلة مُثيرة، مفهوماً عامـاً؛ حقيقةً أضحت مُبهمـة مـن فرط الاستعمـال، أليس كذلـك، كشكلٍ يُـرى من خلال الضباب، شيئاً ينتظر أنْ يُحسّ من جديد، أنْ يُرى من جديد. شيئاً لذيذاً يُختَـبَر باستخـدام قفّاز سميك. مـن الواضح أنَّ العبـارة المبتذلة كانت صحيحـة ولهذا أضحت عبـارة مُبتذلة في المقـام الأول؛ صحيحة إلى درجة أنَّ تلـك العبارة المبتذلة في الحقيقة تحميـك من حقيقتها بكونها كمـا هي، ليسـت أكثر من عبـارة مبتذلة. مجال الإعـلان، مثلاً، يحب العبـارات المبتذلة لأنها نوع من حقيقة تناسب العامة خاصة. ثمة درس في هذا الكلام، ربما في الأساليب الصحيحة للقراءة. مصدرها؟ فرنسي بـكل وضوح، سوف يبحث حول هذا. إنَّ لاركن[١٧]، مثلاً، الذي هو بمثابة سيد جيمسـ[١٨] الشعر الغنائي الإنكليـزي (هذه ملاحظة جيدة جـداً، الدكتور مايكل سمارت يفتح النـار بالأسلحة كلها) كان يعرف موطن قوة العبارة المبتذلة. **ما سـيتبقّى مننا هـو الحب**. وأحصنة السباق

١٧ – فيليب لاركن (١٩٢٢ – ١٩٨٥): شاعر إنكليزي.

١٨ – سيد جيمس (١٩١٣ – ١٩٧٦): ممثل كوميدي من جنوب إفريقيا، استقرّ في بريطانيـا. له مسلسـلات تلفزيونية شهيرة، مثل «نصف ساعـة لهانكوك» وأفلام كوميدية مثل سلسلة أفلام «تابع يا...». – المترجم.

Twitter: @ketab_n

في تلـك القصيدة التي تحكي عن الأحصنة لا «تخبّ سعياً وراء المتعة»، بل مـن أجل **ما ينبغي أنْ يكون** متعة. ولاركن هـو مثال ممتاز. إنه رجل عجوز يؤمـن بالتمييز بين الجنسين وهزلي عاش طوال تلك السنوات في أوسـاط المكتبـات السفلـي في جامعة هل Hull، لا عجـب أنه أصبح سريع الغضب، لكنه كان يستطيع أنْ يكسر عبارة مبتذلة بكلمتين بالنبرة المناسبة. أو، مثلاً، عندما كتبها هيمنغواي قبل أنْ يعرف أي شخص آخر كيف يفكّر في كتابتها، **هل تشـعر بالأرض تتحـرك** (أو كائناً ما كان ما قال بطريقة قروية زائفة في روايته غير الجيدة جداً «**لمن تُقرع الأجراس**» في عـام ١٩٤١، في اعتقاد مايكل سمارت)، هل كان لديه أدنى فكرة كيـف ستدخل جملتـه قاموس اللغة؟ تدخـل! اللغة! لقـد كان التعبير المبتذل يحرك الأرض **فعلاً**، عندما تفهمه، عندما تشعر به، للمرة الأولى. الأرض والحركة، زلزال، اهتزاز مُدمِّر عنيف في الصفائح السفلية وسط الحـرارة، أسفل الحزام، تحـت الأقدام. العثة زائد اللهـب. هنا، والآن، شاهدَ مايكل وشعرَ بالدراما الدقيقة للّحظة التي احترق فيها جناح العثة وتفتـت في الشمعة. لقد شعر بالأثر الكامل للعثة الوحيدة وهي تضرب الطاولة الوحيدة. شعـر بتلك الأشياء، نعم، بحِدة أكبر، بشكل حقيقي أكثر، **وبدهشـة** أكثر مما كان قد شعـر ربما بأي شيء منذ أنْ كان، آه، ليته كان يعلم، صبيـاً في الثانية عشرة نضر الوجه (تعبير مبتذل!)، وليس في الثانيـة عشر مثل تلك هناك، هكذا قال لنفسـه، وهو يرمي نظرة سريعة فـوق قمة رأس ابنة إيف الغضوب ذات الشعـر الرقيق المُمشّط، التي لم تعـد في الثانية عشرة الآن، حين لم يعد أي شيء جديد وكل شيء أصبح معروفـاً جداً ووُجِدَ ونُفِّذ وقميص رياضي قُذف ما بعد الحداثة، كلا، كان يقصد فتاة الثانية عشرة حينئذٍ وهي تعتلي صهريجاً على حافة مياه عميقـة، تستقر عميقاً في العشب الطويـل وضجيج الصيف، وحلاوة

Twitter: @ketab_n

لب قطعة من العشب في فمه، عندما شاهد للمرة الأولى حشرتين، ذبابتين من نوع ما، من ذباب الماء طويل القوائم، يمكن القول إنه مجاز مُرسل لكامل فصل الصيف، واحد فوق ظهر الآخر في سُعرٍ محض لِما عرِفَ مايكل بصورة مؤكّدة، للمرة الأولى، للمرة الأشدّ براءة، أنه كلمة في معجم.

كلمة في معجم! تعبير رائع. الذبابة في الذبابة. الصبي في العشب. العشب في الصبي. الصبي عميقاً في النهار والنهار عميقاً في الصبي. أعجبته أيضاً كلمة محض أيضاً؛ كانت ككلمة مُهدِّئة ومُهدهِدة لكنها ما تزال تنطوي على حماسة صبيانية لعينة، ما تزال تتمادي إلى أقصى ما في وسعها. تصوّر ليس هناك غير سطح المياه وأحدهم يغوص فيه بلا خجل.

كانت قد ولجته وكأنه الماء؛ كأنه قاموس، وهي كلمة لم يكن يعلم أنها فيه. أو أنها ولجته ببساطة أكبر، كأنه باب وهي فتحته، تاركة إياه واقفاً مواربا وهي تلجه. (مواربا! متى يكون الباب ليس باباً؟ نكتة سخيفة من تلفاز عهد الفتوة الذي لم يكن من المُفترض به أنْ يشاهد، ولم تكن مُضحكة، تلك النكتة. ليس قبل الآن. لم يكن مرةً منفتحاً بقدرٍ كافٍ لتلقّيها حتى الآن، ها ها!).

مَنْ هي؟ قُل لي من جديد ما اسمها؟ هكذا تنحّتْ إيف به جانباً قبل العشاء في المطبخ، وسألته بهدوء. لم يكن من شيم إيف أنْ تنسى مثل هذه الأشياء أو أنْ تُبدي شهامة مع تفاصيل مواعيد مُدبّرة؛ وشعر فجأةً بالسرور، بالارتياح بشأن صفاته التنظيميّ. كان يُزود داخل سمكة سلمون بقطع من الزبد. الكثير منه يُفسدها. والقليل منه يُفسدها. كلام حكيم. قال «اسمها أمبر شيء ما، أليس كذلك؟»، وهو يُقحم الزبد داخل الشق.

Twitter: @ketab_n

كانـت قـد رنّت جرس البـاب في صباح هذا اليـوم. وكان قد فتح الباب ودخلت. قالت «آسفة، تأخرت. أنا أمبر. سيارتي تعطّلت».

إيـف تقول الآن، وهي تقطع أرض الغرفـة، «هل هناك حلوى بعد الطعام؟». كانت ترسـم ابتسامتها المُقنِعة. كانت في مزاج رائق. قالت وهي تميل عليه «بالمناسبة، السمكة ممتازة».

قال «نعم. كانت لذيذة فعـلاً، أليس كذلك؟» (لقد أحبّتها؛ أحبت كل مـا وضع على المائـدة، والتهمته كلـه، بشراهة، مـع جلد السمك وكل شـيء، حتـى أنَّ أستريد حدّقت إليها، ووجد مايـكل نفسه راغباً في التحديـق أيضاً؛ لقد نسي معنى أنْ يحصل على ما استحسن بصورة ماديـة تماماً. لم يعُد أحد يأكل هكـذا، وكأنه جائع، وكأنَّ ما يأكل لذيذ الطعـم) أخـبر إيف: «أفكّـر في حلوى بـيرز بل هيلـين[١٩]. يجب أنْ أُسخّنها. سأفعل ذلك في الحال».

أخـذت إيف آخر الأطباق، تناولـت الطبق من بين يديه. قبّلته وهي تفعل ذلك؛ بادلها القُبلـة بأخرى، خفيفة ولكن حازمة؛ وضعت يدها خلف عنقه ثـم تابعت طريقها. كانت الشمس قد غربت لكنَّ الأمسية كانت دافئة. سوف تعود إلى الغرفة في أية لحظة. في أية لحظة الآن سوف تهبـط الـدَرَج، وتنعطف نحو البـاب وتدخل وتجلس هنـاك قبالته من جديـد وسوف يتوهّج داخل ملابسه كعنصـر كهربائي يزداد احمراراً. هل سيبدأ بإرسال دخان من دون نار؟ هل ستذوب ملابسه على جلده؟ هل سيبدأ قماش الكاكي يحترق حيث يلتصق بإحكام بفخذيه؟

---

١٩ - «بـيرز بـل هيلـين»: طبـق حلـوى قِوامـه الأجاصـ والليمـون والسكـر والشوكولاته. - المترجم.

Twitter: @ketab_n

ضـرب فخذيه من جديـد بقبضتيه. قال «ها - هـا!». رمته أستريد بنظرة صاعقة. تجاهلها. غنّى. «*إنه عالم بارنم وبيلي، زائف إلى أقصى حد*». بدا صوته جيداً. انعكاس صورته في المرآة جعله يبدو أشبه بصبي. «*لكنه لـن يكون مُدّعياً*». كانت العثّة قد كفّت عن الحركة. ذهب لكي يلتقطها عـن مفرش الطاولة فتحرّكت من جديد؛ كانـت فقط تستريح. أمسك بها؛ قرّبها من أنفه؛ شعر برغبة في وضعها في فمه.

كان يشم رائحة عثّة للمرة الأولى.

ليس للعثة رائحة.

كانت ترفـرف داخل يده. شكراً لـك، أيتها العثّـة، على تشبيهك الممتـاز، قـال هذا وهو يُغلق يده، مـال، مُغمض العينـين، ومدّ يده من خلال النافذة وأسقط العثّة من يده، دون أنْ ينظر ليرى أين استقرّتْ.

«حظاً موفقاً، أيتها العثّة. *إذا كنتِ تؤمنين بي*».

كان مايـكل يحب الأغاني القديمـة. إنها قصائد غنائيـة بحد ذاتها. تنفّس، بعمق. كان الهواء بالنسبة إليه جديداً ونظيفاً. أخيراً أصبح بارعاً في استخـدام فرن لا يعرفه، في منزلٍ ليـس ملكه، فرن يعمل بالكهرباء، وهـو النوع الأسوأ دائماً. تبقّى غبار العثة على يده؛ مسحه على بنطلونه الجينز. رنَّ جرس الباب. فتح الباب ودخلتْ. تجاوزته ودخلتْ. كان قد فتح الباب وهو لا يزال يُجيب على الهاتف. قال لفيليبا نوت «انتظري. لقد حدث أمر طارئ، هل أستطيع أنْ أُعيد الاتصال بك لاحقاً، فيليبا؟». نطـق اسم فيليبا بصوته، سمعه، أجشاً، ناعماً - خشناً، كبشرة تحتاج إلى حلاقـة، بشرة بعد الظهيرة في فندق، اخترقَ وعده أُذن فيليبا نوت. بيما

Twitter: @ketab_n

كان يفتـح الباب تساءل بمـاذا خاطبها بيبا، ربما بيب. مـن المؤسف أنها استخدمت تواً اسمها الكامل، الاسم الكامل دائماً له دلالة، أكثر امتلاءً؛ هذه الأسماء الأخـرى أسماء أطفال؛ خسارة؛ كانـوا يحبون أنْ يُطلب منهم أنْ يكونوا راشدين. لقد سألها ذات مرة ماذا تحب، أي أسم تفضّل أنْ يُخاطبهـا به. كانـت في انتظار أنْ يسألها أحد هـذا السؤال: كُنَّ في العموم يفعلن ذلك دائماً؛ في العموم كنّ يرغبن في أنْ يُسألن.

كانت فيليبا نوت تعلـم فتقابلت عيونهما من فوق رؤوس الآخرين في حلقـات بحث الأدب الفيكتـوري في السنة الثانيـة: كانت نحيلة وسمراء، ذات شعر أسود طويل مع قليل من التموُّج. ذوقها في الملابس راق، والأولى تقريبـاً في كتاباتهـا المتزايـدة حول التخمـين المتواصل، مقالتـان جيدتـان بصـورة ملحوظة في السنـة الثانية خاصـة تلك عن الإيحاء ما قبل فرويدي في حوارات روبرت براوننغ الفردية؛ كانت قد كتبت بشكل جيد عـن أسطح الحجر في قصائد براوننغ، وكيف صاغ براوننـغ حسّية الحجـر، كان أخبرها بذلك في مكتبـه في ختام الفصل الدراسـي الصيفي عندما جاءت لتطلب منـه أنْ يُشرف على أطروحتها الأميركيـة. حينئذٍ أيضاً نظرت مباشرة في عينيـه؛ كانت مقدامة، وهذا جيـد. قـال «ممتاز، هل أنـتِ هنا من أجـل قضاء فصـل الصيف؟ لأني سأكـون منشغلاً، أضع العلامات، أؤدي أعمـالاً مكتبية، أُمضي عطلة الصيـف في نورفوك، هل لديك رقم هاتف محمـول، أم؟» ووضع يده على حدبة ظهرها وهي تغادر غرفة مكتبه ومن ثم تعود مسرعة، قليلاً، إليها. كان قد اتصـل بجوستين لكي يتفقّد علامات امتحانها الصيفي، كانت في مُعظمها درجات ثانية وأولى؛ جيد، هكذا بُتّ الأمر.

ثم حدث هذا.

Twitter: @ketab_n

«آسفة، تأخرت. أنا أمبر. تعطلت سيارتي».

قطـع مكالمته مع فيليبـا نوت، «*لقد حدث أمر طارئ، هل أسـتطيع أنْ أعيد الاتصـال في وقتٍ لاحق؟*». دخلتْ مباشرة وجلست على الأريكة. نظـرتْ إليه، بلا اهتمام؛ لم تحضر من أجله. بـدت مشوّشة قليلاً، لعلها في الثلاثـين، ربما أكـثر، بشرتها مسمـرّة كالمسافر سـيراً، من ملابسها تبـدو كأنها إحـدى المحتجين في الشارع، إحدى تلـك النسوة الأكبر سنـاً اللائـي يصررن علـى أنهنَّ فتيـات صغيرات؛ كانـت نسوة حقبة الثمانينيـات كلهن المساندات لقضية المرأة ولا يزلن مُسيَّسات مهتمات بشدة بما فعلت إيف. أمبر. اسم هيبّي. اسم سخيف.

قال «أنـا مايكل سمارت، زوج إيف»، ومدّ يـده. نظرتْ إلى يده، وعـادت ونظرت إليه، بنظـرة جوفاء. أبقاها ممـدودة، هناك في الهواء برهة أخرى ثم أرخاها إلى جانبه، وتنحنح.

قال «إيف في الحديقة. إنها تعمل في المقرّ الصيفي. أنا واثق من أنها ستحضر في الحال. إنها تتوقع وصولك، أليس كذلك؟».

كانت تطل من النافذة. لم تقل أي شيء.

«هل أُحضـر لك شيئاً أثنـاء انتظارك؟ فاكهة، أو ربمـا مشروباً ما؟» (شعر من الداخل بأنه مُهدَّد، مُرهق).

قالت: «روعة. هل لديكم قهوة؟».

روعـة. لم يكـن قد سمع كلمـة روعة منذ زمن بعيـد. كان لها لكنة بدت أجنبية. اسكندنافية. وصلت إلى رأسه وهو في المطبخ، كم كان في

Twitter: @ketab_n

السابـق يذهـب بالدراجة إلى موقع المخيَّـم ويميل من على مقعد الدراجة عبر السياج ويراقــب المصطافين وكان ذلك العام الذي قابل فيه الفتاتين السويديتـين، بشعرهما ذي اللـون الخفيف جداً حتى كاد يكون أبيض، ورائحة زيت الباتكولي، وأساور الصداقة، والأحزمة الجلدية التي يُحطن بها عنقيهما، وكانتا تضعان أيضاً أساور حول كواحلهما؛ وأظافر أصابع أقدامهما مصبوغـة باللونين القرمزي والأسود، وكيــف كانتا تتمشيان وهمـا تضحكان بين الخيـام والحنفيات وتملآن زجاجـات الماء الخاصة بهما، ونادتاه عبر السياج وأغوتاه بالدخول إلى خيمتهما المفتوحة، التي بدت صغيرة جداً من الخارج وكأنها بالكاد تتسع لهما، حتى من دونه. واحـدة اسمها آنـا - كاثرين والأخرى اسمها مارتـا. كان في العاشرة. كـم كان عمراهما؟ لا يمكــن أنَّه كان يتجـاوز التاسعة عشـرة، ربما بلغ العشريـن؛ لقد بدتا له راشدتين إلى أقصى مدى. أين تينك الفتاتين الآن؟ ماذا حـدث لهما في حياتهما؟ قبل ثلاثين عامـاً. وأكثر. ١٩٧١. كأنه بالأمس. ضجيج المطر خـارج الخيمة، الجزء الخلفي من ساقيه العاريتين وهو بالبنطلون القصير على مفرش الأرض الرطب والدافئ.

لم يفكّر في هذا منذ سنين.

مكثـت تينك الفتاتين في الموقع مدة أسبـوع. وأرادتْ أمه أنْ تعرف إلى أيـن يذهب علـى ظهر دراجته في مساء كل يـوم ولا يعود إلى المنزل إلا بعـد هبوط الليل. لم يكن من المفترض فيه أنْ يذهب إلى ذلك المكان؛ لم يكـن الأشخاص الذيـن يقومون بأعمـال كالاجتمـاع في مخيمات مـن النوع المناسب للاختـلاط معهم. وكان يقول إنـه يذهب إلى منزل جوناثـان هـادلي. (كان جوناثان هادلي أخصائـي أمراض كبير يكسب مـالاً كثيراً وصاحـب عائلة كبيرة ومنـزل على ضفة النهـر قيمته ثلاثة

Twitter: @ketab_n

ملايين ونصف في والتـون – أون – تيمس) وهكذا كان يتناول في كل ليلـة كتاباً كلاسيكياً عن الرف، ويتأبطه، ويُخبرها بأنه وجوناثان هادلي يقضـون الأمسيات في القراءة في غرفة نـوم جوناثان. كان ذلك مدعاة للإعجـاب. ومسموحـاً بـه. وينطوي على آمـال عريضة. «*مـا كان في مقدور لسـاني الطفولي أنْ يصنع كذبة أكبر أو أكثر وضوحاً*». رواية «*طاحونة على نهر فلوس*»، الكتاب الأول، الجزء الأول «فتى وفتاة». رواية «*سوق التفاهة*». رواية بلا بطـل. مدير العرض. رائحة العشب الرطب. الضوء ينفـذ من خلال جـدران الخيمة وطيـات الباب. عندما غـادرت تينك الفتاتـين، بدت بقعـة العشب المُمهَّد التي كانتا تنصبـان خيمتهما عليها صغيرة بصـورة لا تُصدَّق. والأشخاص الذين احتلـوا موقعهما جاؤوا من مـكان بغيض، بورنماوث، بوغنور ريجيسـ، عائلة كبيرة. بدا وجه الأب خشنـاً وهـو ينصب الهيكل المُعقَّد لخيمتهـم، التي غطّت مساحة موقع ثلاث خيم. كانوا كثيري الضجيج. يتخاطبون بأصوات عالية. لم يكن حينئذٍ أكثر من صبي محلي يميل على السياج.

كان قـد جلب ثمرة أجاص من أجلهـا، مُقطّعة بشكل أنيق. أكلتها على الفور، قطعة بعد أخرى. هل لاحظتْ أنها كانت أنيقة المظهر؟ و لم تشكره.

قال «وماذا حدث لها، أعني سيارتك؟».

لم تقُـل أي شيء. لعلها لم تسمعه بسبب ضجيج المكنسة الكهربائية في الطابق العلوي.

كـرر القـول، بصوت أعلـى «سيارتك؟»، قال «أهـي مُعطّلة؟ ألا تقلع، أم؟».

Twitter: @ketab_n

هزّت كتفيها نفياً.

قال «أهــي البطارية؟». قالها أيضاً بصوت أعلى من اللازم أثناء فترة من صمت ضجيج المكنسة.

بدت غير متأثرة. لعلها لا تعرف معنى كلمة بطارية.

قالت، وهــي تشيح بصرها عنــه، «أضع المفتاح فيهــا، وأُديره، ولا يحدث أي شيء».

قال في نفســه، لعلها تركت الأضواء مُنارة طــوال الليل. لعلّه ضوء السقف الصغير. لعلها خالية من الوقود.

جلســ على ذراع الأريكة. كان قد باشر بالقول، «من أين أنتِ، في الأصل؟»، وإذا بها تكسر صمتها بجملة طويلة طولاً مذهلاً:

«ولكــن هل تظن أنها ستكون على مــا يُرام وهل تظن أنها آمنة تماماً وهي في وسط الطريق هكذا؟».

انتهت الجملة. وبدأ الضجيج من جديد فوق رأسيهما.

هتــف «حســن، ليست لديّ أيــة فكرة. بصراحة لا تبــدو آمنة على الإطلاق، حسب وصفك لها. أين هي؟».

قامت بإيماءة غامضة في الهواء، باتجاه النافذة.

صــرخ من جديد فــوق هدير المكنســة الكهربائيــة، «أعني، المكان شديــد الهدوء هنا». التنافر دفَعَهُ إلى الضحــك. نظرتْ إليه. فكفّ عن الضحك.

Twitter: @ketab_n

قــال: «ولكن ما أحاول أنْ أقول هو إننــي لا أعتبر أي شيء متروكاً في وســط الطريق آمناً جداً. الأمر يتوقف على معنى وسط الطريق الذي تقصدين».

قالت: «نعم، في وســط الطريق. على الناصية حيث تعطّلت. كنتُ أقودها طوال الليل لكي أصل إلى هنا».

عركت عينيها. بدت مُرهقة.

قالت: «لا يزال كل شيء داخلها».

قــال: «هل تركتِ أي شيء ذا قيمه فيهــا؟ كحاسوب محمول، أو ما شابه؟».

أومأتْ برأسها، نحو هاتفه المحمول الموجود على الطاولة.

قالت: «كل شيء».

قال: «ما كان ينبغي أنْ تفعلي. لا مكان آمناً في هذه الأيام. ولا حتى هنا في هذا المكان المُقفر. اللصوص في كل مكان».

غاصت مسترخية على الأريكــة وأغمضت عينيها، وهزت رأسها. فركت رأسها بيدها. كانت كأنها تنتظر شيئاً.

بــدأ بالقــول «حسن، أنا – أنــا لا أعرف الكثير عــن السيارات. لا يتوفــر لدي الكثير من الوقــت. يجب أنْ أُسرع بالذهــاب إلى لندن في غضون ساعة».

بدت ضجرة تماماً.

Twitter: @ketab_n

قال «أين هي بالضبط؟ إذا أحببتِ يمكنني أنْ آخذ –».

كانت قد نهضت واقفة، وأخرجت مفتاح السيارة من جيب بنطلونها القصير وأعطته إياه. عندما أخذه عادت إلى الجلوس.

قالت: «ولكن هل سيطول أمر القهوة كثيراً؟».

أراد أنْ يُخبرها أنها قهوة حقيقية. أراد لها أنْ تعرف أنه من نوع الرجال الذين لا يُقدمون القهوة السريعة. لكنه لم يعثر على الطريقة المناسبة لقول ذلك من دون أنْ يبدو قوله متعالياً. كان واثقاً من أنها ستلاحظ ذلك حالما تتذوقها. أولاً أخفى الرقم؛ إياك أنْ تعطي رقم الهاتف المحمول. ***مرحبا فيليبا؟ معك الدكتور مايكل سمارت***، بدا جرس صوته في هواء الصيف المفتوح غريباً، وطنّاناً. ثبّت موعدهما على الساعة الثانية بعد الظهر. عند منعطف الطريق بجوار بداية الغابة كانت هناك سيارة فولفو صغيرة مربّعة الشكل من نوع ما، متوقفة بأناقة شديدة بجوار خندق. لم يبدُ أنها متعطّلة. لم يبد أنَّ أحداً اقتحمها.

كان الباب مفتوحاً. دخلها، وأرجع مقعد السائق نحو الخلف. لم يكن يعرف أي شيء عن السيارات. لعلها ليست حتى سيارتها. لكنه أقحم المفتاح في موضع الإقلاع فدار المحرّك من المرة الأولى. قال في سره، إنه سحر. لمسة سحرية. ضربة حظ. لعلها أسرفت في ملئها بالوقود، فعلت شيئاً بالشرّاقة. شيئاً يشبه هذا. لعلّ حرارتها ارتفعت. لقد قالت إنها قادتها طوال الليل. قادها حتى المنزل وهو يتدرب على أفضل طريقة لقول ذلك. لقد أدرتُها مرات عِدّة وأقلعت كأفضل ما يكون. قمت بفحصها من أسفلها ويبدو كل شيء على ما يُرام الآن.

Twitter: @ketab_n

أنـا لست خبيراً في السيارات، ولكنني ألقيت عليها نظرة سريعة وأعتقد أنكِ ستجدينها الآن لذيذة كالجوز.

لذيذة كالجوز! كان مايكل لا يزال جالساً على المائدة، يميل إلى الخلف ثـم إلى الأمام، ويتنقّل في جلسته علـى الكرسي. وكانت إيف وأستريد في المطبـخ تتناقشان حول شيء ما. لم تكن قد عادت إلى الغرفة. سوف تفعل في أية لحظة. قال في نفسه، هذا صحيح. الجوز لذيذ. بلا تلميح. كلام بريء. إنها حقيقة بريئة. إنَّ للجوز حلاوة فريدة.

مـن ناحية أخرى، عندمـا قبّل فيليبا، أقحمت يدهـا داخل بنطلونه وضمَـت بها خصيتيه. كانت فتـاة طموحاً. قال لها وهـو يحلّ أزرار أعلـى ثوبها، «دعينا نبدأ مـن البداية». كان مكاناً جيـداً جداً للبداية. لكنها لم تفهم. كان لا يزال يشرح لها وهي تفتح السحاب وتُخرجه أنه يُشـير إلى المخيم. لم تفهم عمّا يتحـدث. قالت «آه، حسـن، تعني ذلك الفيلم القديم»، ثم ضغطت بشدة حتى لم يعُد قادراً على الكلام.

كان شيئـاً يبعث على الانقباض؛ لم يسعـه إلا أنْ يشعر أنه أُسيء فهمه، وخُـدِع، وهـو يلج تحت ثوبهـا. أراد أنْ يتكلّم قليلاً عـن الحب العذري والحب الجنسي. كان يحب أنْ يحكي الحكاية، كيف أنه أُعجب بها عندما قالـت في غرفـة الدرس «   »[٢٠]. (كان مستعداً، ولم يكن في حاجة، إلى استغـلال اللحظة التي أشـارت فيها فيليبا نـوت إلى شارلوت برونتي على أنهـا إميلي برونتي تحت تأثـير المُهدِّئ) أحبَّ أنْ يصـف الأمر، كيف كان يقطع أرض غرفـة المكتب جيئة وذهاباً، مشغول البـال، يُجافيه النوم على مـدى ليالٍ طويلة لأنَّ الشيء الذي قالته في غرفـة الدرس وينمّ عن ذكاء أو

---

٢٠ – الفراغ بين القوسين موجود في الأصل. – المترجم.

Twitter: @ketab_n

مهـارة قد كشف له النقـاب دون سابق إنـذار، وكأنّ صاعقة ضربته، وأنه أراد أنْ يُمسـك بهـا وينالها في التـو واللحظة دون أخذ اعتبـار لأي شيء، أمـام الآخرين كلهم. أحـبَّ أنْ يُعبِّر عن الأمر بهذه الطريقة ومن ثم يجلس كالمُذنـب علـى الكرسي، ليس كرسيه علـى مقعد الدراسة بـل على أحد الكراسي التي يجلسان عليها، خجِلاً من نفسه، هازاً رأسه بينه وبين نفسه، وينظـر إلى الأرض. ثـم يرين الصمت. ثم يرفع رأسـه، ليرى. فتاة (أكانت كرستـي؟ كرستي أندرسـن، خريجة المدرسة الثانويـة ٢/١، عام ١٩٩٨) كان قـد أغواها ببراعة؛ بدت من النـوع المناسب. كان قد قرأ المقطع الذي يـدور حول سابو[٢١]، لقد حطمني شاب جميل، وأخبرها بصوته الهادئ، أنا نفسـي سُحاقيّ. لا تضحكي. إنني أشعـر أني أنثى، وروحي دون ريب أنثوية ولا أقوى إلا أنْ أحبّ الفتيات والنساء. (كان يعتقد أنها تعمل لصالح مؤسسة BBC) كنّ يُفضّلن هذا النوع من الأعمال؛ كان يقتطف مقاطع من مؤلفات ليليان هلمَنْ وأليس ووكر، من كاتبات بدأتْ شهرتهن تأفُل؛ الآن هنـاك أطروحة فيليبا الثالثـة المُفترَضة. الأميركية. المعاصـرة: «الانتخابات الرئاسيـة الأميركية: صور السلطة في روايات فيليب روث». كان قد سافر علـى وجـه السرعة بالقطار مُعتقـداً أنَّ في استطاعتـه أنْ يُعلِمها برفق، قبل أنْ يلمسهـا (إذا سمحت له بلمسها)، أنها اجتازت امتحاناتها. ظنَّ أنَّ في استطاعته أنْ يهمس لها في أُذنها، بذكاء وبراعة، «لقد نجحت بيبا». لكنها أحضـرت معها واقياتها الذكرية ووضعت له واحـداً بنفسها وأسندته على طاولته، تاركة إياه يشعر بأنه ضعيف، وكأنه يُعالَج في المستشفى.

---

٢١ – سابو (القرن السادس قبل الميلاد): شاعرة يونانية. عُرِفَتْ بأشعارها عن الحب. وتُعتَـبَر أول من وضع حجـر الأساس لشِعر العشق المشبوب. لم يبقَ من شِعرها إلا مقاطع متفرقة. – المترجم.

Twitter: @ketab_n

قبـل عشرة أعـوام كان الأمر رومانسيـاً، مُلهِماً، مُحفِّـزاً (هاريت، إليانا، تلك التي تشبه الخادم الجميل التي نسي اسمها الآن لكنها لا تزال تبعث إليه بطاقة معايدة في عيد الميلاد). قبل خمسة أعوام كان الأمر لا يزال جيداً (مثلاً، كرستي أندرسن). الآن هناك مايكل سمارت، وفيليبا نـوت ذات العشرين عامـاً تعتليه، مفتوحة العينـين، وتهتز، على أرض غرفـة مكتبه، قلِـقَ على عموده الفقري. أغمض عينيه. قال في نفسه، شيء مُحبِط أنَّ الممثلة السينمائية جنيفر بيلز، التي شاهدها في برنامج بُثَّ في آخـر الليـل قبل نحو شهرين على إحدى القنـوات التي لا حصر لها التي يكتتب الناس لمشاهدتها الآن في المنزل، أجرت عملية جراحية في وجهها لتجعل نفسها تبدو شبيهة بنساء هوليوود الأخريات جميعاً.

كان في استطاعتـه أنْ يرى الخشب الخشن على الجانب السفلي من المقعـد. لعل فيليبا نوت كانت خياراً خاطئاً. ربمـا كان عليه أنْ يتوجه، منذ البداية، إلى الخجول ذات الشعر الأحمر، ماذا كان اسمها، راشيل، مـن يوركشير، وكان معروفـاً عنها أنها تكتب الشِعـر وكان موضوع أطروحتهـا مُريحاً: أهمية أصالة صوت أدب الطبقة العاملة في بريطانيا مـا قبل الحرب. هل كانت راشيل ستبدو أكـثر أصالة؟ مختلفة عن هذه. ولكـن عاد فقال، إنَّ لهذه جوانبهـا المُرضية. كان دماغ مايكل خاوياً. وقذف.

عندما استعاد قدرته على التفكـير، بعد أنْ ابتعدت فيليبا نوت عنه، ونهض واقفـاً ورتّب هندامه، وجد نفسه يفكّـر في آشنباخ بطل رواية «مـوت في البندقيـة»، في اللحظة التـي يستمد منها المتعـة من التفكير في أنَّ الفتـى الجميـل والرقيـق قد يمـوت وهو صغير. تفقّـدت هاتفها المحمول. فاتتها رسالة. مشّطـت شعرها وأصلحت من شأن مساحيق

Twitter: @ketab_n

وجهها مستعينة بمرآة اليد التي أسندتها على رف الكتب، بجوار القواميس. نهض واقفاً وظهره نحوها، أقحم القميص داخل البنطلون، وثبّتَ حزامه، وسوّى التجاعيد. هل هو الذي نالها أم هي التي نالته؟ الأستاذ ينيك الطالبة. الطالبة تنيك الأستاذ. بدأ يتكلّم، لأنَّ الغرفة تتردّد فيها أصداء الضجيج القليل الذي صدر عن فيليبا نوت. قال لها، إنَّ نظام الكلمات أمر حاسم في اللغة الإنكليزية، والمُثير للاهتمام أنه ليس كذلك في العديد من اللغات الأخرى، فمثلاً في الألمانية، لأنَّ الفاعل والمفعول به يُشار إليهما كلاً على حِدة بتصريف مُذكّر/ مؤنث. لم يكن هناك كثير الطلب على عِلم الصرف في الإنكليزية، التي فقدت ميولها التصريفية في فترة اللغة الإنكليزية الوسطى. قال إنَّ علم الصرف لن يحدث، ها ها، وهو يطوي الواقي الذكري المُستعمل داخل الصفحة رقم A4 في أعلى كومة من نشرات ييتس قديمة. في وسط النشرة الكلمات التالية «آه الحب شيء مُخادع»[٢٢]. رأى الكلمات. كان المقطع مأخوذ من قصائد ما قبل تولي المسؤوليات، عندما كان ييتس لا يزال يافعاً. ثم ييتس العجوز، وهو يُحاول أنْ يشحذ مُحرِّك رجولته القديم المُراوغ. ييتس، الحمار العجوز. كانت فيليبا تتكلّم عن النتائج والاعتراضات على الدرجة. كانت تقول، لقد أبليتُ بلاءً حسناً. لقد أخبرتْني بذلك جوستين من المكتب. في الواقع أنا مسرورة كثيراً. لقد حصلت على علامة بارزة عن أطروحتي عن شكسبير وعلامة بارزة عن أطروحتي في الأدب الفيكتوري والأميركي. كان مايكل قد شعر فجأة بالإرهاق. وقبل أنْ تغادر كانت قد جلست على مقعدها المعتاد رقم ٣ بعيداً عن طاولة مكتبه وأمسكت بقلم حبر، مع إضمامة من

٢٢ – البيت من قصيدة و. ب ييتس «براون بيني» (Brown Penny). – المترجم.

Twitter: @ketab_n

الأوراق بالحجم الكبير وأخرجت مجموعة من روايات روث البرّاقة ذات الغلاف الورقي من حقيبتها. جلست، تنتظر. قال الدكتور مايكل سمارت، «أنا في غاية الأسف. ولكن سوف نضطر إلى تأجيل هذا إلى المرة القادمة، يا فيليبا. أخشى أنّ لدي مواعيد أخرى بعد الظهيرة».

قالت بلا مبالاة «حسن»، وراحت تفتش داخل حقيبتها عن مفكرتها.

بعد مغادرتها نظر في ساعة يده. كانت ٢،٢٤. وقف على مدى الدقائق العشر التالية عند النافذة. كانت تطل على فناء خال، لا شيء فيه، قرميد فوق قرميد. في المعتاد، يعجبه المشهد. في المعتاد كان يعني له شيئاً. أما اليوم فالفناء لا شيء على الإطلاق.

شغّلَ حاسوبه وتفقّد رسائله الإلكترونية. يحتوي مئة وثلاثاً وسبعين رسالة جديدة. كان ثقل عمل الإدارة في هذه المهنة يُصبح مُتعباً باطراد.

مشى على طول رواق القسم و لم يُقابل أي شخص آخر؛ أصاخ سمعه عند بابين و لم يسمع أحداً. إنه بعد ظهيرة يوم جمعة، بعد انتهاء الامتحانات، ولا شيء يدعو إلى الدهشة. وعندما اتصل بمكتب الإدارة ليسأل عن بريده العادي كانت جوستين مؤدبة ولكن مقتضبة في الكلام، وبدت ممتعضة. كانت السكرتيرات هنّ المُشرّعات غير المُعترَف بهنّ للعالم. كان يكرههن عندما يتخذن مواقف ضده. إنهنّ يجعلن الأمور صعبة. وجوستين لم تكن تحبّه في بدايات الفصل الدراسي ونهاياته. ومن المستحيل أنْ تكون غيوراً.

نظّفَ نفسه في مرحاض الهيئة الإدارية، ثم جفّف نفسه بالمناشف

Twitter: @ketab_n

الورقيــة. أشــاح ببصره بعيــداً عن المــرآة. عندمــا عــاد إلى غرفته أخذ يستعرضــ رسائله الإلكترونية ومحا من دون أنْ يقرأ الرسائل السبع التي جاءته من إيما - لويز ساكفيل، التي تخرّجت تواً بدرجة ضعيفة وكانت من الفئة المعوزة، الباكية. وحتى لو كانت نتائجها أفضل، فلا فرق. لقد كان شديد الوضــوح. وتكبّد الكثير من المتاعب طوال العام ليوضّحه. بعد التخرُّج لن يقوم بأية مراقبة.

أطفأ الحاسوب. وأوصد الباب بالمفتاح.

فكّــر في الذهــاب إلى المنــزل، إلى المنزل الخالي الكائــن على الجانب الآخر مــن المدينة. لن يكون هنــاك أطفال يكون بجبــاه عالية ومملوءون بالبؤس، ولن تكون هناك إيف المنهمكة في العمل والمتذمرة ذات العينين الداكنتــين. سوف يستأثر بالمنزل. نظر في ساعة يده. تأخر الوقت كثيراً. مشــى إلى محطة القطار. كانت الشوارع مملوءة بالشبان الغاضبين والناس السعــداء. جلســ في القطــار. كادت العربة تكون خالية مــن الركاب، خِلافــاً لحالها في طريق الذهــاب، حين كان القطــار مزدحماً والشمس ساطعــة، والأشجار وافــرة بنُضرة الصيف ومزاجه لا يقــلّ عن الأشجار بهجــة. لقد انطلقَ اليــوم إلى المدينة كالأحمق، يضحــك بينه وبين نفسه علــى الصحيفــة الريفية المحلية المجانيــة التي تركها أحدهــم على المقعد المجــاور لمقعده. الإعلانــات التجارية المُرافقة لقهــوة الصباح مع عرض لفرقــة بيتلــز مقاطعة نورفوك. بيتلــز مقاطعة نورفــوك! تقرير عن عملية تخريب محلية. عدة رسائل غاضبة عن مجموعة من الجوالة يشكّلون قوافل شبــه دائمة على أحد الحقول المحليــة. (ما يُثير السـؤال التالي: هل هناك حقــاً شيء اسمه قافلة شبه دائمة؟) عمود عــن لغز سارق صناديق البلدية المصنوعة من الورق المُعاد تدويره من إحدى القرى. كان يتطلّع إلى إخبار

Twitter: @ketab_n

أحدهـم، جوستين، أو توم، أو ربما نايجـل إذا كان نايجل موجوداً، عن مـدى غرابة، وجاذبيـة، المكان الـذي سيقضون فصـل الصيف فيه من وِجهة نظر التفاعل الاجتماعي والدراسات الإحصائية، وباللغة المجازية إنكلترا الكبرى. كان سيحكي القصص كلها وكان الجميع سيضحكون.

ولكن الآن وهو في طريق عودته إلى هناك فإنَّ القصص التي لم تُحكَ جعلتـه يشعر في داخله بالخمول وبالقـذارة. أُغلقت أبواب القطار مع ضجيـج صافر مبتذل. كان ينبغي أنْ يتوجـه إلى المنزل عندما فكّر فيه، عندمـا أُتيحـت له الفرصة. كان ينبغـي أنْ يذهبـوا إلى سفوك. لا أحد ذهـب إلى نورفوك. الجميع ذهبوا إلى سفـوك. الدكتور مايكل سمارت لـن يُصبح أبداً رئيس القسم، ولا حتى نائب رئيس، عبر نورفوك.. توم كان في سفـوك. مارجوري دنت كانت في سفوك. كانت تمتلك منزلاً صيفياً هناك. طبعاً، كان آل دنت أثرياء، وقادرين على تحمُّل التكاليف. وهناك أناسٌ كثيرون يعرفهم لعلهم كانوا موجودين هناك أيضاً. تهادى القطار وهو يُغـادر المحطة. كان أحد القطارات غـير الهامة المُغرقة في الأضـواء. شعر قلبه مُثقلاً. أثقل من القطـار. بقيَ ثقيلاً حتى خرج من الضواحي. وجفناه أيضاً كانا مُثقلَين. واستغرق في النوم.

لم يُلاحـظ المقعـد الخالي أمامـه إلا عندما استيقظ يعلـم الله أين، في موقع مجهول.

كان مجـرد مقعـد لا يشغله أحـد، مقعد شاغر في قطـار. كان هناك الكثـير من المقاعد الشاغرة مثله في أرجاء العربة كلها؛ كاد ذلك القطار المُقبِض يخلو مـن الناس. كان قماش المقعد متهرّئاً وقـذراً، ومُبهرج الألوان بأسلوب محلي، وكأنه مُخصص للأطفال؛ تلك القطارات تسبب

Twitter: @ketab_n

الحرج عندما يتعلّق الأمر بالتصميم. أما الآن فإنَّ شيئاً داخله نبذ مظهره ذاك، إلى آخره، لأنَّ الأهمّ من أي شيء آخر كان أنه علِمَ، من المجهول، وكأنّما ضربته، حسن، نعم، صاعقة، أنه رغبَ في تلك المرأة التي اسمها أمبر ووجدها في المنزل هذا الصباح جالسة قبالته على المقعد الخالي.

هزّ رأسه نفياً. ضحك من نفسه. في يوم واحد أُصيب بصاعقتين. لقد ضاجع فتاةً تواً. *الدكتور مايكل سمارت هنا*. لا يمكن تقويمه. استرخى على مقعده، ومن جديد أغمض عينيه وحاول أنْ يتخيَّل تلك المرأة، أمبر، وهي تمصّه في مرحاض القطار.

ولكنَّ ذلك لم ينفع.

لم يتمكّن حقاً من تخيل الأمر.

قال الدكتور مايكل سمارت في نفسه، «شيء غريب».

حاول من جديد.

جعلها تركع على رُكبتيها أمامه في خلفية دار سينما شبه خالية. ولكن كل ما استطاع أنْ يرى كان دفق الضوء المُسلّط من فوقه، وحركة الغبار الكسول داخله مع تغيّر أشكاله، وأمامه طرفٌ مُستدق شارد من الضوء ينعكس على الشاشة التي اخترقها في موقع صغير جداً.

وضعها أمامه على أرضية سيارة أجرة لندنية في فصل الشتاء. كل ما استطاع أنْ يرى كان التحام أضواء شوارع لندن وحركة المرور فيها في الأطراف الدقيقة للمطر على شباك السيارة.

Twitter: @ketab_n

قـال الدكتور مايكل سمارت عالِم الرياضيـات ومشتهي الأطفال، لنفسه ببراعة وهو يكتب في دفتره المُخَصص للأطفال، «لقد ازداد الأمر غرابة على غرابة».

ولكـن في الواقـع أنَّ المزعج في الأمر قليـلاً أنَّ كل مـا استطاع أنْ يتخيّلها تفعل كان الجلوس هناك، قبالته، في القطار. كان شيئاً مستحيلاً. مستحيلاً تماماً. كانت تتفحّص أظافرها. تتفحّص أطراف شعرها. تقرأ كتاباً بلغةٍ يجهلها.

فكّرَ كيف أجلسته تينك الفتاتين في الخيمة، عندما كان فتى، بينهما، وأطعمتـاه اللحم المفروم المقلي مع البصل علـى موقد الغاز ذي اللهب الأزرق ثـم تجاهلتـاه، وتركتاه يغفو وهو متكـئ عليهما وكتابه مفتوح أمامه على الصفحة الأولى، يستدفئ بحرارة جسديهما وهما تتحدثان من فوق رأسه بلغةٍ لم يفهم منها أية كلمة.

إنهـا لحظـة تجلّ! يـا الله لقد كانت لحظـة تجلٍ! المقعـد الخالي الذي لا تشـغلـه إلا الطِيبـة كان لحظـة قُدسيـة! وعلى متن قطـار قذر يجتاز المستنقعات القذرة!

ولكن ها هنا حقيقة جديدة على الدكتور مايكل سمارت - لأنه مَنْ ذا يهتم، عندما يكون المرء حياً حقاً، هكذا، بلحظة تجلٍ، وبعبارة أخرى بمُسميات الأشياء، بالأدوات وبالتخيّلات والقوانين وبحدود الأجناس، وبالتسلسـل الزمنـي العِلمي، وبالتعريفـات المُعطاة والمُصنَّفـة للأشياء؟ الآن فهـم أخـيراً، الآن فهم للمـرة الأولى المعنى الدقيـق، سبب وجود جويس وفرجينيا وولف العجوز الرتيبة والمُملة وييتس وروث ولاركن، وهيمنغـواي، وأصـوات الطبقة العاملـة الأصيلة قبـل نشوب الحرب،

Twitter: @ketab_n

وبراوننـغ، وإليوت، وديكنز ومَنْ غيره، وليم ثاكراي، ومسيو أبولونير، وتوماس مان، والعجوز ويل شكسين[٢٣]، وديلن توماس السكّير والميت والشـاب إلى الأبد والهادئ تحت ظلال أغصان شجرة التفاح، وكلهم، كل الآخريـن، وكل صفحة كتب في حياته، وكل تأويل أدلى به (أكانت تلك حتى كلمة؟ مَنْ يأبه؟ إنها كلمة الآن، أليست كذلك؟)

هذه.

كان قـد جلس قبالتها على مائـدة العشاء. بدت فتاة، كلا، بل امرأة راشدة كاملة ومكتملة، من النوع الذي تقلّه معك بالسيارة على الطريق وتوصلها إلى القرية التاليـة، ثم تخرج من سيارتك وتلوّح لك مودّعةً، ولا تراها بعد ذلك أبداً، ولكنك لا تنساها أبداً.

بدتْ فتـاة مشوشة الشعر، مزيَّنة بالأزهـار كما في لوحة «**الربيع**» لبوتيتشيللي.

ترجّـل من القطـار مندهشاً من نفسـه. توقف برهـة في الشمس. وقـف يراقب ضوء الشمس البسيط ينعكس مائلاً عن سيارته في موقف سيـارات المحطة. شعر بإحساس غريب، مختلف، مُشرق تحت ملابسه، إلى درجـة أنه بـدأ يعتقد وهو في طريقه إلى المنزل أنَّ عليه ربما أنْ يتناول مُضاداً للحساسية. عندما وصل المنزل كانت سيارة الفولفو لا تزال على الممشـى. ركنَ سيارتـه بمحاذاتها. ومشى حول جانـب المنزل. كانت مستلقية علـى بطنها في الحديقة، تتفحّص شيئـاً، كفتاة صغيرة. عندما رآها تحول قلبه إلى جناح في مهب الريح.

---

٢٣ – شكسين: تشويه متعمَّد وساخر من الكاتبة لاسم شكسبير. – المترجم.

Twitter: @ketab_n

كان قد أعدَّ وجبة العشاء. وكان عشاءً ممتازاً. هل ستبقى حتى العشاء؟ سيسـأل إيف هذا السؤال عندما تحضر. قالت إيف «لا أدري». كان قد هتف لهـا في الحديقة، حيـث تستلقي على العشب مـع أستريد، «هل طلبـتِ منها ذلك؟». «هل سترغب في المكوث لتناول طعام العشاء؟»، «أستريد، أستريد الحلوة، ردّي عليه وقولي له إنها سترغب». الآن دفعت بكرسيها نحو الخلف وغادرت المائـدة، وصعدت إلى الطابق العِلوي، وفتـح مايكل سمارت عينيه على ما كان يعلـم أنه الضوء، كما يستيقظ مريضـ من الغيبوبة بعد سنين من ظـلامِ انعدام الحس. استطاع أنْ يرى إيـف. واستطاع أنْ يـرى أستريد. استطاع أنْ يرى يديـه كما لم يرهما من قبل. ورأى الضوء. كان هو الضوء. لقد أُضيء، قُدِحَ، كعود ثقاب. لقـد أُضيء. كان مُخلَّقاً ضوئيـاً؛ أضحى أخضر اللـون. نبتت له أوراق خضـراء وأصبح جديداً. تلفّت حوله وإذا بكل مـا رأى يُشرق بالحياة. الكأس. الملعقة. ويداه. رفعهما عالياً. حوّمتا. هو حوّم، حلّق في الهواء وهـو هنا على كرسيـه. كان تحدياً للجاذبية. كان نيرانـاً، يتلظّى بالنار، مُترعاً بوقودٍ جديد ولا ينفد. رفع كأسه من جديد. انظر إليه. لقد شُكِّلَ بنـارٍ مُكثَّفة. كان مُعجزة، هذا الكأس العادي. كان تلك الملعقة، وتلك الملاعق هنـاك. كان يعرف زجاجيّة الزجاج والملعقيّـة البرّاقة للملعقة. كان الطاولـة، كان جدران هـذه الغرفة، كان الطعام الـذي يوشك أنْ يُعدّ، وكان ما ستأكل، وهي جالسة قبالته، تخترقه بنظرها.

تجاهلته أثناء تناول العشاء.

تجاهلته طوال الوقت.

جلست قبالتـه وكأنه غير موجود. لعله هو أيضـاً كان كرسياً خالياً

Twitter: @ketab_n

أمامها، فضاءً، عَدَماً بريئاً. لكنه جعل سيارتها تُقلع. وأعدَّ عشاءً ممتازاً. وسوف يُعدّ إجاصاً دافئاً مع صلصة الشكولاتة الحارة ومن ثم سيراقبها وهــي تقطعها بحافة الملعقــة، وتغرفها، وتضع الملعقــة في فمها وتمضغ وتبتلــع شيئاً مذاقه لذيذٌ حقاً، وتغــرف المزيد من الطعام بملعقتها وتفتح فمها ليتلقّى الملعقة من جديد.

في أية لحظة الآن سوف تدخل من الباب عائدة إلى الغرفة.

ها هي الآن، عند ممر الباب.

آه.

Twitter: @ketab_n

كانت البداية تبقيها يقظة

إنهـا على المدى الطويـل تفضِّل وضع اللمسـات الأخيرة. النهاية، حيـث ينتهي العمل في الظـلام وتستطيع أنْ تقصّ وتقصّـ إلى أنْ يبرز الشكل الحقيقي للأشياء.

أين كانت إيـف، بالضبط؟ كانت إيف مستلقية على السرير في هذه الغرفـة الحالكة الظلمة الشديدة الحرارة، يقظـة تماماً في منتصف الليل، بجوار مايكل المُستغرق في النوم ورأسه تحت وسادته.

أليس من سبب آخر لعجزها عن النوم؟ كلا.

صِدقاً؟ حسن. إنَّ فتاة مايكل تلك مُشوّشة قليلاً.

أيـة فتاة؟الفتـاة التي كانت من فـرط الوقاحة بحيث تأتـي إلى مقرّ الإجازات، وتأكل طعامهم، وتفتن أطفال إيف، وتُخبر إيف ما اعتقدت هـذه الأخيرة أنه أشد ما سمعت مـن أكاذيب وقاحة قيلت في وجهها. الفتـاة التـي، في نهاية الأمسية (الممتعة في الواقـع)، أمسكت إيف من كتفيها، من دون أي سبب، وهزّتها بعنف.

فعلتْ ماذا؟ كانتْ قد هزّت إيف جسدياً ومن ثم تراجعت، وفتحت البـاب الأمامي، وتمنّـت لها بمرح ليلـة هانئة، وأغلقـت الباب خلفها

Twitter: @ketab_n

وذهبت لتنام تحت النجوم (حسن، في الواقع تحت سقف سيارة فولفو متوقفة في الممشى، لتتوازن أكثر)

أهزّت إيف؟ نعم. شيء مُشين.

لماذا هزّت إيف هكذا؟ بدون أي سبب على الإطلاق. بدون أي سبب تعرفه إيف. لم يكن لدي إيف أدنى فكرة.

مَنْ كانت تلك الفتاة؟ إنها إحدى اللائي لهنّ صِلة بمايكل.

كيف أصبحت إيف بعد ذلك؟ أصبحت يقظة جداً جداً.

أكان المكان في منزل العطل ذاك مُعتماً أكثر من المعتاد؟ نعم. كان مُظلماً بصورة غريبة بالنسبة إلى منزل صيفي. كانت النوافذ صغيرة جداً. والستائر سميكة جداً.

بأي معنى كانت للفتاة «صِلة بمايكل»؟ كانت بوضوح إحدى أحدث «طالباته».

أكان مايكل يتظاهر بأنها ليست كذلك؟ من الطبيعي أنه كان كذلك:

قال مايكل: (*لإيف، بعد أن ارتقى السرير، وكانت هي تخلع ملابسها وتستعد بدورها للإيواء إلى السرير*) كيف سار كل شيء؟

قالت إيف: ماذا تقصد بكل شيء؟

مايكل: ما نوع الأسئلة التي سألتك؟

إيف: مَنْ الذي سألني؟

Twitter: @ketab_n

مايكل: ما اسمها. أمبر. أكانت أسئلة جيدة؟

إيف: (وقد قرّرت ألا تأتي على ذِكر مهانة هزّهاالتي تعرّضتْ لها قبل نصف ساعة في الصالة) ماذا تقصد بالضبط؟

مايكل: أنتِ تعلمين. أكانت مُبتكرة. أكانت جيدة؟ أهي بارعة؟ تبدو بارعة جداً.

إيف: في الواقع أنتَ أعلم.

مايكل: ماذا تقصدين؟

إيف: أقصد، إنها إحدى المُخصصات لك.

مايكل: إحدى ماذا؟

إيف: طالباتك.

مايكل: كلا ليست كذلك.

إيف: أه، حسن.

مايكل: (وهو يتقلّب) إنها هنا من أجل إجراء ما يُشبه مقابلة الابتكار، أليست كذلك؟

ما هي آخر المطبوعات المتميّزة التي اجتاحت عالم الأدب؟ إنها سلسلة «قصص حقيقية» من دار جوبيتر، وهي سلسلة من «السير الذاتية والقصص الحقيقية والمقابلات الصحفية» أحدثتها إيف سمارت (٤٢ عاماً)، وخطرت على بالها هذه الفكرة الجديدة قبل ثماني سنوات

Twitter: @ketab_n

عندما نشرت «قصة حقيقية ١ »: قصة كلارا سكينر، وهي سيرة حياة حقيقية لعاملة في حانة من لندن اسمها كلارا سكينر قُتِلتْ في البليتز وهي في عمر ٣٨. (قصص حقيقية أخرى تحكي عن أسير حرب إيطالي، وعاملة في دار للسينما، وقائد طائرة مقاتلة وطفل أُجليَ عن منطقة خطرة) والإثارة التي أحدثتها آخر مقالة أصيلة لها، «قصة إلسه سيلبر»، أشاعت الحيوية في دار جوبيتر التي كانت في السابق مُستقلة ومعدل طبعات كل كتاب فيها يبلغ خمسة آلاف وباعت ما يُقارب أربعين ألفاً هذا الربيع من كتاب سيلبر وحده وشهدت ارتفاع الطلب على المطبوعات السابقة كالصاروخ (وهذا أحد أسباب عملية الشراء البارزة في أوائل هذا العام لدار جوبيتر الصغيرة التي قامت بها دار هاربر - كولينز المختلطة). تقول أماندا فارلي - براون، التي تعمل الآن مُحررة مفوَّضة في دار جوبيتر و لم تتجاوز السابعة والعشرين، «لقد أوقعَ بنا حتماً. إننا لا نزال مُشوشين. ولا نصدّق حسن حظّنا. إننا نأمل أنْ يُصدر ريتشارد وجودي قصة حقيقية».

عمّ تتحدث تلك الكتب؟ كل منها يتناول قصة عادية لشخصٍ حيّ توفي باكراً خلال الحرب العالمية الأولى ويتحدث بصوته أو صوتها - لكنه صوت يُخبر قصته أو قصتها وكأنها نجت من الحرب. تقول سمارت «إنني أدعهم يحكون قصة نهاية بديلة - كيف كان يمكن للأحداث أنْ تجري».

ما الجديد إلى هذه الدرجة في هذه الكتب؟ إنَّ كلاً من الكتب الصغيرة مكتوب على شكل أسئلة وأجوبة. «المتكلِّم» في «قصة إلسه سيلبر» امرأة من أصل ألماني، يهودية في السر ولكن في العلن هي أم نازية مُخلصة بل لقد منحها هتلر جائزة الصليب الحديدي للأم المثالية لأنها أنجبت

Twitter: @ketab_n

سبعـة أطفـال (ماتوا جميعـاً لاحقاً في أثنـاء غارات قصـف الحلفاء)، طُلِـبَ منها أنْ تصف لحظة موتهـا الحقيقية عندما اشتعلت ملابسها في أثنـاء قصف غزير وقفزت إلى نهر فوبرتال. وبعـونٍ من أسئلة سمارت تقـوم بعد وفاتها بوصف ما حدث عندما جـرّت نفسها خارج النهر، وجففـت نفسها، وطبّبت الحروق بمعونـة مزارع محلي وتابعت حياتها على امتداد ثلاثين عاماً أخرى.

ما الداعـي إلى اللجـوء إلى طريقـة الأسـئلة والأجوبة التـي تنطوي على تلاعب هذه؟ تقول سمارت «هذه ليست طريقة متلاعبة. إنَّ لكل سؤال جواب».

أليس لدى الأقارب الأحياء اعتراض على نبش سـمارت لموتاهم؟ تقول سمـارت «في المعتـاد يفرح الأقـارب. إنهم يشعـرون أنَّ ذلك يوليهم انتباهـاً إيجابيـاً. إنني دائماً أوضِّح أنَّ القصص الحقيقية هي أولاً وقبل أي شـيء صياغـة أدبية. ولكن لـلأدب قدرة فريدة علـى الكشف عن الحقيقة».

هل توصـل النقّاد أخيراً إلى إدراك ذكاء سـمارت؟ «إنـه مُبدع ومؤثّر» (التايمـز). «كتاب يجعل الميتافيزيقي جـزءاً من الحياة اليومية مثل كوب الشـاي مع صحنه على طاولـة الأواني في عـام ١٩٥٧» (التلغراف). «لامع، ومُعوِّض بعمق. إنَّ قراءته تُهدِّئ النفس» (الغارديان).

هـل هذا الاسـتقبال المُفـرِح مجهول المصـدر؟ «متى سيتوقـف الكتّاب والقـرّاء أخيراً عن تكـرار القصص المُضخّمة الكاذبـة عن الحرب التي

Twitter: @ketab_n

أضحت الآن وكأنها وقعت قبل سنوات لا حصر لها من هذه[٢٤]؟ إنَّ قصص سمارت الحقيقية هي مثال بارز على انجذابنا المُشين لأي شيء يبثّ فينا شعوراً زائفاً بالذنب مُبرّراً أخلاقياً. كفانا انغماساً ضبابياً في أهوائنا الذاتية. إننا في حاجة إلى قصصٍ تحكي عن الوقت الحاضر، وليس إلى مزيد من الهراء القديم التافه عن الماضي» (إندبندنت).

ماذا بعد؟ هناك أفكار شائعة حول ما إذا كانت سمارت سوف تسعى إلى التعاقُد لإنتاج المزيد من الكتب المُربحة؛ في هذه الأثناء، هل هي مختبئة تعمل على إنجاز القصة الحقيقية رقم ٧؟ مَنْ ستبعث من بين الموتى هذه المرة؟ وحدها سمارت تعلم.

ما الذي تعلمه إيف سمارت (٤٢ عاماً)؟ وحده الله يعلم.

أين هي إيف سمارت (٤٢ عاماً) الآن؟ تستلقي بجوار مايكل في السرير في منزل العطل غير الصحي في نورفوك.

كلا، أعني إلى أين وصلت في مشروعها الجديد؟ أرجوك لا تسأل.

لماذا؟ لقد كانت عديمة الفائدة كقلم رصاص كليل على أرضية «المنزل الصيفي الأنيق المزوَّد بخط إنترنت موصول» في «الحديقة الراشدة» في هذا «المنزل الريفي ذي الطراز التيودوري المجاور لقرية جميلة المناظر تطل على ضفاف بحيرات نورفوك». كان على الإعلان أنْ يقول «منزل صيفي متهالك من حقبة الثلاثينيات بعيد عن بحيرات نورفوك، قريب من حي شبه قذر مملوء بمنازل تبدو أشبه بأطيان مجلس قديم».

---

٢٤ – أي من الحرب العالمية الثانية. – المترجم.

Twitter: @ketab_n

كان أحدهم قد أقحم قطعاً من دعامات سكة حديد قديمة عبر الأسقف في أرجاء هذا المنزل كله. إنه حقاً سخرية من الأسلوب التيودوري. ضحكت إيف، ولكن في نفسها، لكي لا توقظه.

لماذا؟ من ناحية لأنها لم ترغب حقاً في إيقاظه ومن ناحية أخرى لأنها لم ترغب في الاضطرار إلى ممارسة الجنس من جديد. كان نائماً وهو يضع على رأسه إحدى الوسائد التي كان قد جلبها من المنزل.

لماذا جلب الوسائد؟ لطالما كان يتحسّس من الوسائد التي ليست له. فيما عدا ذلك لم يكن يجد صعوبة في النوم. و لم يجد في البدء في أمر جديد شيئاً صعباً. كان دائماً «يبدأ» شيئاً آخر، شيئاً جديداً.

لماذا هذه العبارات الساخرة الصغيرة الموضوعة بين قوسين؟ لقد فضّلت إيف ألا تجيب عن هذا السؤال.

ماذا كان اعتراضها على القرية؟ لقد تخيّلت إيف مكاناً جميل المناظر يضم منازل كبيرة ومريحة في حظائرها استوديوهات تسجيل، والناس يقضون عطلة الصيف على متون المراكب تمتد فوقهم سماء نورفوك الأسطورية الشاسعة. سماء نورفوك جميلة جداً. ولكنْ أحد التجار المحليين في القرية كان يضع جمجمة في واجهته وقد أُقحِمَ جرذ من البلاستيك في أحد مِحجري عينيه.

لماذا لم يُغادروا؟ لأنَّ إيف كانت قد دفعت التكاليف مُقدّماً.

ماذا كان سبب تواجدهم هنا، بالضبط؟ الابتعاد عن الروتين. تغيير المشاهد.

Twitter: @ketab_n

وماذا أيضاً؟ لكي يبتعدوا أولاً: عن أقرباء الموتى الذين يتصلون بهم هاتفياً ويبعثون إليهم رسائل إلكترونية طوال الوقت لكي يعبّروا عن موافقتهم أو اعتراضهم أو يطلبوا لفت الانتباه أو نقوداً؛ ثانياً، عن كل الرسائل، والمكالمات الهاتفية والرسائل الإلكترونية التي تبعث على الأسى من أناس في أرجاء البلد ويعبّر لها أصحابها عن توقهم اليائس إلى اختيار أقاربهم الموتى لكي تُعيدهم إلى الحياة في كتابها التالي، وثالثاً عن أشخاص من دار جوبيتر الذين يتصلون مراراً في الأسبوع يسألونها متى سيصدر الكتاب التالي وأين.

متى سيصدر الكتاب وأين؟ أرجوك لا تسأل عن هذا.

ألم تكن تعمل عليه؟ في كل ليلة عند الساعة السادسة كانت تخرج من السقيفة، وتعود إلى المنزل الرئيس وتبدِّل ملابسها، وتتناول الطعام وكأنَّ عمل اليوم قد انتهى و لم يضِعْ صيف الجميع سُدى في بؤرة جحيم نورفوك. واليوم جاءت أستريد عن طريق المرج بدل أنْ تأتي عن طريق الممر المُحصّى ولذلك لم تسمعها إيف، لم تر غير الظل يمر من أمام النافذة وبالكاد نجحت في النهوض عن الأرض والانتقال إلى الكرسي القديم عند طاولة المكتب لكي تُثير ضجيجاً على لوحة مفاتيح الحاسوب المحمول ومنه. وبعد رحيل أستريد راحت إيف تحدّق إلى الشاشة. هادئة. متروّية.

هل كانت إيف سمارت مُخادعة؟ كانت قد عادت للاستلقاء على الأرض القذرة بعد مغادرة أستريد.

هل سئمتْ إيف، مثلاً، اختراع حياة أخرى لأناسٍ كانوا في الواقع قد ماتوا ودُفنوا؟ لقد فضّلت ألا تجيب عن هذا السؤال. ***هل أزعجها نجاح كتابها***

Twitter: @ketab_n

الأخـير، *الذي كان ينبغي عليها أنْ تتوقعه بسـبب الارتفاع البغيض في اهتمام الجمهـور بكل ما يتعلّـق بالنازية وبالحـرب العالمية الثانية عمومـاً على امتداد السنوات القليلة الماضـية وخاصة أنَّ بريطانياً عادت إلى الحرب من جديد؟* لقد فضّلـت إيف ألا تجيب عن هذا السؤال. *هل الأمر يتعلّق بذلك التعليق عن «القصص المُضخّمة والكاذبة» الذي ورد أعلاه؟* لقد فضّلت إيف ألا تجيب عن هــذا الـسؤال.*هل تذكرت إيف حقاً ذلك التعليق كله وحفظته عن ظهر قلب، حرفياً ؟* لقد فضّلت إيف ألا تجيب. *هل للأمر أية صِلة بأنَّ رقم ثمانية وثلاثين ألف نسخة ليس كبيراً جداً، ليس في مجال الكتب الرائجة، والآن بعد أنْ جاء النجاح، اتّضحَ بصورة مُخيّبة أنه ليس بالأمر الجلل؟* لا! طبعاً لا! حتماً لا. *هل لدى إيف موضوع لكتابها الجديد الذي لم تباشر به بعد؟ كلا. لماذا كان مجرد التفكير في مباشرة كتاب جديد، الذي سوف يجلب معه المال والشهرة، كافياً لجعلها تقضـي يومها كله مستلقية على ظهرها على أرض المنزل الصيفي المُثير للسـخرية عاجزة عن فعل أي شـيء؟* سؤال جيد. انظـر إنْ كان في استطاعتـك أنْ تجد الإجابة من الإجابـات السابقة. كانت قد شاهدتْ حشـرة حمار القبّـان تخرج من شق في الأرضية ومـن ثم تعود إليه من جديد. لقد رغبت من كل قلبها في تلك اللحظة أنْ تكون حشرة حمار قبّان بمسؤوليات حشرة حمار قبّان، ومواهب حشرة حمار قبّان.

أتسمّين هذا عملاً ؟ أخذت إيف نَفَساً عميقاً. أجابت «إنَّ من الشاق جـداً جداً حقـاً أنَّ يكون المرء امـرأةً وحيّاً في هذا النصـف من الكرة الأرضيـة وفي هذا الزمن وهــذا السن. وأنْ نكون قـادرات على إنجاز كل الأشياء التي من المُفتَرَض علينا أنْ نُنجِز بالطريقة المتوقّع منا إنجازها، أمـرٌ يتطلّب الكثـير. الموهبة. الجنس. المـال. العائلة. الـذكاء المتواضع الصحيح. النحافة الصحيحة. الحضور الصحيح».

Twitter: @ketab_n

ألا يوحي هذا بقدرٍ من الضعف؟ إذا طرحت المزيد من مثل هذه الأسئلة فسوف تُنهي إيف هذا الحوار.

وما هو نوع الأسـئلة المقبولة؟ إنهاالأسئلة الجيدة. الأسئلة التي تنطوي على مفاهيــم. وليس الشخصية منها. ماذا يهــم السؤال عن لون عينيّ إيــف؟ أو ما هــو جنسها؟ أو مــاذا كان يحدث في حياتهــا الخاصة أو عائلتها؟

ومـا الذي كان يحدث في عائلتها؟ حســن، أستريد، على سبيل المثال، كانت تتصرف بطريقة مُراهقة جداً.

وماغنوســ؟ إنَّ إيــف لم تعــرف ماذا تفعل مع ماغنوســ. لقد كانت تصرفاته مُقلقة جداً.

وزوجهــا؟ لقد كان مايكل جيداً. حقاً، كان جيداً. ولكن هذه أسئلة شخصية. إنها من النوع الخاطئ من الأسئلة. القضية هي أنَّ إيف كانت فنانة، وثمة شيء يُعيق إبداعها.

حسن، إذن، بمَ كانت إيف تؤمن؟

هــذا ســؤال وافٍ تماماً؛ بمَ آمنــت إيف؟ ماذا تقصــد بالضبط، بمَ آمنت إيف؟

أعني بمَ آمنت إيف؟

ما هي العقيـدة التي عاشت على أساسها؟

حسن؟

Twitter: @ketab_n

ما الذي يحفّزها على التفكير؟

ما الذي يدفعها إلى الكتابة؟

ما الذي يُبقيها متوثّبة؟ كانت إيف تتوثب بالكوانتوم.

كمـا في الفيزيـاء؟ النظرية؟ الميكانيـك؟ القفزة؟ الكوانتـوم هو اسم ما يدفع الآلة التي تستخدم إلى العمل.

آلة عاملة؟ نعم.

أهي «تؤمن» بآلتها الكوانتوم العاملة؟ نعم.

كمـا يؤمن الآخـرون بـالله، أو بنظرية العمـاء، أو بالتجسُّـد، أو بوحيد القـرن؟[٢٥] إنَّ آلـة الكوانتوم العاملة موجودة حتمـاً. في المنزل، عندما يُجافيهـا النوم، كانت إيف تستخـدم الكوانتوم. على الكوانتوم كانت تدرِّب الجسـد والعقل معاً بينما الجميع نيام، تطـرح على نفسها أسئلة وتجيب عنها أثناء السير أو الركض الإيقاعي. (هكذا في الواقع خطرت لها للمرة الأولى فكرة «القصة الحقيقية»).

ولكـن لا يوجـد كوانتوم في نورفـوك؟ كلا. إنها في المنـزل، في غرفة مكتب إيف.

لَم لم تكن إيف تخرج ببسـاطة وتركض أثناء النهار، بدل الاسـتلقاء طوال اليـوم علـى أرض السـقيفة؟ لا تكوني سخيفـة. لم تكن إيـف «تخرج

٢٥ - وحيـد القـرن: المقصود به هنا الحيوان الخرافي الذي لـه جسم فرس وذيل أسد وقرن وحيد في وسط الجبهة. - المترجم.

Twitter: @ketab_n

لتركض»)، في أي مكان، وأي وقت. إنَّ تنفيذه أمام الملأ شيء فظيع. لم يكن الأمر نفسه.

لِمَ لم تجرّبه، أي أنْ تخرج وتركض، في الحال، في الظلام، في أي مكان ناء، حيث لا يراها أحد؟ جلست إيف على السرير، وعقدت ذراعيها.

طيّب، طيّب. أين كنا، من جديد؟ كنا على أرضيّة السقيفة. حمار القبّان.

وماذا حدث حينئذ، بعد قصة حمار القبّان؟ بعد لحظة وحي حشرة حمار القبّان استغرقَتْ في النوم على الأرض.

هل من المُستغرَب الآن أنّ إيف لا تستطيع النوم، بعد نومها الطويل في أثناء النهار؟ اسمع. لقد كانت إيف مستلقية على أحد الأسرّة شديدة الحرارة في هذه الغرفة شديدة الحرارة في هذا الجزء شديد الحرارة وشديد الظلمة من العالم. في المنزل، عندما تستيقظ هكذا، هناك على الأقلّ أضواء الشارع.

لماذا هزّت تلك الفتاة إيف؟ أهي الغيرة؟ أهو الخوف؟ أهي الضغينة؟

هل بدا أنها ضغينة؟ حسن، كلا. ليس هذا. لقد بدا كأنها –

كأنها ماذا؟ حسن، كأنَّ الفتاة ويا للغرابة، عندما أمسكت بها من ذراعيها، تنوي، في الواقع، على الرغم من غرابة هذا، أنْ تُقبّلها.

لكنها لم تفعل؟ كلا. بل هزّتها.

Twitter: @ketab_n

لـو أنَّ إيف نهضـت وتوجهت نحو النافـذة فهل كانت سـتتمكن من أنْ تطل منها وترى السـيارة هناك؟ كانت الفتاة ستكـون نائمة على مقعدها الخلفـي. كلا، المقاعـد الخلفية كانت ربمـا قابلة للمد لتشـكل مساحة معقولة للنوم. أو لعلها تمـدّدت على المقعدين الأماميين. أو اضطجعت على معقد المسافرين. رفعت إيف الغطاء، وانزلقت خارجة من السرير، وشقّت طريقها إلى أوه اللـ...

ماذا قالت؟ كانت تلك حافة طاولة الزينة.

كلا، مـاذا كانت تلـك الكلمة التي لم تذكرها؟ ألا تسـتطيع إيف أنْ تقول كلمة اللعنة؟ ليس بصوت عالٍ.

ولِمَ لا؟ أليس لديك أطفال؟ هرشتْ إيف فخذها. أزاحت الستارة، وهـي تحبس أنفاسهـا. إنه الغبـار. لعلّ هـذه الستائر من نتـاج ما قبل الحـرب، ولعلها لم تُغسَل منذ ذلك الحين. عندما تركوا هذا المنزل نوَتْ إيـف أنْ تُرسِل للسيدة بث أوريس قائمـة بالأشياء غير المقبولة وبطلب بعض التعويض.

أكانت السيارة ما تزال في مكانها؟ نعم، متوقفة بجوار سيارتهم.

كيـف يمكن للمـرء أنْ ينام في سـيارة؟ كيف يفعل ذلـك في كل يوم؟ هل كانـت تفعـل ذلك في الشـتاء كما في الصـيف؟ إنَّ ذلك يُدمّـر العضلات والمفاصل. ألا تودّيـن النوم في المنزل، يا أمبر؟ هذا ما قالت إيف عندما حان وقت الرحيل ونهضت واقفة لكي تغادر. لقد كانت إيف مضيافاً. قالـت، لدينا مُتّسع. هنـاك غرفة إضافية، لا يشغلهـا أحد، بل أعتقد أنَّ السرير مُعدّ للنوم، ولـن تسببي لنا أي إزعاج، أهلاً وسهلاً بك. قالت،

Twitter: @ketab_n

كلا، أفضّل أنْ أنام في السيارة، وتقدّمت في الردهة وكأنما لكي تُحيي إيف تحية المساء بأدبٍ جمّ وتشكرها على العشاء وتعانقها، أو تقبّلها، لا يهمّ، وبدل ذلك تُمسك إيف بقوة من كتفيها، بقوة وصلت إلى حد الألم، ولا تزال إيف تشعر بوطأة ذلك الإمساك حتى الآن، وقبل أنْ يُتاح لها الوقت حتى لتُدرك ما حصل أو تقول لا بأس لا تقولي شيئاً أو تغضب للطابع الحميم للموقف، كانت الفتاة قد هزّت إيف، بقوة، مرتين، بدون سبب، وكأنَّ لها الحق كله في فعل ذلك.

لماذا اعتقدت أنَّ لها الحق في فعل ذلك؟ سمعت إيف خلفها مايكل يتقلَّب. راقبته ينفض الغطاء أكثر عن ظهره. حرصت إيف على تقبيل مايكل بقوة عندما خرجت «طالِبته» من الغرفة.

لماذا؟ لكي أجعله يعلم.

ماذا؟ أنَّ كل شيء على ما يُرام بشأنها، مهما كانت لعبته.

ألم تكن الفتاة (إكراماً لله لا يمكن القول إنها مجرد فتاة، كل ما في الأمر أنَّ إيف تكبرها بعشر سنوات)

ألم تكن فظاظتها بصورة عامة مع مايكل هذا المساء برهاناً إضافياً على أنها إحدى غزوات مايكل؟ نعم، حتماً.

ألا تبدو أكبر سناً بكثير من أنْ تكون طالبة عادية له؟ نعم، وهذا أمر غريب، وتبدو أكثر شهوانيّة، وخشونة، ببنطلونها شديد القِصَر وقميصها الرث مُفرط الطول، وهي حتماً رثّة أكثر مما يُحب مايكل. لم يبدُ عليها أنها طالبة. بدت مألوفة بصورة مُبهمة، كشخص تتعرّف

Twitter: @ketab_n

عليـه لكنك لا تتذكّر أين رأيتـه، لعله شخص خدمك عند آل ديكسن أو عنـد الصيـدلي، ورأيتـه لاحقـاً في الشـارع. كانت أيضـاً إحدى الشجعان، شجاعة أو حمقاء إلى درجة أنْ تأتي إلى المنزل. كادت إيف تُعجَب بها.

هل كانا يتضاجعان حينئذ؟ هذا ممكن جداً، لأنَّ أمبر ماكدونالد كانت ترتبك بوجود مايكل. كانت تتصرف بهدوء غريب في حضوره. بل لم يرف لها جفن عندما ملأ كأسها.

ولكـن متى كان هناك عشـاء كهـذا آخر مرة؟ عندمـا أصبحت أستريد ظريفة نوعاً ما، وصبغ وجهها احمرار المرح الصاخب الطفولي، بسبب ما همست به الزائرة في أُذنها.

متى كانت آخر مرة رأتْ فيها إيف أستريد هكذا، أي كأنَّ أحداً يُدغدغها حتى الاستسلام؟ الله أعلم.

وكيف نجحتْ بحق الله في إقناع ماغنوس؟ كانت قد صعدت إلى الطابق العِلـوي ومن ثم عادت وهبطت إلى الطابق السفلي وهو خلفها، كانت تُمسك به من حاشيـة قميصه، وقادته إلى الغرفة، وقالت إنها وجدته في الحمّـام يُحـاول أنْ يشنق نفســه. وضحك كل مَنْ كانـوا على المائدة. ضحـك ماغنوس أيضاً وجلس بجوار الفتاة. وبقيَ في الطابق السفلي. جلس معهم طـوال باقي السهرة. وأكل الإجاصـ مع الشوكولاته من طبق الفتاة.

من أين نشأ جو الاحتفال الغريب؟ في هذه الليلة لم يكن هناك الصخب الذي تُثيره أستريد حول هوسها بتصوير المراحل المختلفة للعشاء لأنَّ آلة

Twitter: @ketab_n

تصوير الخاصة بها في تلك الليلة كانت ضائعة وعادتْ تتصرّف كإنسان متحضِّر.

كيف كانت أستريد؟ إنها تواجه سن بلوغها كغزال صغير يُحدّق في رأس وردة. (الغزلان تحب أكل الورد). كانت واقفة هناك على ساقيها شديدتي النحول، بريئة، ضعيفة، غير مدركة على الإطلاق أنَّ المستقبل يُصوِّب فوهة بندقيته مباشرة نحوها. يُحيط السواد بعينيها. كثيرة الحركة وشموس، عمياء كقطيطة مشدوهة بكل ما تعرف وما تجهل. السِمة الحيوانية التي تُحيط بها كانت كريهة. لم ترثها من إيف، بل يعلم الله من أين. من آدم. لقد كانت شديدة المراهقة. كل شيء فيها كان يطلب جذب الانتباه، طريقتها في المشي على أرض الغرفة أو في محل تجاري أو في الفناء الأمامي لمحطة وقود، واتكاؤها على الهواء الذي يهب عليها كأنها توشك أنْ تفقد توازنها، طالبة دون كلام أنَّ يأتي أحدٌ – إيف، مَنْ غيرها؟ – ويمدّ راحة يده ويتلقّى جبين أستريد أو كتفها.

وكيف كان ماغنوس، قبل لحظة؟ كان واضحاً وبسيطاً ككوب من الماء. شديد الثقة بالبساطة إلى درجة أنه جلس (وهو في سن أستريد، قبل برهة؟ قبل خمس سنوات؟) على طاولة المكتب ذات الطراز الفيكتوري في غرفة مكتب إيف وكتب للملكة، ولإلتون جون، ولأنثيا ترنر[٢٦]، ويعلم الله مَنْ أيضاً، طالباً منهم أنْ يُكافحوا الفقر في العالم، ويساعدوا المشردين في إيجاد أماكن يعيشون فيها. وكتب للملكة، في قصر بكنغهام، وإلى إلتون جون، في لوس أنجليس، وإلى أنثيا ترنر، عبر محطة BBC. يا للطفل ماغنوس، المتحذلق اللطيف. لقد حصل على رسائل

٢٦ – أنثيا ترنر (مولودة عام ١٩٦٠): مقدمة برامج منوعات إنكليزية. – المترجم.

Twitter: @ketab_n

إجابات سارة جداً، كتلـك التي وصلته من إحدى وصيفات الملكة في مكتـب القصـر التي يُفتَرَض أنهـا تقضي يومها في الإجابـة عن رسائل كهـذه. لقد تأثّـرت جلالة الملكة أيّما تأثُّر واهتمـت بسماع ما يُقلقك. ماغنوس: حادث سعيد، حَمْـل سعيد غير متوقَّـع، البدايات السعيدة لعائلـة غير متوقَّعة. (أستريد، من ناحيـة أخرى: كانت حَمْلاً مقصوداً؛ قصدت بـه إيف جمع الأشياء التعيسة معـاً) نسخة الطفل السعيد تلك من ماغنوس سُرِقَتْ، ربمـا على أيدي لصوص، وحلَّ محلّها صبي طويل القامـة، نحيل، قلق، غامض، قويم الأخلاق، ومهـذَّب بوقاحة يغتسل كثيراً (أو على العكس، مثل الآن، لا يغتسل على الإطلاق)؛ صبي غاية في غرابـة الأطوار والاختلاف إلى درجة أنه أعلن نفسه، ذات ليلة على مائدة العشاء في وقتٍ مبكر من هذا العام، مؤيداً للحرب على العراق – الحـرب التي لا تزال إيف تشعر بشـيءٍ من الذنب، وإنْ بقدرٍ محسوب، لأنهـا لم تساهم فيها أكثر، ولم تفعل الكثـير لأجلها، بسبب شدّة قلقها حول عجزها عن البدء بكتابٍ جديد.

ولكن ماذا عن أستريد، هذه الليلة؟ لقد أزالت الأطباق واشتركت في تبادل النكات مع إيـف كأية ابنة عادية. وماغنوس؟ كان كعادته دائماً. بل لقد تطوَّعَ، كما في الأيام الخوالي، لمساعدة مايكل في غسل الأطباق (بما أنه من الواضـح أنه لا توجد آلة لغسل الأطبـاق في المكان الزائف الـذي اسمه نورفوك). ثـم نسيت أستريد وسْوَسَتهـا المراهقة من أثاث المنـزل وتمدَّدت على الأريكة (علـى الرغم من أنها طـوتْ أحد أعداد الغارديـان على ذراعهـا حيث سيستقـرّ رأسها) واستغرقـت في النوم تقريبـاً. إيف والفتاة، أمبر، وقفتا في الجو الدافـئ عند النوافذ الفرنسية المفتوحة.

Twitter: @ketab_n

ومـاذا فعلت إيف بعدئذٍ؟ قالت لها إيف، بهدوءٍ، وتروٍ،دعينا نتمشّى حول الحديقة.

قالت الفتاة، حسن إذن، هذا أفضل ما يمكن عمله. شكراً لك.

عبرتـا الممشى المُحصّى. في العموم كانت إيف هي التي تتكلّم، عن الأزهار، وعن كيفية جعل النباتات تنمو في الظل. وجلستا تحت إحدى الأشجار العتيقة.

ماذا قالت إيف للفتاة وهما في الحديقة؟

أنـتِ اسكتلنديـة، أليس كذلك؟ أميّـزُ هذا من صوتـك. أنا أحب اسكتلندا. لم أزُرها منذ سنين عديدة. أمي كانت اسكتلندية.

أه. من أين أنت فعلاً، في الأصل؟

هـل تُحسنـين تلـك – لا أتذكّر اسمهـا – تلك اللغـة الأخرى التي يستخدمها الناس هناك؟

ماذا قلت؟ يبدو جميلاً.

ترجميه لي. ما قلتي تواً.

احكي لي قليلاً عن نفسك.

حسن، أي شيء، بشكلٍ عام. ماذا تدرسين؟

أعني، في الجامعة.

Twitter: @ketab_n

بماذا ردّت الفتاة في الحديقة؟

أنا من عائلة ماكدونالد.

إننـي أنحدر مباشرة من آل ماكدونالد مـن غلينكو. (شيء بدا أشبه بالغمغمة).

(تضحـك) إنني أقول لك بعض الأمثال الغاليّـة القديمة التي يعرفها الجميع عن ظهر قلب في المكان الذي جئت منه.

حسن. بالترجمـة التقريبية. واحد: هناك الكثـير من الدجاج يضع بيضة واحدة. اثنان: الصفـراء منها سوف تعود دائماً إلى القش. ثلاثة: انتبه ولا تدع الناس يعبرون عتبة بيتك إلا إذا كنتَ تعرفهم جيداً.

ماذا تريدين أنْ تعرفي؟

ماذا تقصدين؟

(تضحك) أنا لا أدرس في الجامعة.

ما هو آخر شيء عملياً قالته إيف للفتاة في الحديقة؟

نحـن نشـكل عائلة واحدة، يـا أمبر، كمـا سترين هذه المسـاء. إنَّ أستريـد لم تتجاوز الثانية عشرة وهي في مرحلة حرجة جداً من حياتها، وتصرفـات ماغنوس مراهقة قليـلاً. إنَّ وضع العائلة معقّد. أنا واثقة من أنكِ تفهمين. هل طلب منكِ مايكل أنْ تأتي إلى هنا؟

ومـا هـو آخر ما قالت الفتاة في الحديقة لإيف، وهي تبتسـم في وجهها في الظلام؟

Twitter: @ketab_n

مَنْ مايكل هذا؟

(كانت بارعة، تلك الفتاة)

سألتهــا إيــف، هل قال لكِ إنه لا بأس في مجيئــك إلى هنا؟ لأننا أنت وأنــا نعلم أنَّ الأمر ليس بسيطاً، أنــه شديد التعقيد، خاصة عندما يتعلّق الأمر بالأسرة والأطفال.

هل كانت إيف تعاملك بتعالٍ؟ فقط ضمن حدودها.

لماذا فعلت الفتاة ذلك؟ كانت الفتاة تُصدِر شيئاً من الخُنّة الاسكتلندية من أنفها. نهضت واقفة، وهزّت رأسها لإيف، ثم تمطّتْ بذراعيها فوق رأسها وانطلقت عائدة إلى المنــزل. وبقيتْ إيف جالسة تحت الشجرة. نظرتْ في ساعة يدها.

هل كانت عشر دقائق من الزمن كافية لحسم المسألة؟ كانت مستعدة بينها وبــين نفسها بعد مُضيّ الدقائق العشر لأنْ تقدِّم للفتاة بكل دماثة الغرفة الزائــدة لتبيت سحابة الليل، لتبيِّن أنها لا تبيِّت أي ضغينة، لأنَّ هذه هي الحقيقة، أليس كذلك؟ وفي الصباح، وبدون أي نيّة سيئة، سوف تغادر الفتاة. وتركت الوقت يمرّ، وهي ثابتة، متوازنة وهادئة.

ولكــن ماذا حدث عندما عادت إيف إلى المنزل؟ لا شيء. ولا أي شيء. كان مايكل وماغنوس لا يزالان في المطبخ يُصدران ضجيجاً بالأطباق، ويُجففان الأشيــاء. وكانت أستريد نائمة علــى الأريكة، وقدماها على حِجــر أمبر ماكدونالــد. قالت أمبرِ ماكدونالد لإيــف لدى دخول هذه الأخيرة، هسس. كانت تحمل قدم ابنة إيف.

Twitter: @ketab_n

هل بدت كلمة هســس أيضاً ذات نبرة اسـكتلندية؟ وقفت إيف بجوار النافذة المفتوحة. استطاعت أنْ ترى سقف السيارة، ولكن ليس داخلها، ولا إنْ كانت يقظة أم نائمة أو حتى إنْ كانت موجودة أصلاً.

لماذا أرادت تلك الفتاة أنْ تهزّها؟ لم تعلم السبب بالضبط.

ماذا كان اسم المكان الذي قالت أمبر ماكدونالد أنها جاءت منه؟ لم تتذكر إيـف اسمه. كان موقعاً تاريخياً، أو عنـوان أغنية، أو شيئاً يتعلّق بمعركة حربية وبعائلة اسكتلندية.

ماذا كانت اسـكتلندا تعنـي لإيف؟ ركعت والدة إيـف على السجادة أمـام الموقد الكهربائي في الغرفة الأماميـة من المنزل في ويليوين غاردن سيتي وهي تستمع إلى الأسطوانات على مُشغل الأسطوانات الذي على شكل صنـدوق كبير. خرجت أصوات الرجال مـن الصندوق وكأنها أصـوات موتى لكنهم ماتوا ببسالة في سبيـل الحب أو الخسارة، وكان الأمر يستحق فقدانهم.

مـاذا كانـت تلـك الأغـاني الرقيقـة المرعبة؟ لقـد ملأت عينـيّ أمها بالدموع.

كـم كان عمر إيف؟ كان ذلك قبل سـن المدرسة. إحدى الأغاني كان عنوانهـا «الجزيرة المظلمة». على الرغم مـن أنَّ النار كانت تبثُّ وهجاً إلا أنَّ ظلامـاً ظلَّ يستكين متسلـلاً في زوايا الغرفة. وقد رأته إيف ذات السنـوات الأربع. وفي أمسية أحد أيام الأحد كانـت والدة إيف دائماً تُعدّ خبزاً مُحمَّصاً بـدل الوجبة الرئيسة وكانت مع إيف تتناولان الطعام وسط صمتِ أليـف، تُصغيان إلى العد العكسي للائحة الأغاني الرائجة

Twitter: @ketab_n

العشرين الأولى عبر الإذاعة. وعندما كانت إيف تفكر في السعادة فهذا ما يخطـر في بالها: مذاق الخبز المُحمّص والمربّـى، وضياء أول الربيع، والاستماع إلى الإذاعة على المائدة. كانت تُذيع أغنية «إذا تركتني الآن» لفريـق شيكاغو. كانت في المرتبـة الأولى. كان الوقت متأخراً جداً في التسلسُـل الزمني للأشيـاء. كان تلك فترة مراهقة إيـف. وقريباً سوف تعـود إيـف إلى المنزل في عطلة نهايـة كل أسبوع من المدرسـة إلى أمها المريضة وطريحة الفراش في فترات بعد الظهيرة.

في فترات بعد الظهيرة في الصـيف؟ وفترات بعد الظهيرة في الشـتاء؟ في فترات بعد الظهيرة كلها المُضيئة منها والمُظلمة.

ماذا كان يحدث عند الساعة الرابعة والثلث من بعد ظهيرة كل يوم عندما تعـود إلى المنزل؟ كانت إيف تـترك حقيبة المدرسة بجوار طاولة الهاتف، وتتوّجه إلى المطبخ، وتضـع كيس شاي في أحد الأكواب، وتصنع شاياً وتأخـذه معها إلى الطابق العِلـوي، ولا تزال ترتدي سترة المدرسة. كان رأسـ أمها صغيراً وهو يعتلي امتداد أغطية السرير البيضاء. أهذا أنتِ، يا حبيبتي؟

أكان ذلـك نوعاً من الأسـلوب الاسـكتلندي في البوح بالأشـياء؟ قولها أهـذا أنتِ؟ نعـم هو كذلك. كانـت والدة إيف قد أودِعـت المستشفى وماتـت هناك. توفيت متأثرة بمرض في القلب. كانت إيف في الخامسة عشـرة. كان والد إيف يعمل في التجارة في الولايات المتحدة: كانت له عائلة «أخرى» هناك. وعندمـا توفيت جاء إلى المنزل لفترة وجيزة. قام هـو وإيف معاً بجمع متعلقات أمها وتبرعـا بها للجيران ولمحلات بيع الأغراض المستعملة. قالت إيف ابنة الخامسة عشرة لنفسها، وهي تجمع

Twitter: @ketab_n

أسطواناتهـا الكبيرة الاسكتلندية وتضعها في علبـة من الكرتون مملوءة بالكنزات الصوفيـة، اهدئي. انظري، فقط انظري. إنها أسطوانة كبيرة في مُغلّفهـا وهي رقيقة جداً لا يتعـدّى سمكها سمك شريحة من الجبن المُعالَـج. قالت لنفسهاوهي تدسّ الأسطوانة بين جانب العلبة والملابس المطويـة والفارغة، على واجهة إحدى الأسطوانات الكبيرة صورة تبيّن الثلج على قمة الجبل. إنها مجرد صورة ذات بُعدَين تبيِّن مكاناً لم أره من قبل. محسوبة وهادئة. وبعد مرور فصول صيف عديدة وقفت إيف عند النافذة،والدمـوع تطفـر من عينيّها، مع نفسها البالغـة الخامسة عشرة. نفسها البالغة الخامسة عشرة من العمر التي ترتدي سترة المدرسة بادلت إيـف التحديق، بنظرة صلبة، مُحتقِرة، بلا بـكاء. كانت تقول، ضعيفة. وكأنَّ طفولـة المرء هي عذرٌ لأي شـيء. لا تلوميني لِما أنتِ عليه. لست أنـا الملومة. تناولتْ جهاز المذياع الترانزيستور عن الطاولة، ورفعته من مقبضـه وهشّمته بعنف علـى الأرض. انخلع الجـزء الخلفي وخرجت الأجزاء الداخلية. اكـبري بحق الله، هكذا زمجرت إيف (١٤ عاماً) في وجه إيف (٤٢عاماً)؟

في أي وقـت آخـر من حياتها كانت إيف قد زمجـرت هكذا؟ في الجنازة، عندمـا أشارت إلى أنـه ليس هناك إله مستعد ليفعـل أي شيء بشأن أي شيء، حتى وإنْ صلّيت له. صرخت هكذا في وجه والدها، بعد الجنازة، عندمـا اصطحبها معـه لتناول العشاء في مطعـم راقٍ في لندن، كدعوة خاصـة، قبل أنْ يطير عائداً إلى نيويورك في الولايات المتحدة. وزمجرت من جديـد في وجه والدها، عندمـا اقترح وهما يتنـاولان تشكيلة من القريدس أنْ تعيش مـع عائلة «أخرى» خلال العطـل الصيفية. حينئذٍ كانـت في السادسـة عشرة. زمجـرت. كان في استطاعتهـا خلال شهر

مــن الزمن أنْ تفعل ما تشــاء. (كانت تلك المرة الوحيدة في حياتها التي كانت خلالها حرة في أنْ تفعل بالضبط هكذا)

ومتــى *أيضــاً*؟ في مكتب آدم عندمــا أعلن أنه سيُطلّقهــا ويتزوج من «سونيــا» التــي انتقاها من بــين «الأشخاص» الموجوديــن في مكتب «التحالُف»، كان قد قابلهــا عندما ذهب إلى هناك من أجل إنشاء «نسبة فائدة مشتركة للحساب الحالي» له ولإيفا.

أتمزحــين؟ أكان اسـمه حقــاً آدم؟ لقــد قــررت إيفا ألا تجيــب عن هذا السؤال.

وماذا فعلت إيف في غرفة مكتب مايكل حالما فهمت، أثناء انتظارها عودته مــن أحد الاجتماعــات، أنّ ورق جدران غرفة المكتب وحتى المســاحات بين أرفف الكتب على الجدران كانت مكســوّة بفسيفساء من البطاقات البريدية، بالمئات منها دون مبالغة، تمثّل نســخاً لأعمالٍ فنّية، ومُلصقات أفلام سينمائية، وصــوراً فوتوغرافيــة شــهيرة، ومعالم عالمية، وشــواطئ، وقططــاً تلتفّ حول نفســها تحت الشمس اليونانية، وأديرة فرنسية، وطيورَ بطريق إلى آخره، تقوم بحركات مُضــحكة، وكُتّاباً، ومُغنّين، ونجوم ســينما، وشخصــيات تاريخية، وأنّــه ربما كل واحدة مــن تلك البطاقات كانت من فتاةٍ كان يُضــاجعها، أعني ينيــ...؟ كانت إحدى البطاقات البريدية قد وقعــت عن الجدار أمامها. ومالــت لكي تلتقطها، وقلبتهــا. كانت تمثّل رسمــاً تخطيطياً لقطارين عتيقَين. وعلــى الخلف كتبت فتاة بخط يدهــا رسالة مُبهرجة وتهجّت كلمــة فرويديّ خطأً، وأطلقــت على نفسها لقــب «سيارته الجاغوار» واستخدمــت عدداً كبيراً جداً من علامات الاستفهام. هادئة ومحسوبة. Hxxxx ملاحظــة: لقد حصلت على!!! هادئ ومحسوب ممتاز. كانت

Twitter: @ketab_n

إيفـا تنتظر زوجهـا مايكل في مكتبـه في الجامعة، حيـث يحتل موقعاً مرموقاً في كلية الآداب.

ولكن ماذا كانت إيف؟ كانت إيف منزلاً وحديقةً وعائلة متينة وكاتبة مذهلـة على طريقتها وتبلي بلاءً حسناً وإنْ على مستوى صغير والنقودَ التي تأتي وشكلَ الأشياء المعتاد.

ومـاذا كان الـ Hxxxx؟ هو رقيق كالبطاقـة البريدية، وبطاقة قديمة أيضـاً، تلتـزم بالتاريـخ. **أرجوك لا تضـع أي شـيء آخر غـير الأوراق المهملة في صـندوق القمامة هذا الخاص بالأوراق.** أعادت لصق البطاقة البريديـة على الجدار، في رقعةِ موضعها الصغـيرة المُحدّدة. نظرت إلى أعلى الجدار. بطاقات فوق بطاقـات فوق بطاقات. تلفّتت حولها إلى الجدران الأخرى كلها. بطاقـات. جرّبت إيف من جديد، الآن، على الطـرف الآخر بعيداً عـن مايكل النائم (جرّبت بهـدوء تامّ) ونعم، لا تـزال تزمجر، بالضبط كما فعلـت تلك الفتاة في الحديقة في وقت مبكر من هذه الليلة.

مـاذا أعجب إيف أيضاً بصورة غـير متوقعة في الفتاة؟ التعليق الذي أدلت بـه الفتاة عن ماغنوس وهو في الحمّام. «وجدتهُ يحاول أنْ يشنق نفسـه». إنَّ الفتاة لم تكن من الحماقة بحيث تـرى بوضوح شديد، أنْ تتمكّن من إعطاء تلخيص دقيق، لفترة الحِداد الخاصة التي كانت تشكّل مرحلة المراهقة.

ألم يتطلّب الأمر أحياناً شخصـاً دخيلاً ليبيِّن للعائلة أنها عائلة؟ كان ماغنوس قد ألقى تحيةَ المساء كالمعتاد. وكانت أستريد قد قبّلتْ إيف قبلةَ قبـل النوم. وكان مايكل قد ردّ على قبلة إيـف بمثلها، بين كتفيها. كان

Twitter: @ketab_n

قد مارس جنساً مُجاملاً قبل أنْ يضع رأسه تحت الوسادة. وعندما فكّرت إيف في الأمر، خطرتْ لها فكرة أخرى. خطرتْ لها قسراً.

ماذا لو أنَّ الفتاة كانت تقول الحقيقة؟

مـاذا لو أنّه لم يكن للفتاة في الحقيقة أية صـلة بمايكل؟ مـاذا لو أنَّ إيف كانت، طوال الليل، تفتري على الفتاة - وأيضاً على مايكل، النائم بهدوء الملائكة هناك تحت وسـادته المحشـوة بريشـ الإوز؟ أوه يا إلهي. أوه يا إلهي. كانت إيف واقفة بجوار النافذة. أوه يا إلهي.

أيُعقـل هذا؟ علـى سبيل المِثال. عُودي بذاكرتـك إلى الوراء. كانت إيف قـد جاءت من السقيفة في وقت باكر مـن المساء في الوقت المعتاد المُحـدَّد. وعند الباب سمعت ضجيجاً مُثـيراً للفضول. كانت أستريد، تبـدو سعيدة. بدا كأنَّ أستريد كانت تتكلّم مع أحدهم، مع امرأة شابة، أو فتاة، مستلقية على المرج مغمضة العينين.

كانت أستريد تقول «وماذا الآن؟».

كانـت الفتاة تقول «لا أزال أستطيـع أنْ أرى الحدود العامة، ولكن معكوسة. الضوء والظلام معكوسين».

قالت أستريـد «كالنسخة السلبية للصورة الفوتوغرافية؟ كأنَّ كل ما في الداخل أشبه بنسخة سلبية للصورة؟».

كانـت إيـف تعلم أنهـا مُراقَبة، كانـت تعلم خلال ومض اللحظة التـي وقفت خلالها تراقـب ولا يراها أحـد، أنَّ أستريد سوف تخونها ذات يـوم. عرفَتْ خلال ومض اللحظة أنَّ قيام أستريد بالأمر الطبيعي، بكونها تصبح أكبر سناً ببساطة، هو بحد ذاته خيانة لا مناص منها.

Twitter: @ketab_n

ثم شاهدت أستريد إيف واقفة هناك.

قالت: «أوه، مرحبا». قالتها بإشراق، بلا وعي. بدت سعيدة برؤية إيف.

كانت الفتاة مُغمضة العينين قد فتحتهما ورأتْ إيف واقفة فوقها. اعتدلتْ في جِلستها، وظلّلت عينيها.

قالت: «مرحبا».

لم يبد في نبرة صوتها غير الودّ.

لأنه

ماذا لو أنّ إيف، طوال الليل، منذ أنْ سمعت تلك المرحبا، وربما لأنها كانت تشعر مؤقتاً بأنها تعرّضت للخيانة في أمر مختلف تماماً، شيء منفصل تماماً - ماذا لو أنها، بسبب هذا كله، أعدّت سيناريو تكون فيه الفتاة بريئة تماماً؟ وقفتْ إيف بجوار النافذة في الظلام. عركت عينيها.

ولكن، إذا لم تكن عشيقة مايكل، فما هي صفتها؟

عاهرة. بدا قليلاً أنها يمكن أنْ تكون عاهرة.

أشبه بغجرية.

طفيلية ماهرة تعيش من التأثير على الناس لتدخل بيوتهم وتأكل طعامهم. لقد كانت فاتنة، هذا صحيح.

إنها نادرة من أجل حفلات العشاء في المستقبل - الليل شخص

Twitter: @ketab_n

غريب تماماً خدعنا ليجعلنا نقدّم لها وجبة عشاء في أيام العطل في نورفوك ذات صيف. لقد ظننتُ أنها إحدى طالباته وهو اعتقدَ أنَّ لها صِلة بي -.

كلا، أجبي عن السؤال - ماذا كانت الفتاة؟ الفتاة كانت صادقة.

على سبيل المثال، هل طلبت تلك الفتاة منهم أيّ شيء؟ كلا. ولا أي شيء. لقد تلقّت دعوة على العشاء. وتلقّت دعوة للمبيت تلك الليلة.

هل من المُستغرب، إذن، أنْ تهزّ إيف بقوة؟ ليس مُستغرباً. لقد وقفت إيف عند النافذة. ونظرت إلى السيارة. أطلّت على الليل. ونظرت إلى السيارة من جديد.

فماذا ستفعل إيف بهذا الشأن؟ حسن. إذا أمطرتْ الدنيا في هذه الليلة، فسوف تهبط إيف حتماً إلى الطابق السفلي وتقول للفتاة إنه لا يمكن بأي حالٍ من الأحوال أنْ تنام في السيارة تحت المطر، وأنَّ عليها أنْ تأتي إلى الداخل. كانت إيف ستهبط إلى الطابق السفلي وتخرج من الباب الأمامي وهي تحتمي بمعطفٍ وتقرع على باب السيارة الرطب وتُصرّ.

ولكن (ألقت نظرة خاطفة على السماء الصافية التي تكفهرّ) ***هل ستُمطر هذه الليلة؟*** كلا. لن تُمطر. لقد كانت ليلة صيف مثالية. لكنها كانت ليلة شديدة الحرارة بالنسبة لأي شخص ينام في السيارة. الكلاب، مثلاً، معروف عنها أنها تختنق في سيارات نوافذها مُغلقة في الأيام الحارة. إنها تموت من الجفاف.

Twitter: @ketab_n

مــاذا لــو أنَّ الفتاة ذهبــت لتنام وأغلقــت نوافذ السيــارة كلها؟ من المُفترَض أنكَ إذا ذهبتَ لتنام في سيارة يجب أنْ تضمن سلامتك بإغلاق النوافذ بإحكام لكي لا يقتحم أي شخص عليك المكان ويفعل ما يفعله أولئـك الأشخاص من أعمال بشعة لشخص نائــم ومُعرَّض للأذى في السيــارة. لكنَّ إبقاء النوافذ مغلقة في ليلــة شديدة الحرارة كهذه سوف يتسبّب على الأقلّ بالجفاف، بأخطر مظاهره.

مالت إيف من النافذة ونظرتْ إلى السيارة. من هذا الموقع لا تستطيع أنْ تتأكّد، بسبب الزاوية التي كانت متوقفة عندها، سواء أكانت النوافذ مفتوحة أم مُغلقة.

ألم تكن، في الأساس، هزّة ودّية؟

ألم تكن الفتاة تبتسم بصرامة، وكأنَّ إيف رفيقة حميمة لها؟

مــاذا *فعلت إيف بعد ذلك*؟ اجتازت الغرفة، بكل هدوء، وشدّت رداء نومها حول كتفيها. وبهدوء شديد، فتحت الباب.

أيــن الفتاة؟ إنها ليست في السيارة علــى الإطلاق. نظرت إيف من النوافذ كلها، لكنَّ السيارة كانت خالية.

إنهــا في الحديقــة. جالسة تحت الأشجار التي كانتــا جالستين تحتها في وقــت سابق. إنها تدخّن. استطاعت إيــف أنْ تشمّ رائحة الدخان، ثم تــراه. تلوّى عمود الدخان يرتفع في الهــواء الراكد فوق رأس الفتاة ثم اختفى.

قالــت: «مرحبا».

Twitter: @ketab_n

ربتت على الأرض المحيطة بها.

قالت الفتاة: «أتريدين واحـدة؟»، هزت العلبة لتُخرِجَ واحدة منها وأعطتها إياها. إنها سجائر فرنسية، غولواز. قدحتْ الفتاة عود ثقاب؛ بينمـا كانت تُشعـل سيجارة إيف أضـاء الوهج وجهها، بـدا منهمكاً وجديّاً، ثم عاد الظلام.

قالت الفتاة: «لم أكن صريحة تماماً معكِ هذه الليلة».

قالت إيف: «لم تكوني كذلك».

«كلا، وأنا شديدة الأسف. لم أُخبرك الـ، حسن، الحقيقة كلها».

قالت إيف: «أه، حسن».

قالت الفتاة: «لأنكِ عندما سألتني إنْ كنتُ أريد أنْ أنام داخل المنزل، حسن، طبعاً الجواب هو نعم، لأنه مَنْ يرغب في أنْ يُفضّل السيارة على السرير؟ ولكن. الحقيقة هي. الحقيقة هي، أنه يحدث هذا، ولا أستطيع، لقـد قطعت عهـداً، قطعته قبل سنـين عديدة، ولا أريـد، في الواقع، لا أستطيع».

مـاذا أخبرتْ إيف؟ قالت، بأجزاء الجُمـل لشخص يجد صعوبة في قول شيء، ما يلي:

عندما كانت في عشرينيات عمرها عملت أمبر ماكدونالد في المدينة في منصـب مرموق جداً في مجـال ضمان الاستثمـار وفوائد الضمان. كان لديهـا سيـارة بورش. طـراز الثمانينيات. في إحدى ليـالي الشتاء

Twitter: @ketab_n

التي تجمّد الأطراف، خلال الأسبوع السابق لعيد الميلاد، كانت تقود السيارة على طول شارع ضيّق يعجّ بالسيارات في بلدة صغيرة والمذياع يُذيع أغنية «عامل الهاتف الرقيق» وماسحات الزجاج تقوم بعملها بقطع المطاط على حاجب الريح، وطفلة، فتاة في السابعة ترتدي معطفاً شتوياً صغيراً، وتضع قلنسوته مُحدّدة بالفرو، مشت بين سيارتين أمامها لتجتاز الشارع فضربتها سيارة أمبر ماكدونالد وماتت الطفلة.

قالت أمبر ماكدونالد، منذ ذلك الحين تركتُ عملي، وراتبي. بعتُ السيارة وتركتُ معظم المال الذي حصلتُ عليه مقابلها، ويُعد بالآلاف، شكّلَ كومة كبيرة من الأوراق المالية، كمَعلَم من الحجارة على سفح تل، على جانب ذلك الطريق الذي وقعت فيه الحادثة. واشتريتُ سيارة سيتروين إيستيت مُستعملة. وقرّرتُ أني من الآن فصاعداً لن أُقيم في أي مكان يُدعى منزل. كيف يسعني أنْ أفعل؟ كيف يمكنني أنْ أعيش بأسلوب حياتي السابق؟

جلستا في الظلام. قريباً سيطلع النهار. ظهرت دمعة واحدة في عينيّ الفتاة، وتدحرجت على طول أنفها وتوقفتْ، وكأنَّ أحداً طلب منها ذلك، تحت انحناء خط عظمة وجنتها مباشرة بالضبط في منتصف المسافة إلى أسفل وجهها. سحقت سيجارتها برفق على العشب. ورفعت نظرها، نظرتْ إلى عينيّ إيف مباشرةً.

قالت: «*ما رأيك؟ هل تصدّقينني؟*».

Twitter: @ketab_n

وُلِـدتُ في صندوق. حدث ذلك خلال عرض فني صباحيّ في يوم جمعة. وتسبّبت في إيقاف العرض.

وُلِـدتُ[٢٧] في عـام ظهور الأجهزة فـوق صوتية، فـترة الأبنية الشاهقة والفيتامينـات المتعـددة والمنشطـات القوية، في ذروة زمن رجـال مزوّدين بالتكنولوجيا ونساء يمكن أنْ يكنَّ آليات، عندما كانت الطائرات النفاثة من نـوع هاريير[٢٨]، وعندما كانت QE2 (سفينـة الملكة إليزابيث الثانية) رديفاً لشركة كنارد[٢٩]، وعندما وقفت الأميرة مارغريت التي تبلغ قامتها ٣٨ قدماً بفخامة على وسادتها الهوائية، وكان العام الإباحي Annee erotique[٣٠]

---

٢٧ - في هـذا الفصـل تعمد الكاتبة إلى تلخيص أحـداث عام ١٩٦٩ من خلال سرد متوالٍ للأحداث والأفلام السينمائية والفنية. - المترجم.

٢٨ - هاريير: طائرة نفاثة حربية متقدمة بريطانية تُقلع وتحط شاقولياً. - المترجم.

٢٩ - في عـام ١٩٦٩ أطلقت شركة كنارد الملاحية سفينة الركاب إليزابيث الثانية، أو QE2، كما تُسمّى، وأصبحت رمزاً لتلك الشركة وتقترن باسمها، وأصبحت الآن الأشهر في العالم من بين سفن الركاب. - المترجم.

٣٠ - annee erotique: عنوان ألبوم أصدره تود بيشوب عام ١٩٦٩ أعاد فيه توزيع موسيقـى مجموعة من أغاني المطرب الفرنسي سيرج غانسبور على شكل موسيقى جاز حر. - المترجم.

Twitter: @ketab_n

على بُعـد فقط ثلاثين دقيقة مدعومة بوسائد هوائية وكل شيء يسير بضعف سرعـة الصوت. فتحت عينيَّ. كان المكان غارقاً في الألوان. لم يعُد يبدو أنه كنساس. كان الطلاب على المتاريس، وكانـت الموضة هي ارتداء الأثواب الطويلـة (الماكسي)، وكانت فرقة البيتلز فوق الجميع، وافتتحوا محلاً تجارياً. إنهـا بريطانياً. إنهـا عظيمة. كانت أمي راهبة لم تعـد تطيق الدير. تزوجت والـدي، القبطـان؛ كان شديد الصرامـة. علّمتنا جميعاً الغنـاء وصنعت لنا أثوابـاً جديدة من أقمشة الستائر. اجتزنا الجسور وقفزنا على الدَرَج صعوداً وهبوطاً. ارتقينا الأشجار وسقطنا من القارب إلى البحيرة. كان ترتيبنا الأول في مسابقة الغناء وأفلتنا من النازيين بصعوبة[٣١].

لقد تشكّلتُ وتكوّنت في أيـام سايغون، الأيام الروديسيّة، أيام أنهار الدم. **انزعوا أحشـاء إينوك باول**[٣٢]. هبوط مركبة أبولو ٧ الفضائية على سطح الماء. وفيضان بلدة تنبريدج ويلز. ازدحم جسر لندن بالحشود، وقام ستـة وثلاثون أميركياً بمحاولات لشرائه. إطلاق الرصاص على الملك[٣٣] في ممفيس، ممـا أدّى إلى تأخير بثّ مراسم توزيع جوائـز الأوسكار مدة يومين كاملين. كان لديه حلم، اعتبر تلك الحقائق من البديهيات، بأنَّ البشر جميعـاً سواسية وسـوف يجلسون كلهم ذات يوم علـى طاولة الأخوّة.

---

٣١ – هذا تلخيص لقصة فيلم «صوت الموسيقى» الشهير. – المترجم.

٣٢ – جون إينوك باول (١٩١٢ – ١٩٩٨): سياسي بريطاني مُحافظ. معارض صريح لهجـرة أبناء الكومنويلث إلى بريطانيا وللاتحاد الأوروبي. في عام ١٩٧٤ استقال من الحزب المُحافظ. – المترجم.

٣٣ – الملـك: الإشارة هنا إلى المناضـل الأسود والزعيم الأميركـي مارتن لوثر كينغ. وكلمة king (كينغ) يعني ملك – المترجم.

Twitter: @ketab_n

وإطلاق الرصاص على الأخ الآخر في فندق أمباسادور. كُتِبَ بالأضواء اسـم الفرقـة الغنائية رايتيوش بـروزرز بالأضواء، فـوق موقف سيارات الفندق. في تلك الأثناء كان والدي صانع عيدان الكبريت وأمي تستطيع أنْ تطـير بمجرد استخدام مظلة المطـر[٣٤]. عندما كنتُ طفلة اشتركت في سبـاق خيول غراند ناشونال على صهوة جـوادي. لم يعلموا أني فتاة إلا بعد أنْ أُصبت بالإغماء واضطروا إلى حلّ أزرار قميصي. ولكن كل شيء كان ممكناً. كان لدينا سيارة تطير وتطفو على الماء. وأوقفنا حدوث كارثة سكـة الحديد بالتلويح للقطار بملابسنـا النسائية؛ كان أبي بريئاً زُجّ به في السجن، وتدبّرت أمي شؤوننا. قمتُ أنا ببيع الأزهار في غوفنت غاردن. وعلّمني رجـل أنيق غريب الأطوار التكلُّم بصورة لائقة واصطحبني إلى المسابقـات، التي صمّمها سيسـل بيتون[٣٥]، على الرغم مـن أنهم ألغوا صوتي في النهاية لأنَّ الغناء لم يكن جيداً بالقدر الكافي[٣٦].

لكـنَّ والدي كان ألفي، وأمي كانت إيزادورا. في سنيّ مراهقتي كنتُ أتمتّـع بقدرات خارقة، فقد جعلت صبياً يقع عنِ دراجته وأحرقت المدرسة عـن بِكرة أبيها. كانت أمي مجنونة؛ كانـت مُدلّهة بحب الله. وها أنا أقف أمـام المذبح أوشك على الزواج مـن شخص آخر بينما حبيبي يضرب بقوة على زجاج الكنيسة في الخلف فهربنا معاً على متن حافلة. استشاطت أمي غضباً. هي أيضاً ضاجعته. وتسبّـب الشيطان في حبلي وأجبرتني جماعة

٣٤- هنا إشارة إلى فيلم «ميري بوبينز»، بطولة جولي أندروز، عام ١٩٦٤.

٣٥ - سـير سيسل والـتر هـاردي بيتـون (١٩٠٤ - ١٩٨٠): مصـوِّر فوتوغرافي بريطاني. اشتُهِرَ خاصة بلقطاته الاجتماعية. - المترجم.

٣٦- هنا إشارة إلى فيلم «سيدتي الجميلة».

Twitter: @ketab_n

شيطانية في الاحتفاظ بالحمل. ثم صادفت عدداً من قُطّاع الطرق وتحدثتُ مـع الشمس. قلـتُ إني لا أحب الطريقة التي يُنفّذ بهـا الأعمال. مارست الجنس في خلفيـة دار قديمة مُغلقة للسينمـا. استخدمت الزبد في باريس. امتلكت مزرعة في إفريقيا. خلعتُ ملابسي في واجهة مبنى للشُقق وألهيت اثنـين من رجال الشرطة عـن مراقبة رجل مجنون على السطـح يُحاول أنْ يُطلـق الرصاص على القسيس. أحببتُ إيطاليّاً. حركاته على حلبة الرقص هـي التي أوقعتني في حبه. كنـتُ أعرف معنى الحب. كان يعني ألا تُضطر إلى التعبير عن أسفك. كان يعني أنَّ سائق سيارة الأجرة سوف يقتل المُرشَّح لمنصـب الرئاسة، أو القوّاد. كان الأمر ليّنـاً ككرسيّ مريح. حدث بسرعة كبيرة. سمكـة قرش قضمتْ ساقيّ. طعنتُ الخاطـف، ولكن كذلك فعلَ كل شخص آخر، وليس فقط أنا، أو قطار الشرق السريع.

كان اســم والدي تيرينس واسم والدتــي جولي. (الختم. كريستي) وُلِدتُ وتربيت على أيدي التلال (الحيّة) والحيوانات (تحدثـت إليها). اعتـبرتُ نفسي مندمجة فيها، جـزءاً من الأثاث. لم يكـن هناك الكثير لتوفـيره. ومَـنْ يهتـم؟ قدّمتُ عرضـاً غنائياً، هنـاك في الحظيرة؛ لقد وُلـدتُ وأنـا أغني الأغنية بأعلـى طاقة رئتيّ الحديثتـيّ التشكل. يرقة البوصـة. يرقة البوصة. تقيس نباتـات القطيفة. يبدو لي أنك ستتوقّف وتتأمّل جمالهـا الخلاّب. ارتفعتُ بوصة بعد أخرى حسب الارتفاع العالمـي لأنف سترايسانـد[٣٧]، وحرف ز يدل علـى ليزا[٣٨]. ما فائدة

---

٣٧ – الإشـارة هنـا إلى المغنيـة الأميركية اليهوديـة باربارا سترايسانـد المعروفة بأنفها الطويل. – المترجم.

٣٨ – الإشارة هنا إلى الممثلة والمغنية الأميركية ليزا مانيللي. – المترجم.

Twitter: @ketab_n

الجلوس وحدي في غرفتي؟[٣٩] عندما كانت الأمور تغدو دقيقة أصبح مستعدة.

وُلـدتُ في زمـن الضـوء، والسرعـة، والسيللوليـد. كان الطابق السفلي يُدخِّن. الشرفـة لم تكن كذلك. كان الجلوس في الشرفة يُكلِّف نقوداً أكثر.

السينمـا. الأيدولوسكـوب[٤٠]. النمـاذج القصديريـة الخابّة[٤١]. الشاشة الفضية. النقر[٤٢]. الدخان المتصاعِد. ذكريات غامضة بالألوان المائية.

إنَّ هذا كله جزء من اللعبة، وعليك أنْ تشارك في اللعب، في الواقع.

لقـد وُلدتُ حـرة، وعشتُ حياتي وكوني سأعيشـ إلى الأبد أمر لا يهمنا.

---

٣٩ – التساؤل هو مطلع أغنية «كاباريه» التي تغنيها المغنية مانيللي. – المترجم.

٤٠ – الأيدولوسكـوب: هو الاسم الذي أُطلِقَ على الشـكل الأول البدائي للسينما، كما ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر. – المترجم.

٤١ – هـي صـور بدائية تمثل مواقف رجولية مفتعلة، كرجـال يركبون الجياد في هيئة بطولية في أفلام الويسترن الصامتة، أو يتقاتلون، أو يجلسون في الحانة. – المترجم.

٤٢ – هـذا المعنى الحرفي للكلمة، flicks، لكنَّ الكلمة هـي إحدى الكلمات القديمة التي تعني السينما (كل التعبيرات التي تظهر في هذه الفقرة هي تسميات مختلفة لِما نعرف اليوم باسم السينما) – المترجم.

Twitter: @ketab_n

وسط

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

طريق العربات الثنائي مباشرةً

أمــام السيارات! ترفـع ذراعها عاليــاً، أي قِفْ. أصدرت السيارات القادمة باتجاهها صريراً وهــي تتوقف وتُطلق نفيراً مجنوناً. أمبر تقفُ في وسط الدربَين ويدها مرفوعة عالياً لكي تضمن توقّف السيارات.

الآن! هكذا صرخت لتطغى على الضجيج، وتلوّح بذراعها الأخرى لأستريد. عبرت أستريد ركضاً، حريصة على ألا تُسقِط آلة التصوير.

ثـم عندما أصبحتــا معاً في المنطقــة الوسطى خطت أمــبر تماماً كما فعلتْ مــن قبل أمام حركة المرور القادمة مــن الاتّجاه الآخر ومن جديد صدر ضجيج التوقف وعلا صوت النفير.

شيء جنوني. إنه حقاً خطير. إنه أشبه بإحدى حكايات الكتاب المقدس التــي تحكي عن البحــر الذي انشقّ من منتصفه، لكنــه هنا حركة المرور. وكأنَّ أمبر مُباركة بحقلٍ من القوة المغناطيسـية من الفضاء الخارجي أو من مجــرّة أخرى. ولو أنها شخصية كرتونيــة لكانت أشبه ببطلة خارقة قادرة على جذب الأشياء إليها وإبعادها عنها في الوقت نفسه.

أستريد شخصيــاً تعتقد أنَّ على أمبر أنْ تتوقف عندما تصل إلى حافة الرصيف أو كائناً ما كان. من الجنون مجرد الخروج سيراً. ولكن هذا من

Twitter: @ketab_n

شيـم أمـبر. من صُلب شخصيتها. ليس مهمّاً أنهـا لا تفقه أي شيء عن السيـارات، المهم أنهـا تعتقد حقاً أنَّ لها حقـاً في الطريق مثلهم، وربما أكثر.

وقفتـا معـاً على حافـة الطريـق والسيارات كلهـا تهـدر استعداداً للانطـلاق بسرعة خلفهما ولا يزال الناس يصرخون في وجهيهما من نوافـذ السيارات. تجاهلتهم أمبر. والآن وقـد استعادت أستريد أنفاسها الطبيعيـة وكـفّ قلبها عن القيام بـدور الخائف واستطاعـت أنْ تسمع نفسها وهي تفكّر، تمنّت لو أنها صوّرت ما جرى، اجتيازهما الطريق. كان سيكون شيئاً مذهلاً لو صوّرتهما.

هي تصوّر أمبر الآن. خلفها الحقل. إنه ذهبيّ.

تمنّـت أستريد أيضاً لـو أنَّ شخصاً آخر يُصورهمـا معاً من الخارج. كانتـا ستبـدوان كشخص أكبر سناً وآخـر أصغر سنـاً يقضيان يوماً في الخـلاء وهما صديقتان حميمتان أو ربما أختـان، وأحياناً تسيران وهما متشابكتـا الذراعين، لأنه، كما قالت أمبر، لا دخل للسن في أي شيء، إنه عنصر مُستبعَد.

كان منظر الريف وحواف البلـدة رائعاً. أشارت أمبر وهما تسيران إلى الأزهـار البريـة في العشب؛ باسقـة نحيلة حمـراء، وأخرى زرقاء صغـيرة جميلة حقاً. صوّرتها أستريد. عندما انتهت من التصوير كانت أمـبر قد تقدّمت عنها بأشـواط، وتقترب من الأبنية التي تلوح عن بُعد. وتصوّر أمبر قليلاً من الخلف، وهي تسير في الحقل، وتؤرجح ذراعيها.

أحـد الأبنية هو سـوق مركزية. كان له سقف صغـير مُدبّب وعلى

Twitter: @ketab_n

قمته دليل اتجاه الريح علـى شكل ديك صغير. عندما لحقت بها أستريد أشـارت إليه، وقالت أستريد إنَّ دليل اتجاه الريح لا صِلة له باتجاه هبوب الريح. بل هو لكي تبدو السوق المركزية عتيقة الطراز أكثر، من الماضي، بحيث عندما يلجها الناس ليتسوّقوا يشعرون بارتياح وكأنهم يدخلون إلى مكان ذي صِلة بالـتراث، مكان يعتقدون أنهم يتعرفون عليه كجزء من ماضيهم على الرغم من أنَّ ماضيهم لا يحتوي بأي حال من الأحوال ما يُشبهه. والحيلة تنجح ببراعة شيطانية. تنجح دون وعي بها.

إنَّ أستريد لا تزال لا تعلم إلى أين هما ذاهبتان. وليس من اللائق أنْ تسأل. كانت أمبر قد هتفـت لأستريد من أعلى الدِرَج في صباح ذلك اليوم «أحضري آلة التصوير». هـذا يومهما الثالث في الخارج لتصوير أحداث هامة بآلة تصوير أستريد. كانت أمبر تجتاز الحقل، وتسير مخترقة كل مـا ينمو عليه. كانـت الحشرات تطن في كل مـكان وكانت هناك طيـور. ولعل هناك فئران حقل أو أرانب أو أفاعي عشب، تقفز مبتعدة عنهمـا أثناء سيرهما. سيكون من المذهـل إذا استطاعتا أنْ ترياها وهي تنطلـق مبتعدة عن ضجيج أقدام أمبر وأستريد، أي أنها وأمبر عملاقتان في عـالمٍ مختلـف والأرض تهتـز تحتهما وكل الحيوانـات وما إلى ذلك تندفـع مبتعدة في الاتجاهات كلها. لكنَّ ما ينمـو في الحقل يخِزُ ساقيّ أستريد، والتربة بين سيقان النباتات جافة وغير مستوية، والحقل شاسع، وأكـبر مما يبدو من حافة طريق الدراجات حيـث يبدو كأنَّ من السهل حقاً اجتيازه، والجو شديد الحرارة لأنَّ الوقت هو منتصف الظهيرة.

في منتصـف المسافـة، تتوقـف أمبر وتنتظرهـا. تحـلّ أزرار سترتها الصوفيـة من الوَسـط وتُحيط بها رأس أستريد لاتّقاء حـرارة الشمس، وتشكل فيها عقدة بكمّيها لتثبيتها.

Twitter: @ketab_n

تقول «ما رأيك في هذا؟».

تشعر أستريد بالارتياح.

على الجانب الآخر من الحقل تنعطفان على الطريق مارّتين.بمرأب يبيع سيارات (هناك آلات تصوير في الخارج) وشركة «بوتس ذا كيمست»[٤٣] ضخمة (آلات التصوير في الخارج)، ثم عبر منطقة شبه صناعية (آلة تصوير) ومنها إلى موقف سيارات السوق المركزية (عِدّة آلات تصوير). موقف السيارات مزدحم بالسيارات. عندما وصلتا إلى الباب عاد الظل من جديد فنزعت أستريد السترة عن رأسها وأعادتها إلى أمبر وربطتها أمبر من جديد حول وسطها. إنَّ أمبر نحيلة جداً. لعل مقاسها هو عشرة. يداها طويلتان، وأصابعها طويلة، وأنيقة جداً في الواقع. في الليلة الفائتة قالت والدة أستريد على العشاء «أمبر، أنتِ تتمتعين بيديّ عازفة بيانو». ردّت أمبر «نعم، ولكن أي نوع من عازفي البيانو، الجيد أم الرديء؟». ضحك ماغنوس. وضحك مايكل مطوّلاً كمجنون. قالت والدة أستريد «عازفة جيدة، طبعاً». قالت أمبر «أنتِ لم تستمعي إلى عزفي أبداً».

هنا نظرت أستريد إلى يديها الصغيرتين، وآلة التصوير بينهما.

قالت وهي توجّه آلة التصوير نحو أول آلة تصوير للمراقبة داخل الباب «أتريدينني أنْ أصوّر؟».

كانت أمبر واقفة عند الباب وعيناها تضيقان وتمسحان داخل السوق المركزية. هزّتْ رأسها. فعلت ذلك بحركة بطيئة، أي بتركيز.

---

٤٣ – «بوتس ذا كيمست»: عنوان لسلسلة شركات للأدوية في بريطانيا وأيرلندا وبلدان أوروبية أخرى. – المترجم

Twitter: @ketab_n

قالت «اذهبـي واحضري طعاماً للغداء. هل أنـتِ جائعة؟» أومأت أستريد إيجاباً.

قالت أمبر «أحضري ما تشـائـين. أحضري فاكهة حتماً. وأحضري لي شطيرة».

كانت مهمّـة أستريد هي إحضار طعام للغداء. في المكان الذي تُباع فيـه الفاكهة انتقت تفّاحتين من نوع ديسكفـري. العلامة التي عليهما تقـول إنهما محليتـان وعضويتان. هذا أفضل مـن ألاّ تكونا محليتين ولا عضويتين. التذوُّق أفضل برهان! هكذا تقول العلامة التي تعلو التفاح. وهنـاك أخرى تشرح مدى جودة السوق المركزية في بيع فاكهة طازجة حقاً. تخيّلي لو أنها ليسـت طازجة. تخيّلي لو أنها كلها قديمة ورديئة، كل هذه الصفوف الكثيرة من التفاح والبرتقال والدراق والخوخ. فهل ستظـل العلامة تقول إنهـا طازجة أم ستقول إنها قديمـة ورديئة؟ فاكهة قديمـة وعفنة للبيع. التذوُّق أفضل برهان. ها ها. وسجّلت ملاحظة في عقلها لتقولها لأمبر، ولماغنوس عندما تصل إلى المنزل. انتقت شطيرة من لحـم التونة والمايونيز من سور طويـل من الشـطائر على أرفف مُبرّدة في واجهة المحل. سـور الشطائر العظيم - على غرار سور الصين العظيم! تخيّلـي لو أنَّ سور الصين العظيم مصنوع مـن الشطائر. لحم التونة في الشطائر صيدَ ممن دون أذيّة الدلافين. هذا ما تقول الملاحظة على العلبة، التي تحمل صورة جزيرة عليها شجرة نخيل.

لا يوجـد الكثير من المتسوقـين في السوق المركزيـة على الرغم من تلـك السيارات كلها المتوقفة في الخـارج. نظرت أستريد فوق الأرفف إلى اللافتات المُتدلية من السقف لتعلن عن الأطعمة الحارة. الطعام الحار

Twitter: @ketab_n

بجوار نضد المُعلّبـات. ولافتة أخرى تتدلّى خلف نضد الأطعمة الحارة تقـول أيضاً «التذوُّق أفضل برهان!» انتقـت منصباً صغيراً من أضلاع اللحم المشوية من أجل نفسها وقامت امرأة بلفّها لكي تبقى دافئة، كما قالت المرأة، مدة نصف ساعة.

قالت أستريد للمرأة: «شكراً لك».

قالت المرأة: «أهلاً بك».

كانـت هنـاك آلـة تصوير صـوّرت ذلك كلـه: أستريد وهـي تطلب الأضلاع، والمرأة وهي تلفّها وتُخبر أستريد (الصوت ليس مُسجّلاً على الشريط) كم مـن الوقت ستبقى دافئة. أخذت أستريد اللفافة. تساءلت إنْ كانـت المرأة التي باعتها تعلم بوجـود آلات التصوير، أي طبعاً تعلم، هذا طبيعـي بمـا أنها تعمل هنا. ولكـن ماذا يحدث عندمـا تتوقف عن العمل وتذهب لتتمشّى في الشارع وآلات التصوير الأخرى التي تمرّ بها تصوّرها فقط بسبب طريقتها في السير؟ كما صوّرت ذلك الفتى الذي مات عندما كانت أستريد أصغر سناً لأنه طُعِنَ؛ وقبل أنْ يموت يمشي بخُطى متعثرة من أمـام مكتبة بيكام بهندستها المعماريـة الجديدة؛ والفتاة التي كانت تعزف على آلة الساكسوفون وتكـوي الملابس وظهرتْ في فيلم التصوير المنزلي الـذي سمح والداهـا للسلطات بعرضـه في نشرة الأخبـار، والفتاة التي ضاعت وهي في طريق عودتها من المدرسة إلى المنزل.

الفرق هـو أنَّ الفيلم الذي صـوّر امرأة السـوق المركزية هذه وهي تـؤدي عملهـا وتتمشّـى في الشـارع أو تُخـرِج سيارتهـا من موقف السيارات أو في أثناء توجهها إلى مكتبةٍ ما، هو تسجيل لا فائدة منه، لا

Twitter: @ketab_n

يعنـي أيّ شيء، ولن يُشاهده أحـد إلا إذا وقع لها حادث مُريع وعندئذٍ سوف يكون له المعنى كله، وهو أمر فظيع، لكنه هام.

ولكـن، إذا لم تقع حوادث مريعة، عندما تصـل المرأة إلى المنزل ليلاً وتجلس على مائدة العشاء أو مع كوب من القهوة أو كائناً ما كان، فما أدراهـا أنَّ حركاتها لم تعُد تُسجَّل؟ أم هل تعتقد في داخلها أنها لا تزال تُصـوَّر، بآلة تُراقب كل مـا نفعل، لأنها متعوّدة علـى وجودها في كل مكان آخر؟ أم أنها لا تفكِّر فيها أبداً، هل هي مجرد امرأة تعمل في سوق مركزية ولا تزعج نفسها في التفكير في مثل تلك الأشياء؟

إنَّ التفكير في هذا كله يجعل أستريد ينتابها شعور غريب. إنها تنظر إلى اللفافـة التي في يدها، وتعرف أنَّ الأضلاع دافئة داخلها على الرغم من أنَّ ملمس اللفافة بارد تماماً من الخارج.

تنتقـل أستريد من ممر إلى ممر بين بضائع السوق المركزية. وأخيراً تعثر علـى أمبر في الممر مـع أغراض الاستحمـام والرذاذ المُعطّـر إلى آخره. أمبر تتنـاول اللفائف عن خطّاف صغير مُعلّقة عليه وتدعها تسقط على الأرض وكأن اللفافة الأمامية ليست التي تريد، ولا التي تليها، ولا التي تليهـا. ولفافة بعـد أخرى سقطت على الأرض. وبعـد أنْ أفرغت أمبر الخطّاف تماماً باشـرت باللفائف المُعلّقة على الخطّاف الذي يليه وفعلت الشيء نفسه من جديد. كانت قد أفرغت تواً ما على خطّافين.

تتقـدم أستريد. لفائف من آلات الحلاقـة، النوع الذي له مقبض من البلاستيـك، مُبعثرة حـول قدميّ أمبر. تأخذ أمـبر واحدة عن الخطّاف وتدعها تسقط.

Twitter: @ketab_n

تنظر أستريد إليها.

لسان حال نظرة أستريد يقول، لماذا تفعلين هذا؟

تبادلها أمبر النظر.

لكنَّ أستريد لا تفهم فحوى النظرة.

تسأل أستريد «هل المايونيز جيد؟».

تقول أمبر «هذا يعتمد على ما إذا كان قد تُرِك ليتعرّض لأشعة الشمس».

تضحك أستريد.

تقول «أعني الذي في شطيرتك».

تترك أمبر اللفافة تسقط، وتتناول أخرى، وتحملها وتتركها لتقع.

تقول أمبر «نعم، Id est (بمعنى) أني أحب المايونيز. ما دام أنها ليست مجرد شطيرة مايونيز، أي لا تحتوي إلا على المايونيز».

تقول أستريد وهي ترفعها عالياً: «التونة».

تقول أمبر: «طعامي المُفضّل».

أستريد مسرورة جداً. كان السرور، أو كائناً ما كان، يسري في أنحاء جسمها كله.

Twitter: @ketab_n

تحدّقُ أمبر برهة إلى الخطافات الفارغة أمامها وإلى الحزم المنتثرة على أرجاء الأرض ومن ثم تقول:

«جيد».

تتقدّم من موقع الحزم.

تقول: «حدّدي الوقت».

ثمة ثلاث رجال أمن بملابسهم الرسمية ورجلان بملابس مدنية يقفون على الجانب المقابل من مكان التفتيش وكأنهم في انتظار أمبر وأستريد. ثم تُدرك أستريد أنهم كذلك. تدفع أمبر ثمن التفاحتين والشطيرة والأضلاع المشوية للبائعة. البائعة لا ترفع نظرها لتنظر إلى أمبر أو إلى أستريد. إنها فقط تنظر إلى الأغراض التي تشتريان وإلى درج النقود وحساب المبلغ وإلى ضغط الأزرار. تطلب كل ما يتعلّق ببطاقة الائتمان والوقود أيضاً من دون أنْ تنظر إليهما. إنها تعلم أنها مُراقَبة وأنَّ هناك شيئاً في الأعلى. رجال الأمن ينتظرون الانتهاء من عملية الدفع، كرعاة بقر غاضبين بصمت في مسلسل ويسترن تلفزيوني. أحد الرجلين بالملابس المدنية يبدو غاضباً. والثاني يبدو ساخراً. ينظر مباشرةً إلى أمبر ويهزّ رأسه لها أثناء اجتيازها مع أستريد. لكنهما لا يفعلان أي شيء ولا يقولان أي شيء.

تغادر أمبر وأستريد السوق المركزية.

تقول أمبر وهي تُلقي نظرة إلى داخل لفافة أستريد «أضلاع». يبدو من وجهها كأنها لا تحب الأضلاع كثيراً.

Twitter: @ketab_n

تسأل أستريد: «ألا تحبين الأضلاع؟».

تقول أمبر: «ليس كثيراً».

تقول أستريد: «ولا أنا. ليس كثيراً. أحبّ مذاقها المحروق».

تقول أمبر: «إنها مُسرطِنة».

تقول أستريد: «نعم».

إنها تعرف معنى كلمة مُسرطِنة لكنها لا تتذكره.

تقول أمبر: «إنَّ أكل الأشياء المحترقة يُسبب السرطان».

كأنما كان في استطاعتها أنْ تقرأ ما يجول في ذهن أستريد.

تقول أستريد: «أنا أعرف».

ثم ينتابها القلق، لأنه إذا كان في استطاعة أمبر حقاً أنْ تقرأ ما يجول في ذهنها فسوف تعلم أنها لا تعرف معناها. تسترق نظرة إلى أمبر، لكنَّ أمبر كانت تعلّق:

«بقعة جميلة تصلح للنزهات».

إنه مكان فظيع مُخصص لإعادة تدوير القمامة. إنهم يجلسون على العشب عند حافة موقف السيارات وسط رائحة النبيذ والبيرة البائتة المنبعثة من صندوق قمامة الزجاجات. تقول لافتة بجوار صناديق القمامة، «مشروعنا لإعادة التدوير». النجاح. البيئة.

Twitter: @ketab_n

أحـد رجال الأمن واقف عند البـاب الأمامي للسوق المركزية. كان يُراقبهما منذ أنْ غادرتا وهو يُراقبهما طوال فترة جلوسهما هناك تأكلان غداءهما. إنه يتكلّم في الهاتف.

بادلته أستريد وأمبر النظر.

تقـول أستريـد: «أعتقـد أنهـم رأوك تفعلـين ذلك الشـيء بآلات الحلاقة».

تقول أمبر: «لقد رأوني حتماً. يمكنكِ القول إنهم رأوا الكثير مني».

تُخـبر أستريد بأنَّ هذه السوق المركزية تقـوم باختبار طريقة جديدة في إيقـاف سارقـي المحلات التجاريـة. عندما يتنـاول شخص ما علبة مـن آلات الحلاقة عن الخطّـاف ثمة شريحة حاسـوب تُصدر تعليمات لآلـة تصوير لالتقاط صـورة لذلك الشخص لكي يتـم مُقارنة الصورة بالشخصـ المُشتري عند دفع الحساب، وهكذا يعرفون مَنْ دفع ومَنْ لم يدفع ثمن آلات الحلاقة وما إذا كانت مسروقة أم لا.

لم تفهـم أستريد تمامـاً طبيعة المشكلة. إنها تعتقد أنـه أمر معقول أنْ تتخذ السـوق المركزية هذا الإجراء. فهـو، أولاً وأخيراً، من أجل كفّ الناس عن السرقة.

تنزعج أمبر قليلاً.

إنَّ أستريـدَ تفكّـر في سؤال أمبر عـن بائعة السـوق المركزية وعن تصويرها. لكنهـا تعلم أنها إذا ذكرت أمبر بائعـة السوق المركزية فقد لا يهمهـا أمرهـا لأنها ليست أكثر مـن بائعة في سـوقٍ مركزية. وقد

Twitter: @ketab_n

يزداد انزعاج أمبر. لذلك لم تقُل أي شيء عن أي شيء. تناولت ضلعاً وأخذت تعضّه بأسنانها، مُحاولةً ألا تصل الصلصة إلى وجهها أو يدها.

كانت أمبر قد انتهت من أكل شطيرتها. تنهض واقفة. وتهرع أستر أيضاً بالنهوض، مُبعِدة يديها عن نفسها. أمبر تنفض الغبار عن ملابسها وتتمطّى. تلوِّح بيدها مودِّعة رجل الأمن الذي يرفع يده ويلوح بها أيضاً، وكأنه غير متأكّد، وكأنما خطأً. ثم تتناول أمبر آلة التصوير لأنَّ يديّ أستريد مُلطّخة بصلصة اللحم المشوي وتعودان من الطريق نفسها التي جاءتا منها، عبر الحقل الحارّ (تأكل أستريد تفاحة ثم ترمي اللب بعيداً، زبالة) ثم تجتازان ممر العربات المزدوج عبر جسر ممر المُشاة الذي يؤدي مباشرة إلى المحطة ومن الواضح أنها الطريقة التي كان ينبغي أنْ تتبعاها منذ البداية بدل المشي إلى وسط الطريق بتلك الطريقة المجنونة.

في منتصف المسافة على جسر المُشاة، فوق حركة المرور الهادرة، تتوقف أمبر. تميلان وتنظران إلى المشهد والريف من جديد. منظر جميل. إنه حقاً إنكليزيّ ومثاليّ. راقبتا السيارات من تحتهما قادمة وذاهبة، تتحرّك كنهرٍ باتّجاهَين. أشعة الشمس المنعكسة على حاجب الريح وعلى دهان السيارات يُبهر عينيّ أستريد. من الأسهل النظر إلى السيارات الأبعد وهي تتلاشى داخل جدار الحرارة الشفّاف الأكثر ومضاً. ألوانها تذوب من خلاله وكأنّها ليست مصنوعة من أي مادة صلبة.

إنه بعد ظهيرة يوم صيف جميل، كفصول الصيف الأبدية التي كانت تحل أيام زمان، قبل ولادة أستريد.

ثم تُسقِط أمبر آلة التصوير عبر جانب الجسر.

Twitter: @ketab_n

تراقبهـا أستريـد وهي تهبـط في الهـواء. وتسمع صوتهـا الخاص، نائيـاً وبعيداً، ثـم تسمع الضجيـج البلاستيكي لآلـة التصوير خاصتها وهي تضـرب الإسفلت. بدت صغيرة جـداً. وتشاهد دولاب السيارة الشاحنـة تضربها وترسلها وهي تدوِّم تحت دواليب السيارة التي بعدها على المضمار الداخلي، فتتحطّم قِطعاً وتتناثر في أرجاء الطريق كلها.

تقول أمبر: «هيا بنا».

تسير بخُطى واسعـة وتتقدّمها وسرعان ما تقطع نصف المسافة على الـدرَج الهابط إلى المحطة. تستطيـع أستريد أنْ ترى ظهرها يختفي، ثم كتفيها، ثم رأسها.

شيء لا يُصدَّق.

إنه جنون.

طـوال الطريق إلى المنزل على مـتن القطار، كانت أستريد تفكّر: هذا جنـون. وطوال طريق المسير على الأقـدام من محطة القطار حتى المنزل، البعيد جداً، لم تتبادل أستريد أي كلمة مع أمبر. و لم تنظر إليها أيضاً طوال الطريق إلى المنزل. وعندما كانت تختلس نظرة إليها، من تحت جفونها، كانـت أمبر تبدو لها غير مهتمة على الإطلاق، وكأنّ لا شيء فظيعاً وقع تواً، وكأنها لم تفعل أي شيء يدعو إلى الغضب ولا بأدنى قدر.

لقد كانت هدية من أمها ومن مايكل تلقّتها في عيد مولدها الأخير.

سوف تقع في مشاكل رهيبة.

Twitter: @ketab_n

لقد كلّفت ثروة.

إنهم دائماً يذكرون كم كلّفت. إنهم فخورون بغلو ثمنها.

كانت من نوع سوني الرقمية.

كان فيها تسجيل من هذا اليوم، لتلك الأزهار.

وفيها تصوير لأمبر وهي تجتاز الحقل بكل ألوان الأصفر والذهبي خلف رأسها.

وهناك تسجيل من يوم قريب في نوريتش وربما يكون أيضاً الشريط الذي صوّرتا عليه خارج مطعم كري بالاس وما إلى ذلك.

ما فائدة أستريد لأمبر الآن، الآن بعدما لم يعُد في استطاعتها أنْ تسجل أي شيء هام؟

تسجيل لقطة الفجر موجود على حافة الطاولة. لكنه يتوقف عند اليوم الذي جاءت فيه أمبر. ماذا لو أنَّ أستريد استيقظت غداً وأرادتْ أنْ تبدأه من جديد؟

يجب إجبار أمبر على دفع ثمن آلة التصوير.

الشيء النموذجي والمُثير للسخرية أنه لا توجد آلات تصوير مُراقبة على جسر المُشاة.

لا أحد شاهد ما جرى.

لا تستطيع أستريد أنْ تُثبت أي شيء.

Twitter: @ketab_n

طـوال الطريق إلى المنزل رفضت أنْ تنظـر أو تتكلَّم. لم تلاحظ أمبر ذلك. راحت تصفّر وهي تسير قُدُماً، ويداها في جيبيها. مشت أستريد خلفها بخُطى متثاقلة على الجانـب المُقابل من الطريق، وعيناها مُثبّتتان على الأرض التي تتحرك من تحت صندلها. لكنَّ أمبر لا تلاحظ، أو إذا لاحظتْ لا ترى أنَّ الأمر ذا أهمية.

عندما تصـل أستريد المنزل وتصعد إلى الطابق العِلوي وتوصد الباب على نفسها في الغرفة، تلمح صورتها في المرآة ووجهها الشديد الشحوب حتى اضطرت إلى النظر مرّتين. كاد المشهد يدفعها إلى الضحك بصوتٍ عالٍ، كـم يبدو وجهها صغـيراً وشديد الشحـوب والغضب في المرآة. يكاد يدفعها إلى الضحك بصوتٍ عالٍ كونه وجهها فعلاً.

تُحدِّقُ إلى نفسها.

الجانـب الذي يرغـب في الضحك من نفسها يبـدو منفصلاً، وهي تـرى نفسها هكذا. عندمـا تقول يبدو، فهذا يعني أنـه مرتاح تماماً، أو كأنها شخص آخر ومختلف كلياً.

تجلس علـى السـرير تشيح بوجهها بعيداً عن المرآة وتركّز بقوّة على البقاء حانقة.

بعد ذلك بيومين تسأل أمبر أستريد إنْ كان في استطاعتها أنْ تستعير مجموعة من الأوراق وقلمها ذا رأس اللباد لدقيقة.

وافقت أستريـد. أصدرتْ ضجيجاً يعني نعـم. كانت لا تزال تمتنع حقاً عن التكلّم مع أمبر.

Twitter: @ketab_n

تستلقي أمبر على العشب في الظل، وترسم بقلم أستريد على أوراق أستريد.

بعد قليل، تقترب أستريد وتجلس بالقرب منها. ثم تتحرّك أقرب قليلاً.

إنَّ أمبر جيدة جداً في الرسم وسريعة. لقد رسمت صورة لطفل صغير. من الواضح أنَّ الطفل هو في المدرسة لأنَّ هناك مقعدَ دراسة وثمة لوح كتابة من الطراز العتيق في الخلفية يقف عنده أستاذ من الطراز القديم. الطفل في الصورة يرسم أيضاً، على ورقة على حامل. فوق صورتها توجد كلمة «**مومياء**» بخط يد طفل، على أي حال كانت صورة من النوع الذي يرسمه الأطفال لأمهاتهم، برسم الشكل من عصي والذراعين يبرزان بشكل أبله، وبشعر خشن مُضحك وإحدى العينين أكبر من الأخرى وخط أخرق يمثل الفم.

تعرض أمبر الصورة على أستريد.

ثم تفصل الصفحة عن المجموعة، وتقلبها، وتضع ذراعها على الدفتر كما يفعل الناس عندما لا يريدون أنْ ينسخ أحد أجوبتهم، وراحت ترسم شيئاً آخر.

عندما انتهت منها أعطتها لأستريد.

الصورة الثانية كانت للبوابة خارج المدرسة (هناك لافتة مكتوب عليها مدرسة) مع ثلاث أمهات واقفات هناك في الانتظار ليرافقن أطفالهن إلى المنزل. اثنتان من الأمهات بدتا طبيعيتين. لكنّ الثالثة كانت نسخة طبق الأصل عن صورة الأم التي في رسم الطفل في الصورة الأولى. كانت

Twitter: @ketab_n

بوقوفها بجوار الأمّـين الحقيقيتين تبدو بأبعاد جنونية وشعر خشن وعين أكـبر مما ينبغي وخط يرسم فماً جنونياً والذراعان بزاويتهما الغبية، أي أنَّ الأم تبدو **حقاً** أشبه بتلك التي في الحياة، ومضحكة.

إنها أشد ما شاهدتْ أستريد إضحاكاً في حياتها كلها. إنها لا تستطيع أنْ تكفّ عن الضحك. ولا تصدِّق كم هو مضحك أنْ تبدو أمٌّ في الحياة الواقعيـة كتلك التي رسمها الطفل.. إنها مضحكة جداً وبلهاء جداً إلى درجـة أنَّ أستريـد تضحك حتى تـزرف الدموع من فـرط الضحك. وتجـري الدموع على جانب رأسها، بـاردة خلف أُذنيها، وتسقط على العشب. وأمبر تضحك أيضاً، وهي مستلقية على ظهرها كأي شيء. إنَّ كلتيهما تتدحرجان على المرج وتضحكان وتضحكان على الصورتين.

يقـول مايكل عندما ينظر من خلف ظهرهـا لاحقاً إلى قطعة الورق (التي تعرضها على ماغنوس)، «إنها مِثال للتشابُه الشديد».

يقول ماغنوس «مضحكة جـداً». إنه مستلقٍ على الأريكة ويُحدّق إلى السقـف. (لقد عاد طبيعياً تقريباً، ويتكلّـم مع الناس من جديد، بل إنــه يغتسل في الحمام إلى آخـره. لا يزال بعض السواد يُحيط بعينيه كأنَّ أحدهم تناول قلماً برأس من اللباد وعبث بتلك المنطقة).

سألت أمها «هـل أمبر هي التي فعلت ذلك؟ إنها موهوبة جداً. إنها فتاة موهوبة حقاً».

هــي كذلــك. إنَّ أمبر موهوبة حقــاً. وعلى امتداد أيـام وأيام بقيتْ النكتة تدفع أسترِيد إلى الضحك دون سابق إنذار، وسط أي شيء، مهما كان.

Twitter: @ketab_n

وبعــد مرور ليالٍ عديدة ظلت تتذكّرها رُغماً عنها، وتبدأ بالضحك من جديد، إنها فكاهة من النوع الذي يستقر عميقاً في الداخل حيث يبدأ التنفُّس وتشعر بــأنَّ أحشاءك تذوب أو كأنَّ مسخاً فضائياً يتلبّسُكَ ولا يفعل أي شيء آخر غير الضحك داخلك وحتى بعد أنْ تضيع الصورتان الحقيقيتــان أو تُطويــان أو ترميهما بعيــداً كاثرينا الخادمــة تبقى أستريد تضحك بلا انقطاع عندما تفكّــر فيهما، وتتذكر كم هما مُضحكتان، وكم هي بارعة فكرتهما، الأم واقفة تنتظر عند بوابة المدرسة تبدو كأنها موجودة في العــالم الواقعي بالضبط بالطريقــة الصبيانية الحمقاء نفسها التــي رُسِمَتْ بها، أي كأنَّ الطريقة التي رسمهــا بها الطفل هي بالفعل الحقيقية والواقعية أصلاً.

ذات أمسيــة حارة جداً، عندمــا قام مايكل بشيء مــن المُفترَض أنه متميِّــز وثمة رؤوس أزهــار غير صالحة للأكل منتــثرة في طبق السلطة، قالت أمهــا: «أستريد، يجــب أنْ تصورينا جميعاً ونحــن نتناول طعام العشاء هذه الليلة. إنها ليلة جميلة حقاً، وعشاء لذيذ، ويجب أنْ نحتفل بذكراها. اذهبي وأحضري آلة التصوير خاصتك».

لم تنطق أستريد بأي كلمة.

قالت أمها: «أستريد، هيا».

نظرت أستريد في طبقها.

قالت أمها: «هيا، اذهبي واحضريها».

قالت أستريد: «كلا».

Twitter: @ketab_n

قالت أمها: «كلا؟».

قالت أستريد: «لا أستطيع».

قالت أمها: «ماذا تقصدين بأنكِ لا تستطيعين؟».

قالت أستريد: «أضعتُها».

قالت أمها: «أنتِ ماذا؟».

كرّرت أستريد ما قالت:

«أضعتُها».

قال مايكل: «وأين أضعتِ آلة التصوير، أستريد؟».

قالت أستريد: «لو كنتُ أعلم لما أضعتُها، أليس كذلك؟».

ضحكت أمبر.

قالت أمها: «يكفي هذا، أستريد».

عبسَتْ أستريد في ركام الأزهار الصغيرة على حافة طبقها.

قال مايكل: «ولكن كيف، بالضبط، فعلتِ شيئاً كهذا؟».

قالت أمها: «أستريد، لقد كلّفتنا ألفيّ جنيه، أنت تعلمين»، لكنها قالت ذلك بتملّق وليس بغضب، بسبب حضور أمبر على مائدة العشاء وكانوا يبذلون أقصى جهدهم كي يظهروا بصورة مثالية أمامها، حتى والدة أستريد.

Twitter: @ketab_n

قــال مايكل: «ولكن متى؟ هل أبلغت الشرطة؟».قالت أمها: «بحق الله، يا أستريد، إنها آلتك».

قالــت أمــبر وهي تتناول شريحــة أخرى من الخبــز: «في الواقع، إنه خطــأي. لم يُعجبني منظرها وهي تتنقّل بآلــة التصوير طوال الوقت في كل مكان. لذلك رميتها عبر جسر المُشاة إلى الطريق العامة».

التفت الجميع ونظـروا إلى أمبر. ران صمــت استمر طويلاً طويلاً، واستمر إلى أنْ قالت أستريد:

«كلا لم تفعل. لقد سقطت وحدها».

قالت أمها: «أوه».

قال مايكل: «آه».

قالت أستريد: «كانت على حافة الجسر. وببساطة - وقعت».

قالــت أمها من جديد: «أوه»، ورانت فــترة أخرى من الصمت، لم يقطعها إلا قرقعة شوكة أمبر وسكينها على الطبق».

قالت أمبر: «على جسر المُشاة. فوق طريق A14».

قال مايكل: «كان يمكن أنْ تتسبّب في قتل أحدهم، أو أي شيء، لو أنها ضربت حاجب الريح، أو ما شابه».

قالت أمبر: «صح».

قالت والدة أستريد على عجل: «لكنها لم تفعل، أليس كذلك؟».

Twitter: @ketab_n

قالت أستريد: «كلا».

قالت أمبر وهي تقطع رغيف الخبز إلى قسمين: «لا أحد مات. على أي حال، كان خطأي فلا داعي إلى القسوة عليها، أنا الملومة».

ربتت والدة أستريد على فمها بفوطتها ونظرتْ إلى مايكل، ثم نظرت في ساعة يدها، ثم نظرت من النافذة.

قال مايكل وهو يرمي أمها بنظرة سريعة: «التأمين. سوف أرى هذه المسألة»، ثم نظر إلى أستريد ومن ثم إلى أمبر ومن ثم إلى لا أحد، إلى الفضاء خلف رأس أمبر. مدّ يده لتناول الزجاجة لكي يصبّ المزيد من النبيذ في الكؤوس. قال وهو يومئ برأسه: «لا تجزعي».

تابعت أمها تناول الطعام وكأنَّ شيئاً لم يحدث. أمر شديد الغرابة. واصل مايكل تناول الطعام. ماغنوس ينظر في طبقه ويمضغ. كان جانب وجهه كله وعنقه أحمر اللون كالطفح. ولكن لا أحد أضاف أي كلمة أخرى عن آلة التصوير المُحطّمة. لم يقُل أحد أي شيء آخر عن الموضوع طوال الليل ونهار اليوم التالي وبحلول اليوم الثالث باتت أستريد متأكّدة من أنهم جميعاً نسوا الأمر.

Id est هو التعبير الأصلي لكلمة «بمعنى»، أو بالأحرى هو اختصارٌ لها. إنها طريقة أخرى لقول «بمعنى» وأصلها لا تيني، أعني id est.

حكتْ أستريد لأمبر عن الهاتف المحمول الذي في صندوق قمامة الأوراق الذي لا زالت تدفع قيمة أجرته من دون عِلم أحد. وأخبرتها عن لورنا روز وعن زيلدا هاو وريبيكا كالو. أخبرتها كيف كانت هي

Twitter: @ketab_n

وريبيــكا كالو صديقتين. وأخبرتها عن رسائــل والدها آدم بيرينسكي إلى أمهــا وكيف عثرتْ عليها تحت شهــادات الميلاد، وتأمين السيارة، وأوراق ملكيــة المنــزل وما إلى ذلــك، في دولاب غرفــة مكتب أمها وكيــف أخذتْهــا وكيف أنَّ لا أحــد انتبه إلى أنها أخذتهــا وكيف أنها تحتفــظ بها الآن داخل الجــراب تحت سريرها في المنــزل. أخبرت أمبر بالأشياء الجميلة التي يتبادلان قولها، أي عن ظهر قلب «*أنتِ بالنسبة إليّ بدايةُ البدايات. أنت علّمتني معنى الإخلاص. لو كان في حوزتي آلةَ تصــوير سينمائي خلف عينيّ فما أودّ فعله هو أنْ أصوّر كل أوقات الفجر لكل صباح مــن حياتي ثــم أُعطيك الفيلم المنتهــي مجدولاً معاً* (مجــدولاً أي متزوجاً). *حينئــذ تعرفــين معنى أنْ أعرفك، أنْ أســتيقظ وأنت معي. أنت صــيف دائمٌ جميل، صــيف يســتمر شــهوراً. من أيار إلى تشرين أول، يومــاً بعد يوم بعد يوم من الشــمس الرقيقة وهواء الصيف. أنا الطيور المُحلّقة عالياً التي تكسو سماءك. أنت تجعلينني أطير. عندما أنظر إليكِ أشعر أني الرجل الوحيد الحيّ القادر على الطيران شديد القُرب من الشمس. فلا تُذيبي جناحيّ!* (الإشارة هنا إلى إيكاروس ابن ديدالوس في الأساطير الإغريقية)».

وصفــت صورته وهــو يقود الســيارة الزرقاء وبابهــا مفتوح. كان يُخرِج ساقاً من السيارة ويضعها على الأرض. ويرتدي الجينز. وله شعر داكن. ونحيــل. ويرتدي قميصاً أزرق اللــون ذا مربّعات، يمكن رؤيته مــن خلال حاجب ريح السيارة. وهنــاك أدغال خلف السيارة ومنازل حديثة الطراز. وهناك ورقة خضراء على الأرض سقطت عن شجرة قبل التقاط الصورة.

كان ذراعــاه معقودَيــن. ويمكن رؤية يديــه. عيناه إمــا تبتسمان أو مُغمضتان.

Twitter: @ketab_n

وضعَ سُكّر في الشاي.

خرجت الكلمات من فم أستريد أشبه بالحجارة الساخنة التي يستخدمونها في المكان الذي تلجأ إليه أمها لتلقّي العلاج بالتدليك، التي تترك علامات حمراء على بشرة الناس بعد أنْ توضع ومن ثم تُرفع.

كسرتْ أمبر ساق عشب باسق عن الحافة، ووضعتها في فمها واستلقت على ظهرها فوق المرج. رفعت نظرها إلى أستريد مدة طويلة من خلال عينين نصف مُغمضتين في وجه الشمس. لم تقُل أي شيء.

تحرّكتْ ذُرى الأشجار حولهما برهة قبل أنْ تشعرا بالنسيم الفعلي الذي حرّك الأوراق فوقهما قبل تلك البرهة.

غابت أمبر طوال النهار.

راحت أستريد تدور حول المنزل مرة بعد مرة. سارت حول الحديقة، ثم سارت حتى القرية. في الطريق فكّرتْ في الوقت الذي ذهبت هي وأمبر للتصوير في نورينش.

قالت أمبر مباشرة من تحت آلة التصوير الأولى التي أشارت إليها «ققفي هناك» الآلة التي كانت تصورهما في محطة نوريتش وهما تترجلان من القطار، «واستمري في التصوير مدة دقيقة كاملة. أعني صوّري مدة دقيقة كاملة».

جلست أستريد على المقعد المقابل لكنيسة القرية. راحت تراقب الطريق. نظرتْ في ساعة يدها مدة دقيقة كاملة، راقبت كل لحظة منها. خلال تلك الدقيقة، التي بدت فترة طويلة من الزمن، لم يحدث أي شيء.

Twitter: @ketab_n

قالــت لأمبر «دقيقة كاملــة؟ مَنْ يرغب في مشاهــدة فيلم لأكثر من خمس ثوان من آلة تصـوير بلهاء ذات دائرة مُغلقة على الجـدار من دون أنْ يحدث أي شيء؟».

أدارت أمبر عينيها داخـل مُقلتيها ونظرتْ إلى أستريد أي أنَّ أستريد غبيــة ومُزعجة لذلــك أدارتْ أستريد آلة التصويـر وجعلتها في وضعية التثبيـت الذاتي وراحت تصوّر آلة التصوير الأخرى. دارت الآلة حول محورهـا لتنظـر إليها. بمعنـى أنَّ آلتـيّ التصوير كانت تصـور إحداهما الأخرى.

حرارة الجو لا تُطاق ولا يمكن الجلوس تحت أشعة الشمس. الشمس عينٌ حمـراء ضخمة. تنهض أستريد واقفـة. تنظـر إلى نُصُب الحرب التـذكاري، بأزهاره الزائفة العتيقـة الباهتة على إكليليّ الأزهار. تلمس إفريـزه الحجـري، شديد الحرارة بفعـل أشعة الشمـس، شديد الحرارة بسبـب الشمس، حتى أنها لم تتمكـن من لمسه فترة طويلة. منذ أنْ كان هذا النُصُب التذكاري جديداً والشمس تُسخّنه كلما حلّ الصيف.

تحـاول أنْ تفتح باب الكنيسة. إنه مُقفـل. هناك ملاحظة عليه تُخبر عـن الشخص الذي يمتلك المفتاح، السيد فـلان الذي يُقيم في الشارع الكائن عند المفترق الثاني (هناك خريطة).

الكنائس تكون عادة مُقفلة. منعاً لحدوث أعمال تخريب.

ولكـن ماذا لـو كنتَ مُخرِّبـاً ؟ يمكنـكَ ببساطـة أنْ تذهب وتطلب المفتاح.

Twitter: @ketab_n

لكنهم عندئذٍ سيعرفون أنكَ أنتَ المُخرِّب.

ولكــن ماذا لو قلتَ إنَّ المفتــاح كان بحوزتك وأنكَ، مثلاً، أضعته، وأنَّ مُخرِّباً لابد عثر عليه ودخل وقام بالتخريب؟

أو - ماذا لو أنَّ مالك المفتاح نفسه مُخرِّب، وقرَّر أنْ يقوم بالتخريب ومن ثــم ادّعى لاحقاً أنَّ شخصاً آخر جاء واستعار المفتاح وكتب برذاذ الدهــان على الجدران أو كسر المقاعد أو ما كان موجوداً في الداخل إلى آخره؟

في الواقــع ليس صحيحاً أنه لم يحــدث أيّ شيء خلال تلك الدقيقة التــي ذكرتهــا الآن. لقد كانت هنــاك الطيور وأشيــاء كالحشرات تطير. غربــان أو شيء ربما ينعــب وسط تلك الحرارة التي خيَّمــت عليها. إنها تفعــل الآن. هناك نبتة بيضاء باسقة خلف الجدار، لا أتذكّر اسمها. وفي خلال ستين ثانية ربما تحرّكت قليلاً في الهواء ولعلها كبرت ولكن بطريقة لا يمكن ملاحظتها بالعين الإنسانية. وهناك نحل إلى آخره في كل مكان في الظل، منهمك في العمل جيئة وذهاباً بين الأزهار، في طريقه إلى منزله في الخلية حيث لا تزال الذكور تحتفظ بأقدامها لأنَّ الوقت لا زال صيفاً، وكل شيء يحدث في عالمه الخاص الموجود وِفق شروطه الخاصة في هذا العالم حتى وإنْ كان شخص مثل أستريد لا يعلم بأمره أو لم يكتشف أمره بعد. ثمة حجر على شكل قلب بجوار الباب مكتوب عليه توفي في عام ١٦٨١ أي أنَّ هذا الشخص، رجلاً كان أم امرأة، كان حياً هكذا والآن هــو أو هي أو كائناً ما كان (لا يوجد اسم عليــه، فقط التاريخ، ولا ذِكر للشهــر، فقط العام)، ما تبقّــى منه أو منها، موجود تحت هذا المكان منذ أكثر من ثلاثمائة عام، وذات يوم عاش أو عاشت وكان في الحقيقة حياً

Twitter: @ketab_n

في هـذه القرية. كانت الشمس تضرب ذلك الحجر في كل صيف طوال الوقت، وطوال فصـول الصيف الدائمة وحتى الفصـول الحالية المُقلِقة بيئياً. لم تكن أستريد قد لاحظت قبل الآن كم الأشياء نضرة. حتى الحجر لونه أخضر.وباب الكنيسة المُقفَل لونه بُني مُخضرّ، وعليه ما يُشبه اللمعان الأخضر بسبب تعرّضه لتقلبات الطقس إلى آخره. إنه لون برّاق حقاً. لو كانت آلة التصوير بحوزتها لصوّرت اللون على امتداد دقيقة كاملة لكي تتمكن لاحقاً من مشاهدة شكله، أي اللون.

جلسـت في الظل بجوار البـاب ونظرتْ بإمعـان إلى خُضرة اللون الأخضر. وإذا أمعنت النظر بالقدر الكافي فقد تعرف أو تتعلَّم شيئاً عن الخُضرة أو كائناً ما كانت.

لكـنَّ الذين ماتوا في تلك الحروب خـلال القرن الفائت والشخص القابـع تحت الحجر ذي شـكل القلب، هل التفكير فيهـم يُشبه التفكير في ذلـك الفتـى الذي ركضَ مـاراً بمكتبة بيكام أو في تلـك الفتاة التي عـثروا عليها في الغابـة ميتة في العـام الفائت؟ أو في أناس موجودين الآن في بقـاعٍ مختلفة من العالم ولا يجدون ما يكفي من الطعام ولذلك يموتـون الآن بينما أستريد جالسـة هنا تفكر في اللون؟ أو في الحيوانات في بلـدانٍ ليس فيهـا ما يكفي من الغذاء أو المطـر ولذلك تموت. أو في الذيـن يخوضون غِمار تلك الحرب التي مـن المُفترَض أنها تدور، على الرغم من أنه يبدو لا يموت فيها الكثير من الناس، ليس كما يحدث في حربٍ حقيقية.

توفي في عام ٢٠٠٢.

حاولـت أستريـد أنْ تتخيَّل شخصاً، لعله طفـل، أو شخص في مثل

Twitter: @ketab_n

عمرها، في أماكن تبدو مُسربلة بالغبار كما تظهر في التلفاز، يحتضر بسبب قنبلة أو شيء ما. تتخيَّل ريبيكا كالو على سريرٍ في مستشفى في مكان يبدو كأنه خالٍ من أي تجهيزات. صعبٌ جداً تخيُّل هذا. وفي المدرسة لا يكف الأساتذة عن الحديث عن البيئة وكل تلك الأنواع والأشياء التي تموت إلى آخره. إنها تحدث في كل مكان طوال الوقت، وهو أمر خطير، حيوانات داخل أقفاص وأطفال في مستشفيات يظهرون في نشرات الأخبار وأناس في مكان ما يصرخون بسبب شخص فجَّرَ نفسه أو جنود أميركيين قُتِلوا أو ما شابه، ولكن من الصعب أنْ تعرف كيف تجعل ذلك أمراً هاماً فعلاً داخل رأسك، كيف تجعله أشدّ أهمية من التفكير في اللون الأخضر. مطعم كري بالاس مثلاً، كان سهلاً جعل هذا شيئاً هاماً لأنه موجود هنا، هنا أمامهما. ولكن عندما ذهبت هي وأمبر لتسألا الرجل الهندي هزّ رأسه نفياً وقال إنها مجرد أرواح محلية راقية تمرح وليس تخريباً على الإطلاق وحتماً ليست عنصريّة وهو حتماً لا يريد منهما أنْ تصوّرا شيئاً وطلب منهما الرحيل. وكان طوال ذلك الوقت ينظر إلى ما خلفهما إلى الفتية الواقفين يُراقبونهما خارج محل لبيع رقائق البطاطا على الطرف المقابل لمطعم كري بالاس. نظرتْ أمبر إليهم وقالت إنها ظنّتْ أنَّ أولئك الفتية هم الأرواح الراقية المحلية. وعاد الهندي إلى مطعم كري بالاس. ثم خرج رجل من محل بيع رقائق البطاطا ووقف خلف الفتية، يُراقبها هي وأمبر.

سألت أستريد «هل أصوِّر موقف السيارات؟».

قالت أمبر وهي تنظر إلى الواقفين معقودي الأذرع على الطرف المقابل من الشارع: «كلا. بل صوريهم».

Twitter: @ketab_n

عندمـا باشرت أستريد بتصويرهـم بدأ أحد الفتية يجتاز الشارع، ربما لكـي يمنعها، فوقفت أمبر خلـف أستريد مباشرة ووضعـت يديها على كتفيهـا، لكنَّ الرجـل طلب منه أنْ يعود وولج الرجـل مع الفتية المحل وأغلقوا الباب.

تـوفي في عام ١٦٨١. لمست أستريد القلـب الحارّبالكلمة والأرقام المحفورة عليه.

قالـت همساً لأمبر ذات أمسية لكي لا يتذكّر أحد آلة التصوير «لقد فقدنا الجزء المُصوَّر عندما انكسرت آلة التصوير».

قالت أمبر: «أي جزء؟».

همستْ أستريد: «الجزء الذي يحتوي الأرواح المحلية الراقية».

هزّتْ أستريد كتفيها استخفافاً.

قالت: «هل رغبتِ في مشاهدته من جديد. أنا لم أرغب. إنهم مجرد ثلة من أولاد الحرام القبيحين».

قالت أستريد: «ألا يبرهن هذا على شيء؟».

قالت أمبر: «علام يبرهن؟».

قالت أستريد: «على أننا كنا هناك».

قالت أمبر: «لكننا نعلم أننا كنا هناك».

قالت أستريد: «إنه يبرهن على أننا رأيناهم».

Twitter: @ketab_n

قالـت أستريـد: «لكنهـم يعلمون أننـا رأيناهـم. ونحن نعلـم أننا رأيناهم».

قالت أستريد: «إنه يبرهن على الشيء الذي رأيناه فعلاً».

قالـت أمـبر: «لِمَنْ؟»، وضربت بيدهـا رأس أسـتريـد طق طق، كما تقرع الباب.

قالت أمبر: «من الطارق؟».

إنَّ أمـبر بارعة جداً في طرح الأسئلة وفي إعطاء الأجوبة. وفي ذلك اليـوم في نوريتشـ، بعد أنْ صـوّرت أستريد آلة التصويـر ذات الدائرة المُغلقـة في المحطـة طوال ستين ثانيـة كاملة بآلتها التـي تحسب الزمن، نظرت من العـين ورأتْ، خلف أمبر، أنَّ رجـلاً بقميص قصير الكمّين وربطة عنق خرج من أحد الأبواب من موقع بعيد على الرصيف وراح يُراقبهما.

راقبهمـا عندما ذهبتا لتصوران بآلة التصويـر الأخرى على الطرف المقابـل للمحطة بجوار بائع التجزئة. وفي أثناء قيام أستريد بتصوير الآلة الثالثة، عند مدخل الردهة، كان واقفاً هناك بجوارهما.

قال لأمبر: «أنا مُضطر إلى أنْ أطلب منكِ أنْ توقفي التصوير».

قالت أمبر: «أوقف ماذا؟».

قال الرجل: «توقفي التصوير».

قالت أمبر: «لماذا؟».

Twitter: @ketab_n

قال: «ليس مسموحاً للعامة أنْ يُسجّلوا تفاصيل جهازنا الأمني».

قالت أمبر: «ولِم لا؟».

قال الرجل: «لأسباب تتعلّق بالسلامة والأمان».

قالت أمبر: «لماذا تطلب مني هذا؟».

قال الرجل: «أنا أطلب منك أنْ توقفي التصوير».

قالت أمبر: «ليس ماذا، بل لماذا، لماذا تطلب مني هذا؟ أنا لا أصوِّر أي شيء».

عقد ذراعيه ثم أرخاهما. وضع يديه على وركيه أي أنه كان يزداد غضباً حقاً».

قال: «إذا لم يكن لديك مانع اطلبي من ابنتك الصغيرة أنْ تتوقف عن التصوير».

كان لا يكف عن النظر إلى آلة التصوير فوقهم وكأنه يعلم أنه يُصوَّر.

قالت أمبر: «إنها ليست فتاة صغيرة. وهي ليست ابنتي».

قالت أستريد: «إنها من أجل أبحاثي المحلية والأرشيف».

نظر الرجل إلى أستريد بدهشة تامة، كأنه لا يُصدّق أنَّ أيَّ شخص في الثانية عشرة يمكنه أنْ يتكلّم بلا تركيز سيكون لديه سبب لقول أي شيء بصوت عالٍ.

Twitter: @ketab_n

قالـت: «إنه من أجل مشـروع للمدرسة حـول الأجهزة الأمنية في محطات القطار».

ابتسمت أمبر للرجل.

قال الرجل لأمبر، متجاهلاً أستريد: «أخشى أنكِ، في تصوّري، في حاجة إلى الحصول على تصريح مكتوب من مالكي كل محطة للقيام بمثل هذا».

قالت أمبر: «أنتَ تخشى أم أنكَ تتصوَّر؟».

قال الرجل: «ماذا؟».

بدا محتاراً.

قالت أمبر: «تخشى أم تتصوّر؟».

مرة أخـرى ألقى الرجل نظرة سريعة إلى آلـة التصوير ومسح مؤخر عنقه بيده.

قالـت أمبر «ثـم ألستَ عاجزاً أصـلاً عن التحـدُّث معها، بحيث أنـكَ تُرجِـع كل شـيء إليّ، وكأني سكرتيرتكَ أو مُترجِمـة الإشارات الخرساء الخاصة بك، وكأنها صمّاء أو خرساء؟ إنها قادرة على الكلام. وتسمع».

قال الرجل: «هه؟ انظري».

قالت أمبر: «نحن ننظر فعلاً».

قال الرجل: «اسمعي».

Twitter: @ketab_n

قالت أمبر: «اثبتْ على شيء».

قال الرجل: «لا يمكنكِ أنْ تصوّري هنا. قرار نهائي».

مدّ ذراعيه نحـو أمبر وأبقاهما معقودين. نظـرت أمبر نحو الخلف إلى الرجل. خطتْ خطوة إلى الأمام. خطا الرجل خطوتين إلى الخلف. فبدأتْ أمبر تضحك.

ثـم شبكتْ ذراعها بـذراع أستريد وخرجتا من مدخـل الردهة إلى بلدة نوريتش الصغيرة.

قالت أستريد وهما تخرجان إلى أشعة الشمس أمام المحطة: «أرأيتِ كيف كان ذلك الرجل يتصبب عرقاً تحت ذراعيه؟».

قالت أمبر بشرود: «نعم، يعني. ليس هذا شيئاً مُفاجئاً. إنه يوم شديد الحرارة»، ومدّت خُطاها متقدّمة إلى الأمام على الجسر.

سـارت أستريـد إلى المنزل مـن القرية من جديد وسـط الحرّ القائظ. كانـت تؤرجـح ذراعيها علـى جنبيها أثنـاء سيرها. هكـذا تسير أمبر، وذراعاها تتأرجحان، كأنها تعلم بالضبط إلى أين هي ذاهبة وعلى الرغم مـن أنه بعيد جداً وقد لا تعلم إلى أين أنت ذاهب، إلا أنّ الأمر يستحق، وسيكون شيئاً مذهلاً جداً جداً عندما تصل إلى هناك.

إنه يوم طويل حقاً، ثم تعود أمبر إلى المكان الذي خرجتْ منه.

قالت بينما أستريد تزيـل الأطباق عن مائدة العشاء: «بالمناسبة، أثناء غيابي أعددتُ شيئاً لأجلك».

Twitter: @ketab_n

قالت أستريد: «ما هو؟».

قالت أمبر: «سترين».

أستريـد في سريرها في الغرفة الفظيعة في أشد الليالي قيظاً حتى الآن. اليوم في نشرة الأخبار قيل إنَّ هذا أشد الأيام قيظاً قاطبة، منذ بداية عصر تسجيـل درجات الحرارة. كل شـيء في الغرفة تفوح منه رائحة العفن، والحرارة. إنها توشك أنْ تستغرق في النوم.

تـرى بعين عقلها أمـبر جالسة وحدها في القطـار المتوجه إلى شارع ليفربول تمر بها بسرعة مناظر الريف ثم يصل القطار إلى المحطة وتترجل أمبر وتمر من الباب الدوّار الصغير وتجتاز الباحة وتهبط الدَرَج وتلجأ إلى المصعد الكهربائي وتستقل القطار النفقي وتجلس فيه ومن ثم تترجّل من القطار النفقي من جديد وتسير باقي الطريق على قدميها من محطة القطار مـرورا بمحل بيع المعلبات والمحلات الأخـرى وتجتاز المتنزّه وتسير على الطريق حتى شارع ديفيز المؤدي إلى تقاطع الطرق ومنه إلى خارج منزل والدة لورنا روز. ولكن ماذا لو أنَّ لورنا روز لم تكن هناك؟ ماذا لو أنها كانت في منزل والدها؟ قرعت أمبر الباب ولكن لم يُجِب أحد. وهكذا. وهكذا تذهب إلى منزل زيلدا هاو وترن الجرس فيأتي أحدهم إلى الباب وإذا بها في الحقيقة زيلدا هاو فتصفعها أمبر بقوة على وجهها.

تقول أمبر: «مفاجأة».

ثم قد تذهب أمبر إلى منزل ريبيكا كالو وتطرق بابها فتجيب امرأة،

Twitter: @ketab_n

لعلّها نزيلة أجنبية[٤٤]، وتقول أمبر إنها معلّمة ريبيكا من المدرسة جاءت لأمر ما فتسمح لها الفتاة الأجنبية بالدخول وتريها أرجاء المنزل والحديقة الخلفية الكبيرة حيث تجلس ريبيـكا على الكرسي الهزّاز الأبيض الذين يضعونه في الحديقة ومعها أيضاً فتاة أخرى تقفُ على رأسها على المرج ولا ترى أمبر تدخل وأول شيء تقوم به أمبر أنها تُمسك بساقيها وكأنها تساعدها على الثبات فتقول الفتاة مَنْ أنتِ؟ تسألها أمبر هل أنتِ لورنا؟ فتقـول الفتاة نعم وعندئذٍ تقـول لها أمبر صدّقيني أنـا أسوا كوابيسك أهـلاً بـكِ إلى الجحيم وتُطيـح بساقيهـا فتنقلب وتقع. ثـم تذهب إلى ريبيـكا، التي تشاهد ما يجري فاغرة فمها، وتتمسّك بذراعيّ الكرسي الهزّاز وتدفعـه بقوة نحو الخلف لكـي تقع ريبيكا بعيداً عنه على المرج. ثـم بينما ريبيكا تهرع راكضـة إلى الداخل تنتزع هاتف لورنا المحمول مـن يدها - كانت جالسة علـى العشب تبدو مذهولـة وهي تحاول أنْ تتصـل بأحدهم - وتقـول والآن راقبي هذا بانتبـاه شديد وتضعه على الممـر وتطأه بقوة حتى ينكسر قطعاً. تقول للورنا روز، في المرة القادمة سأفعـل هذا بيدك. ثم تلج المنزل وتكون ريبيـكا كالو في المطبخ تبكي وتكلّـم أحدهم عبر الهاتف وهي في حالـة حقيقية من الخوف والنزيلة الأجنبيـة في الردهة تتكلم عـبر هاتف آخر فتشدّ أمبر ريبيكا من شعرها الطويل مـرة بقوة وتقول: ما رأيكِ في هذا، في هـذه المعاملة؟ والنزيلة الأجنبيـة لا تـزال في الردهة تصرخ بلغتها الكرواتيـة أو كائناً ما كانت وتسير أمـبر حولها على بُعد مسافة بينهما وتخـرج من الباب الأمامي وتصفعه بقوة خلفها.

---

٤٤ - نزيلة أجنبية: المقصود هنا شخص أجنبي ينزل في كنف أسرة يُساعدها في أعمال المنزل وفي الوقت نفسه يتعلّم لغة أجنبية.

Twitter: @ketab_n

ثــم تذهب أمبر إلى مركـز للبحث حيث يمكنك أنْ تعـثر على أناسٍ يُريـد أناسٌ آخـرون أنْ يعرفوا أماكنهـم. تقول للسيـدة الواقفة خلف النضد، أنا في حاجة علـى اقتفاء أثر ومكان - ثم تكتب اسم الشخص على الاستمارة.

تومئ السيـدة الجالسة خلف النضـد برأسها إيجابـاً، وتقول: «لن يستغرق الأمر مدةً طويلة، لأنَّ هذا اسم غير عادي أبداً. هل أستطيع أنْ أسأل إنْ كنتِ إحدى أقاربه؟».

تقـول أمبر: «كلا، لكني هنا بالنيابة عن قريبة له تحتاج إلى أنْ تعرف مكانه حتى تتمكن من الاتّصال به مباشرة».

ثـم قدّمتْ أمبر ورقة نقدية بقيمة مائة جنيه مطوية بأناقة للسيدة عبر النضد كما يحدث في فيلم أو مسلسل.

تقول أمبر: «إنها مسالة عائلية».

تتلفّت السيدة حولها لترى إنْ كان هناك مَنْ شاهد ما حدث.

تقول السيدة: «طبعاً مدام، لن أغيب».

تختفي في الخلفية حيث تحتوي الحواسيب التفاصيل كلها حول كل شخص، مثل موقعه في العالم وعمله هناك.

أستريـد تحلـم بحصان في حقـل. الحقل مملوء بالعشـب الميت، كله مُصفـرّ، وأضلاع الحصان بارزة. خلف الحصان بئر بترول أو ركام من الجيـاد أو السيارات يحترق. السماء مغطّاة بدخان أسود. وطائر لعله لم يعُد موجـوداً يطير ماراً بها. ترى لمعان سواد عينـه أثناء اندفاعه السريع

Twitter: @ketab_n

كالومض. إنه أحد آخر ستين طائر من نوعه في العالم. وأناس يتمددون حول قدميها على العشب المُصفرّ. أذرعهم ورؤوسهم مُضمّدة؛ تعلق على بعضهم قطرات من الماء. يمد طفلٌ صغير يده لها ويقول شيئاً لا تفهمه. تنظر أستريد نحو الأسفل إلى يدها. إنها لا تحمل آلة تصوير.

توشك أنْ تنام في هذا القيظ الشديد لكنها تسمع صوت باب عبر الردهة يُفتَح ويُغلَق، ثم تسمع باب بيتها نفسه يُفتَح ويدخل شخص إلى الغرفة ويُغلق البابِ من جديد.

تتظاهر بالنوم. هناك شخص في الظلام، شخص لا يتحرك لذلك لا يمكن التأكّد من شخصيته، لكنَّ نوعاً مختلفاً من الصمت يرين حتماً على الغرفة.

إنَّ أستريد تعرف الرائحة، إنها نظيفة، كرائحة جلد مدبوغ نظيف تشبه قليلاً رائحة برتقال، وبشرة نظيفة،وبودرة تالك، وربما خشب، ونشارة قلم رصاص، رائحة قلم رصاص بُريَ تواً.

تقفُ فوق السرير فترة طويلة قبل أنْ تتحرّك. يتحرّك السرير عندما تعتليه. تُبقي أستريد عينيها مُغمضتين. تقترب منها، تنزلق نحو ظهر أستريد. تبثّ أنفاساً دافئة في شعر أستريد، داخل رأسها. تُطوّق خصر أستريد بإحدى ذراعيها وتطوّق بالأخرى كتفها من الأمام، وتتنفّس الأنفاس الدافئة نفسها داخل مؤخر عنق أستريد.

تشعر أستريد بعظامها هي من تحت الأنفاس الدافئة، رقيقة، ونظيفة كأنها تضطرم بنارٍ حقيقية. تعتقد أنَّ قلبها قد يحترق ويقفز خارج صدرها أي من فرط السعادة.

Twitter: @ketab_n

منتصف وجبة العشاء والجميع

يُصغون إليها وهي تقول: ***إذا أردتَ أنْ تسـبب مشـاكل لأحد، فليكن أنا.***

ثـم تغمز لـه بعينها، لـه مباشـرة، أمام أمهـا مباشرة، وأمـام مايكل مباشرة، الذي لم ينتبه إلى ما يحدث. يا لها من مشاكل! هاتها! ثم تغمز لـه مباشـرة. يشعر ماغنوس بالاحمـرار يغزو قضيبه الـذي ينتفخ تحت بنطلونـه الجينز، وبقلبـه كأنه حفرة حارة في صـدره، وبرأسه يحترق، وبوجهه، وبإحساس حارق يرتفع على مؤخر عنقه.

بعد برهة تقول أمها «ماغنوس، لقد تعرّضتَ للشمس كثيراً اليوم».

قـال ماغنوس «أه هاه». سمع نفسه يقول هـذا. بدا كطفلٍ أحمق. «لقد أفرطتُ في التعرّض للشمس».

يقـول مايكل وكأنّ ماغنوس قال شيئاً بارعاً جـداً «ها!». وتقول أمـه إنّ لـون بشرته سوف يكتسب ظلاً جميلاً مـن اللون الأسمر غداً. أستريـد لم تقُل أي شيء، ولزمـت الصمت لكي لا تجذب الانتباه إليها. ماغنوس يعرف هذا التكتيك، لقد أخذته منه. انظر إليهم جميعاً. إنهم لا يعلمون أي شيء. وقبل دقيقة كانوا يتناقشون حول شيء لا معنى له،

Twitter: @ketab_n

حــول أستريد التي أضاعت آلة تصوير كلّفت الكثير من المال. لكنّ أمبر ساندتها. هذا من شيم أمبر.

أمبر لا تُصدَّق.

إنه لا يستطيع أنْ ينظر إلى أمبر ولو فعل لازداد احمراره.

بدل ذلك نظر إلى أمه، التي تحكي لأمبر من جديد عن فترة طفولتها. إنَّ أمــه تغرد طوال الأمسية كأحد تلك الطيور الصغيرة التي يحتفظ بها سكان بلدان حوض البحر المتوسط في أقفاص خارج نوافذهم، الطيور المغـرّدة التي تبدأ بالتغريد عندما تصل أشعة الشمس إلى أقفاصها خلال فـترات بعد الظهـيرة أو في أوائل المساء. غنّينا ***«أحـبّ أنْ أقوم بجولة»***، غنينا ***«تشـاجرت قليـلاً مع حماتي»***، ***ودفعتها إلى أركانســو***، ***وهي عجوز ضـئيلة***، ***تحسن السباحة***، ***وخرجت لكي تدفعني إلى الماء. لقد كنا جيلاً من الفتيات مشدوداً إلى هذه الأنماط من التعبير. تارة ترانيم عيد الميلاد المرحة، وطوراً حوريات، ورعيان، وعطلة فلورا، وكنت أتخيّل شخصـاً ما يُنادي علـى فلورا كي تعـدّ حقيبتها من أجل الذهاب لقضـاء العطلة عندما غنينا هذه عط – لة فلورا.***

يقــول مايكل من جديد «هــا!» وكأنَّ كل ما يُقال هو نكتة عظيمة. أمــبر تتكئ على مرفقها على الطاولة. تتثاءب دون أنْ تغطي فمها. أمها = عصفور صغير تبهره أشعة الشمس فينسى أنه داخل قفص.

إنَّ التفكـير في هذا يجعل ماغنوس يشعر بشــيء. الشعور يُعادل ما يُشبه الأسف. ويشعر بهــذا أيضاً، مع أنه لا يعرف السبب، لأنَّ مايكل جالــس وهو ينحني نحو الأمام في مقعده، يُزيل وريقات زهرة السلطة

Twitter: @ketab_n

الصغيرة تلك بعناية شديدة. إنه يشعر بذلك لأنَّ أستريد تجلس بجواره، ضائعة. لكنها ليست ضائعة على الإطلاق - إنها هنا. ثمة خطب بها. ولكن هناك شيئاً مفقوداً. لا يفهمه.

يضع قطعة من الخبز في فمه. يتمنى لو يضع حجراً أو شيئاً ما في فمه، شيئاً ليس فقط يذوب، أو يتغيَّر لأنَّ البشر لديهم عصارات هاضمة تجعل كل شيء يتعفّن، شيئاً يستطيع أنْ يُركّز انتباهه عليه دون أنْ يتغيَّر. لكنَّ الحجر = نادي الحجارة الكريمة= الشعور بالأسف يُقزّمه، يرتفع أعلى منه، يُصبح كبيراً مثل ماذا؟مثل منارة على صخرة ينبعثُ منها ضوء مُبهر ويُسلَّط على كل شخص يجلس حول المائدة. اضطر ماغنوس إلى الإشاحة ببصره بسبب الضوء الساطع.

أمه = مكسورة. ثمة شيء مكسور في طريقة كلامها، في الشكل الذي تميل به نحو الأمام بإشراق شديد على المائدة وهي تقول ***يا لها من ليلة ممتعة، ويا له من نهار جميل، ويا له من عشاء لذيذ***. مايكل = ماذا؟ نظارته منحرفة. جسمه يشكِّل زاوية خرقاء. يبدو عتيق الطراز؟ يبدو أشبه بنموذج طائرة دمية جمَّع قِطَعَها صبي من دون تركيز، فوضع الجناح منحرفاً قليلاً، والدولاب ألصِقَ خارج موقعه بالنسبة للقطع الأخرى؛ عليها كتل كبيرة لا شكل لها من الغراء وكلها في الأماكن الخطأ.

ينظر ماغنوس إلى أستريد.

تبادله النظر، في عينيه مباشرة.

تقول «ماذا؟».

Twitter: @ketab_n

قـال ماغنوس في نفسه، إنَّ أستريد لم تنكسر تماماً بعد. ولكن إذا كان في استطاعـة نافـذة أنْ ترمي نفسها بحجر قرميـد لتختبر نفسها فهذا ما ستفعلـه هي، سوف تحطِّم نفسها، ثـم ستختبر نفسها لترى مدى حِدّتها باستخـدام قِطعها المكسورة على نفسهـا. إنَّ الجالسين حول هذه المائدة كلهـم قِطع مكسوزة غير متناسقة معاً، قطـع غير مترابطة، وكأنها تنتمي إلى ألعـاب مختلفة من القِطع المُجمّعة، خلطتها معاً عاملة في محل للأعمال الخيرية أو كائناً ما كان المكان لم تولها الكثير من الاهتمـام داخل الصندوق الذي ستموت فيه تلك القِطع. الفرق هو أنَّ القِطع المُجمَّعة لا تموت.

بدأت بطن ماغنوس تؤلمه حقاً.

أستريد لا تزال تقول، وهي ترسم على وجهه تكشيراً، «ماذا؟ ماذا؟ ماذا؟ ماذا؟ ماذا؟ ماذا؟ ماذا؟ ماذا؟ ماذا؟ ماذا؟ ماذا؟ ماذا؟ ماذا؟».

تقول إيف: «استريد».

تقول أستريد «ماذا؟».

تضحك أمبر. وتضحك إيف أيضاً. تقول: «كفى».

تقول أستريد: «كفى ماذا؟».

الجميع يضحكون ما عدا أستريد.

تقول أستريد: «في الواقع أنا لم أفعل أي شيء، إنْ كان هناك حقاً مَنْ يأبه. هو الذي كان ينظر إلى مضحكاً».

تقول إيف: «يُقال بطريقة مضحكة، يا أستريد».

Twitter: @ketab_n

تقول أستريد: «ماذا؟».

تقول إيف: «ينظر إليّ بطريقة مُضحكة».

تقول أستريد: «ليس *أنا*، هو الذي كان ينظر *إليّ*».

تقول إيف «كلا، ليس *إليّ*، أعني الطريقة التي قلتِها بها. أنتِ قلتِ: ينظر إليّ مضحكاً. وكان ينبغي أنْ تقولي: ينظر إليّ بطريقة مُضحكة. اسألي مايكل».

تضع أمبر راحة يدها على قمة رأس أستريد، وترفعها من جديد. تغوص أستريد داخل مقعدها، وتُدير عينيها داخل مِحجريهما، وتتنهّد. إنَّ أمبر هي التي تجعل الأشياء على ما يُرام. ويقول ماغنوس لنفسه، إذا كانت أمبر أيضاً قطعة من لعبة القطع المُجمّعة، فهي عدد من القطع من سماء زرقاء لا تزال متصلة. ولعلها سماء كاملة متماسكة باقية.

يقول مايكل فجأةً كمجنون، وهو يرفع بصره عن الزهرة إلى طرف إصبعه: «هذا مُصطلح». يهزّ كتفيه. يقول «عليّة». يهزّ كتفيه من جديد. ترسم أمبر ابتسامة على جانب فمها لماغنوس عبر المائدة بحيث لا يسعه إلا أنْ يفكّر في فمها المفترّ يتحرّك هناك فوقه بجوار عينيه، ثم فمه هو، المفتوح، في ذهولٍ تامّ مما يفعله باقي جسمه، وهو ينفثُ حرارة نحوها.

تقول أمبر عبر المائدة (أمام الجميع): «أنت شديد الهدوء، أيها القديس. فيمَ تفكّر؟».

يقول ماغنوس: «لا شيء».

Twitter: @ketab_n

تقول أمبر: «وما رأيكَ فيه؟».

يقول ماغنوس: «في ماذا؟».

تقول أمبر: «في لا شيء».

يضحك الجميع.

يقول ماغنوس: «كلا، كنتُ أفكّر، ممم، في المنارة. إذا شئتِ، مثلاً. كنتُ أحاول أنْ أحسب، أنْ أقيس كامل المنطقة الداخلية بالأمتار المُكعّبة وهذا صعب بسبب تغيُّر حجمها مع التوغُّل فيها، أه، أعني التوغُّل عالياً داخلها».

تقول أستريد: «إنَّ احمرار ماغنوس يزداد أكثر فأكثر».

تقول أمها وهي تهزّ رأسها: «يا الله، نعم، يا عزيزي. أهو مؤلم؟ اهرعي إلى الطابق العلوي، يا أستريد، واحضري الكريم الواقي من الشمس. إنه في حقيبة الصابون».

يقول ماغنوس: «كلا، أنا بخير».

تقول إيف: «أرى أنْ تستخدمه حتماً هذه الليلة».

يقول ماغنوس: «أنا على ما يُرام».

تقول: «يبدو متقرحاً جداً. ألم تكن تستعمل أي واقٍ؟».

تنظر أمبر مباشرةً إلى ماغنوس، وترفع أحد حاجبيها. تضحك بصوت مرتفع. لا يسع ماغنوس إلا أنْ يضحك. هو أيضاً يضحك.

Twitter: @ketab_n

أمــام الجميع، ولا زال لا أحد يفهم ما يجـري، لا أحد يعلم، بل لم يبدأ أحد بالفهم. ومع ذلك أخذوا جميعاً يضحكون في كل الأحوال. إنهم يضحكون كعائلة تضحك معاً على شيء ما.

أمبر = ماذا؟

نظريـة منحنى جوردان. تقول إنَّ كل منحنى بسيط ومُغلَق له داخل وأيضاً خارج. ثديا أمبر العاريان المتدليان فوق رأسه كانا منحنيين مثاليين ككأسـيّ زهر. إنها كرسي زهرة. داخلها فضـاءٌ منحن. الوقت هو بعد العصر. خـرج من غرفته. كانـت أمبر تُصفِّر، واقفة علـى مسطبة درج الطابق العِلوي تنظر إلى السقف كأنها خبيرة منازل في برنامج تلفزيوني.

قالت: «انتظر هنا. لا تبتعد».

أحضرت عصا من الحديقة لكي تدفع بها باب العلّية الصغير وتفتحه. ساعدته على الارتقاء إلى العلية. ثم ارتقت الدرابزين لكي تدخل بعده. مال نحو الخارج وساعدها على الصعود. الأرض هناك عبارة عن ألواح عارية من الخشب، غير صقيلة. وهناك كوة منور صغيرة محجوبة بقذارة قديمة. يوجد الكثـير الأغراض داخل صناديق، والكثير من الغبار. الجو أشدّ حـرارة حتى من باقي المنـزل. مسحت أمبر يديهـا على بنطلونها القصـير، وجلست القرفصاء على الأرض برهــة، ونظرتْ إليه مباشرة. قالــت: «ما رأيك في هذا المكان؟». لم يفهم مــاذا تعني. و لم يعلم بماذا يُجيــب. وبينما يُحاول الخروج بشيء ما انسلّت خارجة من باب العليّة الصغير من جديد.

لاحــظ كيف غاص قلبه. لقد جعله ذهابها يشعر بأنه ارتكب خطأً.

Twitter: @ketab_n

لكنهـا عادت فوراً إلى أسفل العليّـة مع ملاءة أو غطاء من إحدى غرف النوم.

كانت مُناسبـة لشخص كبير في السن. ومـن جديد وقفت متوازنة علـى الدرابزين، ومدتْ يدها لتُمسك بيده. رفعت نفسها نحو الأعلى وهي حافيـة بعيداً عن الجدار. أنزلت غطاء البـاب على العلية بقدمها. استقامت في وقفتها. تلفّتت حولها، ولا تزال ممسكة بيده.

قالت: «هذا سيفي بالغرض».

قال: «الدنيا ظلام».

أفلتـتْ يده. لكنها بعد ذلك نزعت قميصهـا الرياضي. كانت ذؤابتا حلمتـيّ ثدييها مُستديرتـين وبيضاوين. ثـم خلعت بنطلونهـا القصير. مُسلّمـة موازية. عنصر مجهول لا يمكن حسابه. أمسكتْ بيده من جديد. وضعتها على فخذها، ثم سحبتها إلى موقع أعلى قليلاً من فخذها. نقطة التماس. حلّتْ حزامه. فقفز إلى الخارج، وشكّلَ انحناءً على شكل قطع مُكافئ (على وجه التقريب y = x مربّع). عصرته. قذف، كأنما من نقطة.

ثم قالت: «استلقِ هنا».

المُضاعَف = المجموع.

المجموع = يتألّف من أجزاء تؤلِّف الكلّ.

اللا نهاية = اللا توقُّف.

سلسلـة تتكرّر على فترات منتظَمة، مـرة، ثم أُخرى، ثم أخرى، ثم أخرى = دوريّة.

Twitter: @ketab_n

نقطـة التقاطُع. جعلتـه يستلقي على ظهره، كانـت عمودية، قائمة الزاوية. أضافت نفسها إليه.

خلال برهة مُحدَّدة من الزمن اتّسمَ الخط الممتد من عينيّ أمبر إلى عينيه بأشدّ درجة ميل جمالاً لا يُصدَّق في العالم.

كان داخلهـا أشبه بولوج تجويف قفاز الملاكمـة، أو بغرفة مصنوعة من وسائد، أو أجنحة. انفجر ماغنوس إلى بليون ريشة بيضاء صغيرة.

رائحة عليّة الصيف الحـارة، رائحتهما معاً، التصقت بعرقٍ مذهل. ميلهـا عليه بعد ذلك، وهـي تضحك في أُذنه. ميـل جسمها كله وهي تسـير، وهي تتكلّـم، وهي تجلس ولا تقـول أي شيء علـى الإطلاق، تبتســم له عبر المائدة أثناء تناول العشاء ولا أحد غيرهما يعلم. منحنياتها المُعجزة الخفيّة.

أمبر = ملاك.

مارســا الجنس في العليّة ثلاث مــراتٍ أُخر. مرتان عندما كان المنزل مزدحماً بالناس مارسا جنساً سريعاً (مؤلماً جداً) في الحديقة خلف سياج الشجـيرات الكثيفة. ومرة جـاءت أمبر إلى غرفة نـوم ماغنوس بعد أنْ أوى الجميع إلى أسرّتهم. هذه كانت إحدى أفضل المرّات.

شيء لا يُصدَّق.

ليسـ مُفاجئـاً مدى رطوبتـه. لم يكـن ماغنوس يعلم. وهـو أيضاً دائمـاً لا يُفاجأ، مهما شاهده، وعند أمبر عليـه شعر، هكذا، هناك في الأسفل. ببساطة لم يخطر في باله أنّه موجود عند النساء. الأمر واضحٌ

Twitter: @ketab_n

طبعـاً عندما تفكِر فيه. طبعاً لديهنّ. من المفترضـ أنهنّ يُزلنه بمنتجات مُزيلـة للشعـر قبل أنْ يفتحن خـط الإنترنت أو يتصـوّرن صوراً أو في فيلم فيديـو. أو ربما، كالشبان، كالرجال، موجـود عند بعض النساء، وبعضهـن ليس عندهـن منه. ربما موجود عند النسـاء الأكبر سناً. نظر إلى أمـه وهي تمشي عـبر الحديقة. وتساءل إنْ كانـت تزيله، أو إنْ كان ليس لديهـا منه أي شيء، أو إنْ كان لديها الكثـير. وتساءل عن البقعة التي يكسوها بالسنتيمتر المربع. ثم كان لابد أنْ يطرف بعينيه كثيراً، إنه يعجز عن التفكير بصورة سويّة.

أعلنـت أمبر لإيف «سوف أصطحب القديس ماغنوس في نزهة إلى القريـة. سوف نغيب نحو الساعة، وهي مدة كافية بالنسبة إليّ لأغتصبه جنسياً ثم أُعيده سالماً، هل لديك اعتراض؟».

يشعـر ماغنوس بالألـوان كلها تتسرب منـه. وعندمـا يتمكن من استعـادة سمعه سوف يسمع إيف، وأستريـد أيضاً، تضحكان وكأنهما تعتقدان أنها نكتة مضحكة جداً.

تقول أمبر: «سوف نكون متكتّمين، لن نُثير فزع أهل القرية الطيبين، ليس هذه المرة على أي حال، أليس كذلك؟».

غمغمَ ماغنوس وهو مُطرِقٌ عينيه نحو الأرض.

تقول أستريد: «هل أستطيع أنْ آتي؟».

تقول أمبر: «كلا. ولكن إذا أحسنت السلوك اليوم سوف أصطحبكِ غداً لنسرق من المحال التجارية».

Twitter: @ketab_n

تقول إيف دون أنْ تنظر إليهما وهما يُغادران: «اقضيا وقتاً ممتعاً. لا تبتعدا كثيراً».

يقول ماغنوس في نفسه: أمبر = عبقرية. أمبر = عبقرية مربّعة بسبب تفكيرهـا في العثور على رجل لديه مفتاح يفتح بـاب الكنيسة التي في وسط القرية. في المرة التالية التي تذهب إلى لندن تحصل على نسخة من المفتاح. هذه عبقرية أُس ثلاثة.

بعد ظهيرة أحد الأيام في الكنيسة قال لأمبر «لماذا تحملين دائماً ساعة يـد متوقفة». كانت أمـبر، الراكعة على الأرض بـين ساقيه، قد انتهت تـواً من تناول رأسـ عضوه في فمها، تداعبه لينتصـب من جديد. أثناء ذلـك رأى ومض ذراعها الـذي يحمل ساعة اليد التـي دائماً تُشير إلى الساعـة السابعة مهمـا كان الوقت الفعلي. مثـلاً، إنَّ الساعة الآن هي حوالي الخامسة.

تميـل أمبر نحو الخلـف وتستند إلى مقعد الكنيسة، ثـم ترفع شعرها بيدها عن وجهها نحو الخلف.

تقول: «لأني في حاجة إلى أنْ أراقب مرور الوقت».

يقول ماغنوس: «نعم، ولكنها دائماً تُشير إلى الوقت الخطأ».

تقول أمبر: «هذا ما تظن أنت».

تمد يدها التي تحمل ساعة اليد إلى أسفل. ما فعلتْ بعد ذلك يُزيل من ذهنه كل تفكير في الوقت.

Twitter: @ketab_n

لا قيمة للزمن في وقت كذاك.

بعـد ذلك يجلسان على عشب القريـة الأخضر، على مقعد القرية. يمر بهما الناس. تُحييهم أمبر كلهم. ويردون لها التحية وكأنهم يعرفونها. كلهم يبتسمون. إنهم أهل القريـة. ماغنوس لا يُخبر أمبر أنهم يُسمونهم هكذا. ولسبب ما لا تتكلّم إيف بفظاظة عن القرية، ولا مايكل، أمام أمبر.

تقول أمـبر أثناء مرور راكبَـين على الدراجة: «انظـر كم هو طويل ظلّهما»، وتلـوِّح بيدها لهما. ويلوحان لها بدورهما. يُراقب ماغنوس الظلاّن يُلوحان بذراعيهما بزاويتهما الغريبة على سطح الطريق.

يقول: «ما الناس إلا ظلال».

تقول أمبر: «أنت تعلم انكَ لا تنيك ظلاً. أو إذا فعلتَ فإنَّ هذا الظل يُحب ذلك كثيراً، حتى وإنْ كان هذا ما اتألّف منه، مجرد ظل».

شعـر بالحرَج لاعتقاده أنه أهانها. لكنهـا لم تبدُ أنها شعرت بالحرَج أبداً. بدل ذلك، وكما هو الحال مع أمبر، كانت طريقة مذهلة في النظر على الأشياء من زاوية مختلفة. لقد جعلته يشعر بشجاعة عابرة.

يقـول: «الظلام يزداد حلكة عندما يكون هناك ضوء. أعني، عندما ليس من المُفترَض أنْ يكون ظلاماً».

تقول أمبر: «أحقاً ؟».

تفكّر فيما قال.

تقـول: «إنَّه إلحاح الرؤية. يبـدو أنكَ شاهدتَ شيئـاً شديد السواد

Twitter: @ketab_n

أصبـح يلحّ في التأثير على رؤيتك على الرغم مـن أنكَ لم تعد تنظر إليه مباشرةً».

يقول ماغنوس: «ولكن كيف؟».

تقـول: «تماماً كما لو أنكَ رأيتَ شيئاً شديد البريق. يا إلهي كم أنتَ غبيّ بالنسبة إلى شخص من المفترَض أنّه شديد الذكاء».

ينهض ماغنوس واقفاً (الوضع = ضوء مُحتمَل بالإضافة إلى ظلام مُحتمل). تمر سيدة عجوز.

تقول أمبر: «كيف حالكِ اليوم؟ الجو حار أليس كذلك؟».

تقول السيدة العجوز: «أوه إنه حار حقاً. لقد ماتت عشبة الراوند. والكـراث مات. وإبـرة الراعي ماتـت. والمرج كله مـات. والحرّ هو السبب. أنـتِ فتاة طيبة، أنتِ، ألستِ أنتِ التي تترددين على الكنيسة، يوماً بعد يوم، وهو أيضاً، دائماً معك. ما أروع رؤيتكما».

تقـول أمبر: «أه، لستُ أنـا، بل هو الذي يدفعنـي إلى الذهاب. إنه قديس، في الحقيقة».

تقـول السيدة العجوز لماغنوس «أنت فتى طيب، أنت كذلك فعلاً. ليـس هناك فتية كثيرون يترددون علـى الكنيسة مثلك هكذا في أوقات عطلهم وأوقات فراغهم. سوف تكون زوجاً طيباً ذات يوم».

تسأل أمبر: «أين زوجكِ أنتِ اليوم إذن؟».

تقـول السيدة العجـوز: «أوه، نعم، زوجي، إنه متـوفي يا حبيبتي.

Twitter: @ketab_n

كان لدي واحد، احتفظتُ به ستة وسبعين عاماً، وقد كان طيباً في أثناء وجوده هنا، لكنه ميت الآن».

تنتظر أمبر حتى تبتعد العجوز على الطريق ثم تلتفت إلى ماغنوس.

تقول له همساً: «إنَّ الحر هو الذي فعل ذلك».

أمبر = ملاك، وإنْ كان ربما ليس بالضبط كما اعتقد ماغنوس للوهلة الأولى عندما رآها مُشرقة في تلك المرة الأولى في الحمّام عندما كان يقفُ على جانب المغطس.

أمسكت به عندما نزل. تفحّصته. أجلسته على حافة المغطس. ورفعت بصرها إلى الكُمّ المتدلّي فوقهما من القميص المربوط حول العارضة. ثم فكّتْ أزرار بنطلونها القصير. وجلست على كرسي المرحاض. كانت تتبوّل. هل تتبوّل الملائكة؟ أشاح ببصره، وأغمض عينيه. كان الضجيج عالياً. عندما فتح عينيه من جديد كانت تُثبّت أزرار البنطلون.

تقول: «أنت مؤدب جداً».

ضغطت على مقبض دفق الماء.

تقول: «يمكن أنْ تفعلها في المغطس، كما تعلم».

فتحت الحنفيات. تدفقت المياه من الدش.

قالت: «انهَضْ».

أخذتْ تحلّ أزرار بنطلونه الجينز.

Twitter: @ketab_n

قالت: «أين كنت؟ في النهر؟».

كانت تعرف كل شيء. أدار ظهره لها. أنزل بنطلونه الجينز إلى أسفل ساقيه. خرج منه إلى الأرض. عندما جلس في المغطس فعل ذلك وظهره إليها. مدّتْ يدها وأنزلت الدش. أخذتْ تغسله. ثم رغت الصابون على ظهره، ثم على صدره، وعنقه، ثم أنزلت يدها إلى تحت، ودلّكت حول خصيتيه بالصابون، وحول قضيبه. شعر بالخجل من نفسه، عندما فعلت ذلك.

وجّهت الدش عليه، وأزالت الصابون عنه بماء أكثر دفئاً. ثم وضعت الصابون على شعره، وشطفته. وأغلقت الحنفيات. نهضَ واقفاً. كان يرتعش. حملت المنشفة. بينما كان يُجفف نفسه وظهره نحوها وقفت على طرف المغطس، ومدت يدها إلى أعلى وفكّت عقدة القميص عن العارضة. قفزتْ إلى الأرض. كانت خفيفة جداً على قدميها. وضعت القميص على أنفها ثم عصرته بيديها، وطوته داخل بنطلون الجينز وجعلتهما صرّة واحدة رطبة وضعتها بين ذراعيه.

تقول: «ربما عليك أنْ ترتدي ملابس أكثر نظافة».

كانت جالسة على الدرجة العليا تنتظره عندما فتح باب غرفته من جديد، وقد أصبح نظيفاً الآن، ويرتدي ملابس نظيفة، ليرى إنْ كانت لا تزال موجودة هناك أم أنها، كما شكّ، كانت من اختراعه.

الأخبار تعجّ بأنباء أبناء صدّام الموتى. الأميركيون قتلوهم أثناء تبادل لإطلاق النار قبل يومين. والتلفاز يعرض صورهم من جديد، تلك التي أُخِذَت لهم بعد أنْ قُتِلوا. ثم يُبيِّن الصور التي التقطها الأميركيون لهم بعد أنْ حلقوا لهم شعورهم لجعلهم يبدون كما ينبغي أنْ يبدوا، كما

Twitter: @ketab_n

بدوا عندما كان يمكن تمييز قسماتهـم. والصور التي التُقِطَتْ بعد ذلك تبرهن على أنهم بوضوح أبناؤه.

يقـول التلفاز إنَّ هذه نقطة تحوُّل قصمت ظهر الحرب، التي ستنتهي في غضون أسابيع.

نظر ماغنوس إلى صور وجوه الموتى على الشاشة. لقد كانوا طُغاة = مارسـوا أنواع التعذيب كافة، والاغتصاب، والقتل المُنظَّم والعشوائي. إنَّ الكائن البشري النموذجي يحتوي ما يُقارب المائة مليار خلية عصبية. الكائـن البشري = خلية تنقسم إلى اثنتين ثم أربع ثم إلى آخره. إنَّ الأمر كله مسألة تضاعُف أو انقسام.

الذيـن يظهـرون على شاشـة التلفـاز لا يكفّون عن الـكلام. وبعد الكلام عن الموتى هناك كلام عن شعبية الحكومة من خلال استفتاء محطة التلفاز الذي تُجريه عبر الهاتف، ثم تقرير عن التطابُق السياسي الحالي في وسط إنكلترا، والتبدُّل المفاجئ للدعم بعد عمليات القتل. إنهم يُرددون كلمة وسط كثيراً. الدعم في صفوف الطبقة الوسطى. لا وجود لأرضية وسطـى. والآن ننتقـل إلى الأخبار الأخرى: المزيـد من الاضطراب في الشرق الأوسط. يُفكّر ماغانوس في وسط أمبر، خصرها، بطنها، وكيف تفعلها وتفوح منها روائح كشمعٍ يذوب ليغدو ثمرة ساخنة، وكيف أنَّ القبلات طعمها يشبه مَرْبى الماء(٤٥).

تقول المرأة التي تظهر في التلفاز، إذن إنَّ كل مَنْ يُلِمّ بحقبة الستينيات

---

٤٥ – المقصـود به هنا حوض المـاء الكبير الذي تُعرض فيه أسماك ونباتات ومخلوقات بحرية أخرى. – المترجم.

Twitter: @ketab_n

المرحة يسعده أنْ يؤكّد لك أنّه لا زال في استطاعتك أنْ تكوني أنيقة ضمن حقبتك الخاصة بالستينيات لأنَّ ما تعوّدنا على اعتباره منتصف العمر أصبح اليوم فترة شباب غير مُحدَّدة!

تظهر صورة لميك جاغر على شاشة التلفاز. يقول التعليق، إنها فترة الستينيات المرحة.

يتقلّب ماغنوس بقلق على الأريكة. ينهض واقفاً، ويضغط جهاز التحكم عن بُعد. التلفاز مُطيع، ينطفئ. لكنَّ الغرفة تستمر وحدها في إصدار نبض من حوله. يمشي حتى القرية. وعندما يصل إلى هناك يدور حولها كلها سيراً على القدمين ليرى كم يستغرق منه ذلك من الوقت.

استغرقَ أربع عشرة دقيقة.

ثم دار حول الكنيسة الموصدة.

المحل التجاري الصغير ومكتب البريد مُغلقان. أبوابهما مُقفلة.

في طريق عودته إلى المنزل يتوقف خارج مبنى طويل. ينتابه شعور بأنه كان هناك من قبل. ثم يتذكّر بوضوح: إنه يتكئ على الجدار؛ يحاول أنْ يتقيّأ؛ ثمة رجل يخرج منه؛ إنه غاضب؛ إنه يصرخ فيه، ويساعده على الوقوف على قدميه بخشونة؛ هناك أناسٌ يُراقبونه من خلال نافذة.

يخطو ماغنوس متجاوزاً الجدار المنخفض المُحيط بالمبنى ليدخل إلى موقف للسيارات فارغ. يرى من خلال الواجهة أنَّ المبنى هو صالة قديمة الطراز للعبة البينغو. إنه أحد أضخم الأبنية في القرية وهو ليس منزلاً. لا بد من أنه كان على قدرٍ من الأهمية في حياة القرية في وقتٍ من الأوقات، على الرغم من أنه يبدو الآن خرِباً تماماً.

Twitter: @ketab_n

هنـاك دهّانان يُزينـان خارجه. إنهما يجعلانه أكـثر بياضاً. ورائحة الدهـان تفوح قوية، وبعدها رائحة طعـام. يبدو أنَّ المبنى هو مطعم من نـوعٍ ما. لا عجـبَ أنَّ الرجل الذي خرج منه صـرخ في وجهه، بما أنه كان يتقيّأ خارج المطعم أمام الزبائن الذين يتناولون طعامهم.

إنَّ ماغنوس يتذكّر نفسه في تلك الليلة، فتى مُحطماً على الأرض.

أمـه، مُحطّمة، ومايكل، مُحطَّم. والد ماغنوس، والده الحقيقي، مُحطّم إلى درجة أنه أصبح قطعة من شكل الأشياء التي، إذا افترضنا أنه عبر من أمـام ماغنوس، ابنه، وهـو جالس في ملجأ هذه القريـة الشبيهة بحافلة صدئة، لما تعرَّفَ عليـه ماغنوس. ولما تعرَّفَ هو على ماغنوس. الجميع مُحطَّمـون. الرجل الذي يمتلك المطعم مُحطّـم. ماغنوس يتذكَّر صراخه. هذان الدهّانان مُحطّمان، لكنَّ هـذا ليس واضحاً دائماً من مجرّد النظر. لابد أنهما كذلك، بمـا أنَّ ماغنوس يعرف كل شخص في العالم أجمع. الناس الذيـن يتكلمـون على ملايـين أجهـزة التلفاز في العـالم كلهم مُحطّمون، على الرغم من أنهم يبدون كلاً كاملاً. والطغاة مُحطّمون مثل الأشخاص الذين حطّموهم. الأشخاص الذيـن قُتِلوا رمياً بالرصاص، أو بالقنابـل أو أُحرِقوا مُحطّمون. الأشخاص الذين يُطلقون الرصاص أو القنابـل أو يحرقون مُحطَّمون أيضاً. وكل تلـك الفتيات اللواتي يظهرن على الشبكة العالمية الشاملة يتحطّمن باستمرار داخل غرفٍ تبدو عادية على شبكة الإنترنت. وكل أولئك الذين يتصلون بهنّ هاتفياً لكي يُلقوا نظرة عليهـنّ مُحطّمون أيضـاً. لا يهمّ. إنَّ كل الذيـن يعرفون في العالم، وكل الذيـن لا يعرفون في العالم. كل هذا هو أنواع مختلفة من التحطُّم، المعرفة، واللا معرفة.

Twitter: @ketab_n

أمبر مُحطَّمة، قطعة جميلة من شيءٍ يتلألأ مأخوذ من قاع البحر، وجُرِفَ بشكلٍ مُعجِز على الشاطئ نفسه الذي تصادف أنْ كان ماغنوس يقف عليه.

تمرّ امرأة تقود سيارة بماغنوس. تنظر إليه. مذهلٌ كم من امرأة عجوز تنجذب إليه. ينتابه إحساس عابر بالفخر لأنه يعرف ماذا عليه أنْ يفعل، لأنَّ أمبر علّمته كيف يفعل.

لكنه بعد ذلك أدرك أنَّها ليست إلا الخادم التي تنظّف منزلهم الصيفي. كانت تنظر إليه لأنها تعرّفت عليه.

لقد رآها واقفة ترش الخشب بمواد كيميائية، وتدعك طاولة المائدة بممسحة مُضمّخة برائحة الليمون يمكن رميها.

قال ماغنوس لأمبر في تلك الأمسية التي كانا خلالها في الكنيسة: «لقد حطّمتُ أحدهم».

قالت: «ثم؟ وبعد ذلك؟».

قالتها برفق. وأخذت تحلّ أزراره.

ثم.

كانت أمسية أخرى. كانت الظلال في الخارج قد استطالتْ. الجميع في غرفة الاستراحة. أمبر تفعل شيئاً لركبة أمه. الأم تزوِّد أمبر بمعلومات عن الرسام الفرنسي الانطباعي إدغار دوغا. ماغنوس يتساءل؛ لماذا أمه في حاجة إلى تزوِّيد أمبر بمعلومات، كأنها تجهلها، كأنَّ أمبر غبية أو غير

Twitter: @ketab_n

مُثقّفة. ومايكل يفعل الشيء نفسه، دائماً يُلقي على مسمعها مقتطفات كأنَّ ذلك يُنوّرها. إنَّ أمبر تعرف كل شيء حول كل شيء تقريباً. ولا تجهل إلا القليل. لقد انخرط هو وأمبر في نقاشات حول الضوء وكيف أنه جزئياً ذرات، وجزئياً أمواج، وكيف أنْ الزمن ينحني، ويزيد من سرعته بحيث أنَّ الدقائق الفعلية مع ذلك أقصر مع أننا لا نلاحظ هذا لأننا لا نعرف حتى الآن كيف نفعل. وأمبر تعلم كل شيء عن المصريين، والمينويين، والإتروريين، والأزتك. ولديها معلومات عن إلكترونيك السيارات، والإشعاع الشمسي، ودورة أكسيد الكربون، وأشياء في الفلسفة. وهي خبيرة في تلك الدبابير التي تصيب حشرات أخرى بالشلل وذلك لكي يتغذّى على طعامها حيٌّ آخر. ولديها معرفة بالفن، والكتب، والسينما الأجنبية. وبعد ظهيرة أحد الأيام ونحن في العليّة تكلّمت مطوّلاً عن كاتب مسرحيّ أيرلنديّ كان يُصغي إلى الشقوق في أرضية الغرفة التي كان يؤجّرها، ليُستمع إلى الجالسين في مطبخ المنزل الذي يُقيم فيه، لكي يُضمّن مسرحياته نوع الأحاديث التي يتبادلونها.

حالياً أمبر راكعة على الأرض أمام والدته بينما والدته تُعبّر لأمبر، لكنها في الواقع تخاطب مَنْ في الغرفة جميعاً، وكأنَّ الموجودين في المكان لم يسمعوا بالحركة الانطباعية الفرنسية، عن مدى جمال تماثيل الأحصنة لدوغا، وكيف تدبّ الحياة في راقصات دوغا. إنها تشرح أنه عندما توفي دوغا ترك تعليمات حول تماثيله - التي كانت في الغالب مصنوعة من الغضار ولكنها أيضاً في بعض الأحيان من شُعيرات فراشي الرسم، وحتى من شحم مطبخ دوغا - يمنع فيها منعاً باتاً، وبأي حالٍ من الأحوال، أنْ تُصبّ في قوالب من البرونز. لقد أرادها أنْ تتعفّن وتبلى. أراد لها، كما تقول أمه، أنْ تمرّ بدورة الحياة. ولكن بعد وفاة

Twitter: @ketab_n

دوغـا تجاهل وكيل أعماله تعليماته، وصبّهـا في قوالـب من البرونز. إنَّ أمـه تحـاول أنْ تُغذّي النقاش حول مـا إذا كان هذا صوابـاً من الناحية الأخلاقيـة أم خطأً. في تلك الأثناء كانت أمـبر تدلّك ركبة أمه بلطف، بدوائر باتجاه حركة عقارب الساعة.

٣٦٠ درجـة هـي مجموع عدد الدرجـات في الـدورة الفلكيّة لأنَّ الرعيـان، الذين هم أول فلكيـين، كانوا يؤمنون بأنَّ مجمـوع أيام العام الكامل هو ٣٦٠ يوماً.

وإلا، كمـا قالت أمه، باختصـار، ما كنا حصلنا عليهـا. كان العا لم سيخسـر فنـاً عظيماً لو أنَّ وكيـل أعماله لم يكن جشعـاً بالقدر الكافي ليفعل ذلك.

ماغنوس يُراقبُ يد أمبر. ٣٦٠. ٣٦٠. ٣٦٠.

قضيبه ينتفض.

توقفت عن القيـام بالحركة الدائرية. بدأتْ بالضغط على أماكن تقع تحت رَضَفة(٤٦) أمه.

قالت «هل شعرتِ بأي تحسُّن؟».

أومأتْ أمه رأسها إيجاباً بارتياب.

دون مقدّمـات يغمر ماغنوس شعور بحـب أمه، وأخته التي تراقب ناعسـة من موقعها على الأريكة، ومايـكل الجالس على الطاولة يُصدِرُ

---

٤٦ – رضفة الركبة: هي الجزء المتحرك من رأس الركبة. – المترجم.

Twitter: @ketab_n

حفيفاً بالورقة. بل إنه يشعر بحبٍ لمايكل. لا غبار على مايكل. وفي اللحظة ذاتها يفهم أنه إذا ما جهر بأنه يشعر بأي شيء مهما كان، فسوف تتطاير الأشياء، وتتفكّك الغرفة بأكملها، وكأنها انفجرت.

هناك أشياء لا يمكن البوح بها لأنَّ معرفتها أمر مؤلم. وهناك أشياء لا تستطيع أنْ تهرب منها بعد أنْ تعرفها. إنَّ معرفة أي شيء أمرٌ مُعقّد. كأنَّ أمه مسّتها الأمور القذرة التي حدثت للناس؛ في كل تلك الكتب التي تحكي عن المِحرقة وجمعتها فوق بعضها في غرفة مكتبها في المنزل. لأنه هل تستطيع أنْ تعود إلى راحة بالك السابقة؟هل تستطيع أنْ تعود إلى ما قبل المعرفة من جديد؟

مثلاً. هل أمه بريئة لأنها لا تعرف ما يفعل مع أمبر بعد ظهيرة كل يوم في الكنيسة؟ هل أستريد بريئة للسبب نفسه؟ هل مايكل كذلك؟ أي نوع من البراءة هذه؟ أهي جيدة؟ أهذه هي البراءة، مجرد عدم معرفة الأشياء؟ فلنأخذ مِثالاً متطرفاً. هل هي براءة، كما في حالة الطيبة أو كائناً ما كانت، ألاّ تعرف ببساطة بأمر كل أولئك الناس في المِحرقة؟ أم أنها مجرد سذاجة، غباء؟ وأي نفع في ذلك النوع من البراءة أصلاً ؟

يبدو لماغنوس أنه لا فائدة على الإطلاق، إلا إذا رغب أحد في أنْ يشعر بأنه أقوى من أي شخص آخر لأنَّ أحد الأشخاص يعرف شيئاً لا يعرفه الآخر.

هل يمكن العودة إلى البراءة من جديد؟ ذلك أنَّه وهو مع أمبر في العليّة، أو تحت سقف الكنيسة الخشبي القديم، وأنفاسه تتسارع وتستنشق الهواء المُغبرّ، كانت تمسك به، تصنعه، تمدّه وتحنيه - لم يكن ماغنوس يُصدِّق كم من الممكن أنْ يشعر من جديد بأنَّ كل شيء حسنٌ،

Twitter: @ketab_n

ونظيف، حتى بعد كل ما عرف من أمور بغيضة عن نفسه، على الرغم من أنَّ من المُفتَرَض أنَّ لا شيء مما تفعله أمبر، أو ما يفعله هو، أو ما يفعلانه معاً، بريء بأي حال. في الحقيقة، العكس هو الصحيح.

إنه يتمنى لو أنَّهم جميعاً، كل مَنْ في الغرفة، يعرفون كل شيء عنه. وأحد أسوأ الأشياء في هذا هو أنهم لا يعرفون.

لكنَّ أحد أسباب بقاء الغرفة متماسكة، حتى بهذه الطريقة المُحطَّمة، هو أنهم لا يعرفون.

هناك أمّه، التي تزوّد أمبر بالمعلومات. وهناك أمبر، التي لا تُصغي، وتدلّك رُكبتها. ثمة في أمبر شيء يبدو في جوهره أشبه بالمحور يُحافظ على تماسكهم جميعاً معاً الآن في هذه الغرفة، يجعل كل شيء يسير في مداره الطبيعي، ويمنع كل شيء من التشرذم ليغدو كهباء متفجّر تنتشر أشلاؤه إلى أبعد نقاط الكون المعروف.

إنَّ أمبر قاسية مع أستريد. وفظة بصورة لا تُصدَّق مع مايكل. *وكأنني آبه لرأيك في الكتب*. وأمه تُثير فيها الملل القاتل، ولا تبذل أي محاولة لإخفاء ذلك. ***آه – هاه***. وهكذا: أستريد مخبولة. ومايكل يزداد تصميماً باطّراد. وأمه تزداد إلحاحاً في الخوض ببلادة في أمور «مُثيرة للاهتمام». إنه أشبه باستعراض للجاذبية المغناطيسية؛ أشبه بمراقبة سلوك النظام الشمسي.

بالنسبة إلى ماغنوس نفسه، أمبر = صادقة.

أمبر = كل ما لم حتى يتخيَّل أنه ممكن بالنسبة إليه.

سوف يتمكّن من تذكُّر هذا كله طوال حياته، هذا الفقدان للعذريّة

Twitter: @ketab_n

علـى يد امـرأة أكبر منه سناً، وتعلَّم كل شيء عن ذلـك منها،؛ أمر من النـوع الذي يقع لفتـى في رواية كلاسيكية أو ما شابـه لكنه في حقيقة الأمـر والواقع يحدث له، من النوع الذي سيتمكن من إخباره لشخص أثنـاء شرب كأس من البيرة في حانة هادئـة، متكئاً على النضد، ويتكلّم همساً، متأثّراً بذكرياته الخاصة عنه عندما سيُصبح أكبر سناً بكثير جداً، رجلاً، في أواخر عشرينيات عمره ربما أو ثلاثينياته.

لحـق ماغنوسـ بالقطار المتوجّـه إلى نوريتش. ومن هنـاك سيستقل القطـار إلى المدينة التي تضـم الجامعة التي كان من المفترَض ذات يوم أنْ يفكّر في الانتساب إليها.

يطلب من سائق سيارة الأجرة أنْ يحمله من المحطة إلى المكتبة. لكنَّ المكتبةالتي توصله إليها سيارة الأجرة، خطأً، أو ربما لأنه بدا أنه طالب، هي مكتبة الجامعة الرئيسة والتي لا يستطيع أنْ يدخلها، لأنه ليس عضواً منتسبـاً فيهـا. والرجل المسؤول عـن أجهزة الحاسـوب، الجالس على طاولـة مكتب عند الردهة الشاسعة وتفـوح برائحة مادة صقل مُعقّدة، يُعامل ماغنوس كأبله لأنه لا يعلم ذلك. حسن، هذا معقول. لكنَّ الأبله يتوقّع أكثر من ذلك.

المدينـة جميلة جداً، السياح في كل مـكان يصوّرون أفلام الفيديو. يعود أدراجه إلى المدينة عبر الجسر الجميل ذي الحجارة الصفراء. يراقبهم وهـو يُصـورون الأسوار الجميلـة ذات الحجارة الصفـراء، وواجهات الكليـات التي كان من المفترَض ذات يـوم أنْ يفكّر في الانتساب إليها. وعندمـا يصل إلى سـوق المدينة، ترشـده فتاة خشنة المظهـر تقف أمام كشـك لبيع القبعات إلى المكتبة الأخرى، العامة، الكائنةخلف عدد من المباني الشبيهة بالبلدية المجاورة لموقف السيارات متعدد الطبقات.

Twitter: @ketab_n

إنها تفوح بصورة مُحبِطة برائحة مرتادي المكتبة العامة. حتى مطلع الدَرَج يفوح برائحتهم.

الكتاب الوحيد المفيد له في قسم المراجع في المكتبة، الممتلئة بغير الأعضاء (عجائز، وأناس يبدو عليهم الفقر، أو يبدون عاطلين، أو أجانب) كلهم يستخدمون أو ينتظرون دورهم لكي يستخدموا الحواسيب القليلة، هو طبعة بنغوين لقاموس القديسين. «*ماغنوس الأوركني. د. في إغيلسه، ف.د ١١١٦. ١٦ نيسان. ماغنوس هذا كان ابن إرلنغ، الحاكم الشريك لجُزُر أوركني. عندما غزا الملك ماغنوس الحافي النرويجي جزر أوركني، فلجأ ماغنوس إرلينغسن إلى مالكولم الثالث ملك اسكتلندا وقيل إنه أقامَ مدة من الوقت في منزل الأسقف. وبعد وفاة ماغنوس الحافي عاد إلى جزر أوركني التي كان يحكمها قريبه هاكن؛ وأخيراً غدر هاكن به وقتله في جزيرة اسمها إغيلسه. وفي نهاية المطاف دُفِنَ ماغنوس في كاتدرائية كيركويل، التي كُرِّسَتْ لتشريفه، وثمة كنائس أُخرى تحمل اسمه؛ هكذا تمّ تكريمه بسبب ما عُرِفَ عنه من فضيلة وورع، ولكن ليس هناك ما يُبرِّر تسميته بالشهيد. هناك عدد من القديسين الآخرين يحملون اسم ماغنوس، غالبيتهم قديسون، ولكن يكاد لا يُعرَف عنهم أيّ شيء*».

أعاد ماغنوس قراءة الفِقرة، ولكن ليس لأنه أراد أنْ يعرف القصة، التي ليست لها أي قيمة، وهذا أمر مزعج بعد أنْ قطع تلك المسافة كلها فقط ليعرفها. وبدل ذلك، يجد أنه مفتون كلياً بكلمةٍ واحدة. الكلمة هي حرف الواو[٤٧].

---

٤٧ – بالإنكليزية حرف الواو هو كلمة قائمة بذاتها وتتألف من ثلاثة أحرف and. – المترجم.

Twitter: @ketab_n

الفضيلة والورع.

وكنائس أخرى تحمل اسمه.

و قيل إنه أقامَ.

إنها كلمة شديدة البساطة، والحسم.

مـرّ مرور الكرام على كتاب القديسين تاركاً عينه تتوقف عند جُملٍ لا على التعيين.

«وحدها أسـماء بعض الأشـخاص (و) الأماكـن تبقـى. وكان يُتوقّع أنْ تُنسَـب إليـه معجـزات، (و)من ثم يتبـع ذلك أنْ يُعـرَف عنه القيـام بأعمال عجيبـة. أضرمَت النـار علناً في أثوابهـا (و) ومجوهراتها، (و) من ثـم أُخذَتْ إلى مثـوى للراهبات. في مكان يُدعى دوكَـمْ تعرّض هو (و) رفاقه لهجوم من أهل فريزلاند الوثنيين (و) قُتلوا. ولكن لا شيء في القصة يُؤكّد أنّ الذي تقدّم لطلب يدها ورفضَـته اتّهمها باعتناق المسـيحية، (و) نجت بصورة مُعجزة من الفضـيحة في ماخور (و) من الموت حرقاً بالنار. هذه القصة، التي لقيتْ رواجاً واسعاً، لم يسمع بها أحد قبل القرن السابع (و) ليس هناك ما يوحي بأنها أكثر من مجرد خيال».

خـارج المكتبة العامة كان هناك عمال طـرق أو عمال بناء يحفرون سطح الأرض بحفارّة الهواء المضغوط.

داخـل المكتبة غير الأعضـاء لا يزالون يقفون صفـاً واحداً وخارج المكتبـة عمال الطرق لا يستخدمون إلا ضغـط الهواء لكسر الصخر أو الإسفلت.

Twitter: @ketab_n

هـواء (و) صخر احـرف (و) هو طلقـة صغيرة مـن الأوكسجين. وماغنوس، الذي جاء إلى هذه المدينة المثقّفة لكي يقرأ عن شخص يحمل اسمـاً مثـل اسمه، لكي يقوم ببحـث عن الكنية التي أعطتـه إياها المرأة الأكـبر منه سناً المتمرّسة نفسها التي تقضـي إجازتها الصيفية في إغوائه بعـد ظهيرة كل يوم على المقاعد الخشبيـة لكنيسة قديمة، والاسم الأول الـذي أعطاه إياه في الأصل والدّ يكاد لا يتذكّر ولا يأبه البتّة لأمره (مع أنَّ مشاعـر أخته حيال غياب التواصُل بينهمـا أقوى بكثير وعاطفية)، أصبح فجأةً أشهر من نار على علم، وعاد يتنفّس من أعماق رئتيه وكأنه كان منـذ مدة طويلة محشوراً داخـل مساحة صغيرة ومظلمة وخانقة لا تكفي للتعرّف كما ينبغي إلى كلمة صغيرة.

«و؟».

يقول ماغنوس بصوتٍ عالٍ «و».

يبـدو أنه قالها بنبرة أعلى مما ينبغي لأنَّ عـدداً من الناس الواقفين في الطابـور التفتوا ونظـروا. والرجل الجالس أمام أقـرب جهاز حاسوب حـدَّقَ إليه. ورفعـت أمينة المكتبـة جالسة على طاولـة مكتب صغيرة رأسها لترى إنْ كان ماغنوس قد بدأ يُسبب مشاكل.

أغلـقَ ماغنوس الكتـاب ونظر إلى أمينة المكتبة مباشـرة. وتساءل إنْ كانـت مفتونة به. تساءلَ كيـف ستكون مضاجعتها. قـال لنفسه وهو يغادر المكتبة، إنَّ أول آلة حاسبة في العالم اخترعها باسكال في أربعينيات القرن السابع عشر، وذلك قبل أنْ يبلغ باسكال العشرين من عمره!

ظلّ ماغنوس مُتوهجاً طوال طريق العودة إلى المحطة خلال شوارع

Twitter: @ketab_n

المدينة المتوهجة. في الطريق توقف ليلتقط أنفاسه، ليستنشق هواء الصيف، ولكن فقط لبرهة من الزمن لأنه لو أطال توقفه أكثر من تلك البرهة فلن يجد الآنسة أمبر في الكنيسة بعد ظهيرة اليوم. هذا إذا كانت هناك. هذا إذا حضرت. في الواقع كان في استطاعته أنْ يتوقف مدة أطول، قد يقف ببساطة هناك مدة أطول. قد يفوته القطار. ربما ستنتظره أمبر في الكنيسة ولا يحضر هو اليوم.

كان قد توقف بجوار شجرة مزروعة خارج المحال التجارية. ليست أكثر من شجرة لا يُميّزها شيء. شجرة عادية وماغنوس. الآن يقول ماغنوس لنفسه، أوراقها مرتبطة بأغصانها مرتبطة بفروعها مرتبطة بفروعها الأكبر مرتبطة بجزعها وجزعها مرتبط بجذورها وبالأرض. أنواعها مرتبطة بأفراد آخرين من نوعها وبأشجارٍ أخرى من النوع نفسه وبأشجارٍ أخرى من حيث أنها شجرة وبنباتات أخرى وبأحياء أخرى من حيث كونها من الأحياء وهذا يتوافق مع معادلة التركيب الضوئي = الطعام كله، المستحاثات، الوقود في الماضي والحاضر: وإذا كان هناك ماضٍ وحاضر فهناك ربما (وممكن حتماً) ومستقبل، وفكرة وجود مستقبل وماغنوس وكل ذلك.

إنها تمطر بغزارة. يمكنهما سماعه على سطح الكنيسة. ماغنوس يحكي لأمبر عما قاله فيتغنشتاين عن المطر، عن أنه لا فائدة من محاولة إحصاء قطرات المطر المنفصلة وأنَّ الجواب الصحيح عن سؤال كم عددها ليس في الحقيقة عدداً دقيقاً بل فقط عديد. ويشرح ماغنوس، في الرياضيات مفهوم الصحيح نسبيّ. إذ يمكن التسامح مع بعض الخطأ. والأمر نفسه مع ارتكاب الخطأ.

Twitter: @ketab_n

تقـول أمبر، صح. والجيـب، إذا لم تخُنّي الذاكـرة، يسـاوي مقابل الوتر، صح؟

يقول ماغنوس «أه، نعم. هذا صحيح. لكنها تُقال كلافتة.

ينزعـج قليلاً لأنها تعلم الكثير جداً عـن أشياء يعرفها. وقد سخرت من شيء لكنه لا يتذكر ما هو أو كيف فعلت.

لكنـه تحـرّكَ قليلاً لكي يصبـح في وضعٍ مريح بـين ذراعيها، وسط رائحـة الكنيسـة العفنـة والمطر يقرع (بغـير انتظام مسمـوح به) على السطـح ورأسه مستند على وسادة الركوع برائحتها العتيقة ومنحنيات أنابيـب الأرغـن الصغير تظهـر من فـوق رأسيهما إذا نظـر إلى اليسار بعـد أمبر، والأرقـام الكرتونية الباليـة مقلوبة على الجـدار على حامل الأرقـام مُعلنة عـن تراتيل الصلاة التي ستُقام يعلـمُ اللهُ متى، في الماضي أم المستقبـل، مَنْ يـدري؟ ٧. ١٢٣. ٤٣. ٢٠٨. وتساءلَ أيّ التراتيل هـذه. إنه يعلم من موعد تناوله هو وأمبر وجبـات الغداء، وفترات بعد الظهـيرة، وأول المساء التي يقضيانها في الكنيسة أنَّ كائناً مَنْ كان الذي ينتقـي التراتيل فهو يترك الأرقام في أكوامٍ كرتونية صغيرة وأنيقة مُقسَّمة مـن أرقام الواحد والاثنين والثلاثة والأربعـة والخمسة والستة والسبعة والثمانيـة والتسعـة والعشرة تحت إفريز المقعد الموجـود في المقدّمة. إنه يعرف طعم ورائحة الكنيسة في الداخل والخارج، ولون المقاعد العتيقة البنّي، وبياض الجـدران وبُنّي وبياض المنبر. كان قد قرأ، ولم يرَ، مراتٍ عديدة خلال الأسبوعَين الأخيرَيـن، الرقع على الجدران المُهداة لتكريم الموتـى. إنـه يعلم، الآن، لمـاذا يتردّد الناس على الكنيسـة. إنها عملية حسابية بسيطة ولكن يجب تصديقها إذ ما هو حاصل ٠=؟

Twitter: @ketab_n

قالــت أمــبر أعتقد أني أفضّلــك عندما تكون أشدّ سُمــرة قليلاً. هل تستطيع أنْ تجعل نفسك أكثر سُمرة بقليل؟

لم يفهــم ماغنوس ما تعني لكنه أومأ إيجاباً ثــم دفن رأسه بين كتفيه وتابع إجــراء عمليته الحسابية داخل رأســه. إنَّ رقم ٠ = كينونة مُضافة مثــل ٠ + a = a. مثــلاً، ٠ + ١ = ١ وهــذا كل ما تحتاج أنْ تعرف عن الصفــر، وليس ما يعني، أو أي شيء عنه مهمــا كان، أكثر من حاجتك لمعرفة حقيقة أنه يستجيب لقواعد معيَّنة.

يشعــر بأمبر منجرفة، ملــولاً، فوقه. تُغــيِّر موضِعهــا جسدياً فوقه، تستحثّــه. يرفع نظره إلى عينيهــا. أصبح على حافة السمــوّ. يشعر بأنه يتصلَّب من جديد. بعد لحظة سوف يُصدران ذلك اللهاث العالي الذي يُصدرانــه رغماً عنهمــا، الصوت الذي لم يُميِّز فيه حتــى كلمة، الكلمة نفسها التي تلهث خارجة داخلة، مرة بعد مرة:

أيضاً

أيضاً

أيضاً (٤٨)

---

٤٨ – المفترَضـ أنَّ الكلمة (أو الحرف) هي حرف (و) أو AND، لكنَّ المترجم وجد أنْ كلمة «أيضاً» ربما مناسبة أيضاً.

Twitter: @ketab_n

في منتصف ليلة

مـن ليالي نورفـوك العادية اعتـدل مايكل في جلسته علـى السرير. كانت إيف نائمة. كل شيء مـن حولهما يلفّه الصمت، صمت مُطبق، كانـت عادية بصـورة مُضلّلة، مملّة حتى الأعمـاق - كأي ليلة أخرى. ولكـن كان قد حصل أمر غريب لكل شـيء، أمرٌ وقع مكتملاً، مخملياً، مُزدرياً كقطة. حصل تغيير. أصبح كل شيء الآن منتظماً. نعم، متعاقباً، متوالياً متـ... لأنه كان يُعلّم هذا الشيء طوال اليوم. أصبح متناغماً معه، كتردُّد بث الإذاعة:

أصبح عالم مايكل سوناتة متتالية.

Twitter: @ketab_n

إنَّ وصـــف «*مُزدرٍ كقطـة إلى آخره*» ليس كافيـاً للإحاطة بما حصل، حقـاً. كان ضربـةً قاضية مـن ملاكم من الـوزن الثقيـل؛ رصاصةً في الصـدر. الجراحون يفتحـون لا وعيه كقفصٍ صدريّ ممـدود. القلب زهـرة متفتّحة، جميلـة الأوراق، تنبض، متناسقة. لقـد فتقَت الصدمة والحرارة والفن جلده كله، ثم أُلبِسَ ذات جديدة وست حواس جديدة، ولســان جديد لا ينطق إلا أبيات من البحر الخماسي، ومداركَ أقسمتْ على أنها كلها شِعر وإشارات:

فتاة اسمها أمبر اجتازت أرض الغرفة

وإذا بكل شيء يغدو قصيدة حديثة الصنع.

Twitter: @ketab_n

كانت أمبر[٤٩] مادة مُثبِّتة غريبة. حافظت أمبر على أشياء لم يكن مُقدَّراً لها أنْ تدوم. منحت أمبر الأشياءَ التي ماتت واندثرتْ فرصةً لتعيش إلى الأبد. أمبر أضفتْ على الأشياء العشوائية ماضياً. أمبر يمكن ارتداؤها كتميمة. الغجر يستخدمون أمبر (الكهرمان)[٥٠] ككرة زجاجية. الصيادون تحدوا المحيطات بشبكة فقط ليحصدوا الكهرمان. (أمبر، في الردهة، مشت من أمام مايكل وكأنه غير مرئيّ، قطعة من العدم، لم يوجد) جاء في الأساطير الإغريقية والرومانية أنَّ من بول الوشق الشرس ولدتْ أمبر (الكهرمان). سطعت، قستْ واكتملتْ بفعل الحرارة والزمن.

وأصبح بول القطط في كل مكان مادة سامية!

---

٤٩ - في هذا المقطع (أو الفصل) تستخدم الكاتبة اسم الفتاة أمبر، الذي يعني أيضاً حجر الكهرمان الأحمر، استخداماً مزدوجاً، أي اسم الشخصية ومعناه معاً. أرجو أنْ يضع القارئ هذا في حسبانه. - المترجم.

٥٠ - القوسان من وضع المترجم.

Twitter: @ketab_n

هل كانت عينا أمبر تشبهان في أي شيء الشمس؟
أصغِ، إنهما يبالغان في كشفه كاستخدام لي
ميللر[٥١] / مان راي للشمس.
توهَّجَ حالما نظرتا إليه. تباهى
كيراعة في الظلام، كتكوين
كامل من الألعاب النارية
أتهجى اسمها والكلمات التي أحبّ. مايكل
نثر ثرثرته العالية على دفعات مرتجفة
وملتهبة لم تلاحظها، لأنها هي نفسها
شديدة الذكاء غطّتْ على كل
ما يعكس إشعاعه عليها بضياءٍ أقلّ.
لأنها كانت الضياء نفسه. أمبر، سارت
في أرجاء العالم، أضاءتْ العالم، أسرتْ العالم، صنعته،
وبعد رحيلها خبا كل شيء.

---

٥١ – لي ميللر (١٩٠٧ – ١٩٧٧): مصورة فوتوغرافية أميركية. كانت رائجة في مجال الأزياء والموضة في نيويورك، ثم انتقلت إلى باريس حيث أصبحت هي موضة بتصويرها السريالي الفني. في أثناء الحرب العالمية الثانية عملت كمراسلة حربية لعدد من المجلات. أقامت معارض للتصوير السريالي مع راي مان (١٨٩٠ – ١٩٧٦): مصور فوتوغرافي سريالي. – المترجم.

Twitter: @ketab_n

ولكن على السوناتات ألا تكون أحادية الجانب.
لقد تضمّنت، على الأقلّ، حواراً. لقد وجد
أنَّ لا أحد ردَّ. لا أحد. اقتنع مايكل،
تناقشَ، لا أحد غيره، نظر حوله
إلى عائلة ليست عائلته فرأى
الكثير من الألوان الباهتة، ثم جلس
في سيارته، وحدَّقَ إلى الحقل الخالي، اليباب،
الوعر، الجاف، مثله؛ جلس في الحرّ
يراقبه وهو يجفّ. لقد كان أحمق.
كان يعرف التفاتتها، يديها، ضحكها.
أدركَ أنه لن يُضاجعها أبداً.
أدركَ أنه لن يُضاجعها أبداً.
لقد كان فتى عادياً جداً.
تحوَّلَ من الرمل إلى الزجاج ومن ثم انكسر.

Twitter: @ketab_n

تناثر مليون شظية
مستحيل، مستحيل إعادة جمعها.
واجهة، وجوانب، شظايا ذات متكسّرة،
بقايا، انغلاق نافذة -
زجاج تهشّم بقوةوانظر خارجاً ! اللعنة على
الحجارة الملقاة هناك كأنّ أقداماً
حاقدة حافية لكي لا يلاحظها أحد - بصفعة
أه؟ ماذا؟ حرف (أ) قطع في الإنسان، في أ
أشلاء مقصودة، قلب، أسمال جلد بدل أ.
ألفرطَ في دراسة الحالة؟ أكان كذلك؟ اعلم، يا هذا -
فسيفساء يعني قِطع. كذلك هي الشظايا
قبل إتمام العمل، لجمعها، ماذا؟ جمع
الأشياء معاً ؟ هل أ؟ يجعل يعمل؟ كلاً كاملاً
(حرمان إنسان عاشق يُدمر روحه).

Twitter: @ketab_n

قطة مزدرية تتبوّل في كل مكان
عائلة
لم تكن ذات روح مُهشّمة
بخداع تمدّدت أشياء ماتت واندثرتْ وأُنكرَتْ.
غجر رصينون جلسوا
في
مقعده
وقاموا بإشارات.
و
تميمة شدّت من عزم صوته العالي.
و حقل، من الـ
زهرة خاوية متبقية
قلب **شديد البريق** يتفتَّح
بصفعة شديدة
ذاتٌ جديدة متكسّـــرة احتلّت العالم -
لا أحد.
قلب أسمال شظا يا مكسوّة لا أحد
قدّم ردّاً
عميقاً جداً

Twitter: @ketab_n

لسان جديد خسف في أرجاء العالم كله.

أدرك أنه ليس كفئاً.

إيقاع سوناته جميل انكسر.

بنـــــاء كامل كان الظـــلام ذاته.

وبعدها، أصبح الشِعر مكشوفاً أكثر مما ينبغي.

Twitter: @ketab_n

أيـري في الشِعر. أيري في الكتب. أيري في الفن. أيري في الحياة.

أيري في نورفوك. أيري في عمله وأيري في زوجته.

أيري في المراهقين الذين يعتقدون أنهم يعرفون كل شيء.

أيري في تلك الفتاة التي تسير متجاوزة إياه في الردهة.

هل الحب والجنس أمران طبيعيان؟

هل العطاء والأخذ أمران طبيعيان؟

هل هناك فائدة في أي كتاب؟

هل هناك فائدة في أي شيء مهما كان؟

هل هناك من جهد يصل إلى نهايته؟

هل هناك من شِعر ينتهي بالحب؟

هل هناك طريقة لتهذيب تنهيد؟

هل هناك مكان تلجأ إليه الأغاني الرائجة لتموت؟

هل هناك فتاة لن أبداً ؟

هل هناك شريان لن يُقطَع؟

هل يرمي القلبُ العقلَ بآلامه كلها؟

هل شكسبير يُصبح دائماً إ.إ كمنغز؟

هل النهاية دائماً كارثة شعرية؟

هل يتحول شكسبير دائماً إلى دون جوان؟

Twitter: @ketab_n

ذهبَ مايكل إلى القرية ليتمشّى.
هذا ما يفعله رجل مثله،
التمشية في العطلة إلى القرية، واليدان في
الجيبين، مسترخياً، محترفاً، على هواه، يفعل.
جلس خارج كنيسة وأُصيبَ بصعقة.
بدتْ أشدّ مما تفعله صالة الرياضة!
كان الناس يتضاجعون صراحة في تلك الكنيسة.
كان ذلك صوت مايكل في وضع حرج.

كان، بالنسبة إلى د. مايكل سمارت، صوت
المأساة، أغنية التيوس اللعينة.
هكذا كانت، أغنية تيوس. أليس سارتر
مَنْ قال إنَّ المأساة هي أولئك الذين يحصلون على علفهم
ولا يحصل عليها آخرون، أو شيئاً من هذا القبيل؟
لقد سئم مايكل كونه شاعراً تافهاً.
سئم لغةً تكاد لا تفي بالغرض،
وكلمات تسمّي هذا كله ***أزمة منتصف العمر***.

لقد تولّعَ مايكل بامرأة خشنة قليلاً
تصادفَ أنْ مرّتْ من أمام منزلهم الصيفي في نورفوك
لم يكن هناك شك. إنه الحب.
وامتلأ بأمل زائف، مثل قبّة الألفيّة.
بدل ذلك نكح زوجته. ليست جيدة كثيراً.

Twitter: @ketab_n

مثل قبّة الألفية، لا أحد أتى،
لم يعثروا عليها، لم تكن على الخريطة،
وعندما وصلا إلى هناك وجدوا العرض رديئاً.

كان حب جهدٍ جديد، حينئذٍ، بينه وبين إيف،
مُصمِّم حفل عشاء ببذلة وربطة عنق،
بلاغة كانت دافعها الخاص،
لقد آمن كلٌ منهما بالآخر، وكانت
هناك كذبة في قلب الإيمان.
المؤسف كان أنَّ مايكل ودّ لو يبكي.
كانت أمّةً فاسدة، وفاسقة،
ولا شيء يعني ما ينبغي أنْ يعني.

وضع يديه على أُذنيه، مذعوراً.
ممارسة الغرباء للجنس جعله يرغب في الموت.
سار عائداً إلى المنزل، لا مبالياً، اتّصل
بطبيبته لكنها كانت خارج البلد.
مشى حول الحديقة مرتين شاعراً بأنه عجوز،
فعل ما كان دائماً يفعل عندما يشعر بالحزن،
قاد سيارته إلى أقرب سوق متنوعة
وبحث عن مكان جيد ليحشرها فيه.

Twitter: @ketab_n

ملأ السلّة بفاكهة مُنتقاة
ثم استعرضَ طابوراً طويلاً من الفتيات العاملات
تفحّصهن ليجد أفضل المُجندات
انتقى واحدة ذات شعر بلون العسل.
بدت في نحو الخامسة عشرة. وقف في الطابور. وضع
العنب أمامها كأنها حبات من اللؤلؤ،
وثمار البرتقال كأنها رائعة الجمال،
ابتسم لها بجرأة، وأقنعها.
ردّت له الابتسامة. فتنها بمدح جمالها، وذهوله بها، أقنعها
بمقابلته أثناء استراحة شرب الشاي، تظاهر
بالتعجّب، وغادر دون أنْ يدفع، قال بسرعة «أنا طبيب»،
ولكي يمنع الشخص الذي حشره بسيارته من الشكوى،
أخرجَ بحركة سريعة بطاقته، وانتظرها وضاجعها
على مدى خمس عشرة دقيقة (مدة استراحة الشاي) على
مقعد المسافرين
في الغابة القريبة وكانت عذبة جداً.

وكل شيء ما عداه لم يشعر بأي شيء.
شعر - شعوراً فظيعاً. كان مكتوباً على بطاقة تعريفها
«ميراندا».
عالم جديد وشجاع. شعر بأنه شرير، وحقير.
وضع ما معه من نقود بحركة ساحر في يدها، كانت
ثروة صغيرة. ورتّبت ثوب عملها.

Twitter: @ketab_n

كان من النايلون. أنزلها، كما اتّفقا، بالقرب
من موقع عملها. لوّحت له بيدها.
إنه عالم جديد وشجاع. الدكتور مايكل سمارت، فاسق.

بكي طوال خمس ساعات، وهو يقود السيارة،
وسط منطقة مجهولة يعلم الله أين تقع،
أبعد من أي مكان. ثم بدأ يشعر
بالجوع، فعاد أدراجه، والنوافذ مفتوحة، والهواء
يتدفّق ويُخفّف من احمرار عينيه. في تلك الوجبة
كانت أستريد قد أضاعت آلة التصوير. كان شعر أمبر
رائعاً. كان كذلك حقاً. كان كذلك.
كان لها شعر رائع حقاً.

بعد ذلك لعبت أمبر هذه اللعبة. «فلنقُل
إنكَ أعطيتني شيئاً يخصّك، مفتاحاً مثلاً،
مفتاح منزل أو مفتاح سيارة أو ما شابه، شيئاً تستعمله
باستمرار في الحياة اليومية، مثلاً،
والأفضل أنْ يكون مفتاح منزل، سوف أتمكّن
من أنْ أخبرك بكل شيء عنك. ثِق فيّ».
(أرسل أستريد إلى الطابق العِلوي، وطلب منها أنْ تُحضر
مفاتيحه من الخزانة المجاورة للسرير)

Twitter: @ketab_n

أغمضتْ أمبر عينيها وحملت خاتم ماغنوس.
قالت شيئاً عن الحقيقة والزيف.
رفضتْ أستريد أنْ تُعطيها أي شيء.
أخبرت أمبر أستريد أنَّ عليها أنْ تستخدم عينيها.
أعطتها إيف - دون عِلمه - شيئاً
وأخبرتْ إيف شيئاً اعتقدتْ إيف أنه قول حكيم.
وجاء دوره. لفتت انتباههم إلى أنفها المثالي
وكان في استطاعته أنْ يشعر بأنفاسها، ومالت كثيراً.
«لن تحصل أبداً على ما تريد.
إلا بعد أنْ تعرف ما تريد.
إنك في الحقيقة لا تريد الشيء الذي تريد.
أنت فقط تريد ما لا تستطيع الحصول عليه. تريده
بيأس. والشيء الذي تعتقد أنكَ تريد
لا شيء مقارنة بِما تريده حقاً.
لا زال عليك أنْ تنجزه، ما تريد
وما هو موجود، المعنى الحقيقي للرغبة.
أسقطت مفاتيحه على الطاولة. أبداً.
كانت قد قالت له إنه لن يحصل أبداً على ما أراد.
وهذا جعله يرغب فيها أكثر. كان شيئاً بارعاً جداً.
ترك له أملاً يائساً، روحاً أكثر ما يمسّها
الأحياء المتعذّر أخذهم.
هو مُسّ بالروح. حصل عليها. لم يكن مُحبطاً.
سار حول الحديقة ورقص وطفر.
لم يكن فرحاً. لقد حصل ما أراد.

Twitter: @ketab_n

بعد ذلك بأشهر تذكّر أنها عرفت
مكان حفظ المفاتيح، بعد هذه اللعبة –
في خزانة مجاورة للخزانة. وأيضاً بعد مرور أشهر،
فكّر في رغبته فيها مع إحساس بالعار
بلا أي إحساس بالاشمئزاز، كحل لغز
ماثل أمامه، حل جاء
ومضى وأخبره ما يحتاج إليه بالضبط،
شيء شديد البساطة، ورفض أنْ يُدركه.

Twitter: @ketab_n

لو أنها عاشت في القرون الوسطى

لواجهت مشكلة حقيقية مع كل تلك الجاذبية؛ ويقول التاريخ إنه إذا كانت المرأة ذات جاذبية جسدية شديدة فإنها لم تكن دائماً آمنة وفي عصرٍ مختلف كانت ستتعرَّض لسلخ جلدها بسبب ذلك أو ستُجرّ بمهانة في أرجاء القرية وتُشدّ إلى آلة التعذيب، أو تُربط بسلاسل على عمود خارج إحدى الكنائس المحلية ويُحلَق شعرها كله كتلك الفتاة في فيلم برغمان، الفيلم الذي كان فيه الموت يُلاحق فارساً من القرون الوسطى وكان الطاعون يسبب الجنون للجميع. (يا الله، لقد كانت أفلام برغمان تلك تنطوي على عمل شاق جداً. كانت جميلة. ولكن صعبة الفهم، وكئيبة جداً. إنها تعتقد أنَّ الأوقات التي صُنعَت خلالها مثل تلك الأفلام كانت كئيبة. ويتطلّب الأمر أوقات كئيبة من أجل إنتاج أفلام كهذا. وذلك الفيلم بالذات كان مقصوداً أنْ يكون تصويراً لجنون الارتياب الذي ساد بعد تفجير القنبلة النووية إذا أسعفت الذاكرة إيف. هل من الطبيعي أنْ ينتج عن الأوقات الكئيبة فناً كئيباً ؟ وهل كان الفن دائماً يعكس حقاً عصره، وليس أي عصر آخر؟ لقد كانت إيف عضواً في جمعية جميلة جداً للكتاب في إزلنجتون، تألّفت من ست نساء أو سبع وسطهن رجل واحد، كنّ يجتمعن مرةً في منزل كل واحدة منهن - إحدى متع ذلك الأمر مشاهدة داخل سلسلة كاملة من منازل

Twitter: @ketab_n

الآخرين. وعلى امتداد الأشهر الستة الأخيرة استمتعت جمعية الكتاب بقراءة روايتين تاريخيتين ضخمتين - كلتاهما من العصر الفيكتوري، وتدور أحداثهما حول الجنس في الغالب - من تأليف كاتبين معاصرَين، تلك التي فازت بجائزة بوكر في العام الفائت كانت تدور حول رجل يركب قارباً مع حيوانات، مكتوبة بأسلوب فورستر، الرواية الكبيرة الرائجة المتعددة الثقافات التي لم يتمكن معظم أعضاء الجمعية من قراءة أكثر من نصفها، ورواية جميلة جداً عن ساوفوولد. و لم يُحبّذ مايكل تلك الجمعية. رأى أنها بورجوازية بصورة لا تُصدَّق. لكنَّ إيف لم تكن مشهورة جداً في جمعية الكتاب، لأنها هي نفسها كاتبة. وقد منحها ذلك سلطة واضحة، كانت تشعر بأنَّ نصف عضوات الجمعية كنّ يوافقن على ذلك ولكن معظمهن كنَّ يمقتنها سراً)

راحت تراقب بينما أمبر، الجالسة بجوار مايكل، تملأ طبقها من وعاء السلطة، وتفكر كيف يمكن لأمبر أنْ تبدو وشعر رأسها محلوق. ربما ستبقى جميلة. قالت إيف في نفسها، هذا جمال حقيقي، جمال يتحمّل المهانة، أو الصَلَع، وما صَلَع ديفيد بيكام إلا صلع حاقد، صلع ضحية، صلع عنف، صلع يعكس غضب الجماهير. تخيّلت أمبر، برأس محنيّ وأصلع كبيضة، ويدين موثقتين خلف ظهرها على عمود من خشب، عطشى وصامتة ومجنونة بجمال خارج كنيسة من القرون الوسطى والقرويون كلهم يطلقون أصوات الاستهزاء بها.

بدل ذلك قالت: «أسرعي يا أستريد. يجب أنْ تصوّرينا جميعاً ونحن مجتمعون حول مائدة العشاء في هذه الليلة. إنها سهرة جميلة، وكان يوماً جميلاً، وهذه سهرة جميلة جداً، ويجب أنْ نحتفل بهذه الذكرى».

Twitter: @ketab_n

ولكــنَّ بمــا أنَّ أستريــد هــي أستريــد في جوهرهــا، وأيضــاً تسبب الجنــون لإيف بترتيب أشيــاء على طبقها وأكلها بما يُشبــه نظاماً مراهقاً ذُهانياً[٥٢] - أولاً اللحم وحده، ثم قطع السلطة المفصولة إلى أوراق من الأنواع الواحــدة من الخس، والخيار المفصول عــن البندورة - أعلنت أنها «أضاعــت» آلة التصوير التي تُقدّر قيمتهــا بحوالي ألف جنيه «في مكانٍ ما». حاولت أمبر أنْ تغطي عليها بادّعائها أنَّ الخطأ خطأها؛ وأنه نتيجــة تصرف زميلة مراهقة في المدرسة أكثر منه تصرف امرأة ناضجة؛ وبالفظاظة العذبة نفسها شتّتت أمبر انتباههم عن العشاء بممارسة واحدة من ألعاب تقــديم الشخصيات النفسية حيث تظاهرت بأنها قادرة على «معرفــة» معلومات حول شخصٍ ما ببساطة بحمل غرضٍ ما يخصّه أو يخصّها بيدها مدة طويلة من الزمن.

قالــت أمــبر: «ثِــق فيّ. إنَّ الموهبة هــي التي تُمكّنني مــن قطع ثلاث قارات وأنا خالية الوفاض من أي نقود تقريباً ودائماً أتناول وجبة عشاء معقولة».

ضحك الجميــع، ما عدا أستريد، التي رفضــت الانضمام إليهم. ثم طلبــت أمبر مــن ماغنوس أنْ يُعطيها الخاتم الــذي كان يضع (ذاك الذي اشترتــه لأجلــه إيــف بمناسبة عيد ميــلاده قبل الفائت). نــزع ماغنوس الخاتم من إصبعه. فحملته أمبر بيدها ورفعتها عالياً، بحركة محترفة، أمام وجهها.

قالــت بعد برهة صمت: «هــذا الخاتم عزيز جداً عليــك. لأنَّ أمك أعطتك هذا الخاتم».

---

٥٢ - الذهان: إحدى حالات الاضطراب العقلي والنفسي. - المترجم.

Twitter: @ketab_n

قال مايكل: «شيء مذهل! رائع تماماً !».

رفعت إيف يدها لتُسكِت مايكل.

قالت أمبر مُغمضة العينين، وكأنها تُصغي: «إنها هدية عيد الميلاد. كلا، بل عيد مولد. عيد مولد. مرّ خمسة عشر عاماً على مولدك، وأمك أهدتك هذا الخاتم».

حسن، من الواضح أنَّ ماغنوس هو الذي أخبرها بهذا. لكنَّ ماغنوس أقسم بأنه لم يفعل.

قالت أمبر: «هسسس، من فضلكم. إنَّ مولدك أمرٌ معقّد. لقد التفَّ الحبل السرّي حول عنقك قبل أنْ تولد».

فغر ماغنوس فاه. والتفت إلى أمه وحدّق إليها.

رفعت أمبر قبضة يدها والخاتم فيها أمام جبينها من جديد. لابد أنَّ أحدهم أخبرها. لابد أنَّ مايكل أخبرها، إنْ لم يكن ماغنوس. وإنْ كانت إيف لا تتصور مايكل يتذكّر حقيقة مثل هذه. لكنَّ مايكل كان يتصرّف بصورة غريبة الآن. كان غريب الأطوار، متقلّباً. لقد وجدته مراراً جالساً يحدّقُ في الفراغ. وفي يوم قريب عثرت في جيوب بنطلونه (وهي تقلبها نحو الخارج قبل غسله) بالإضافة إلى الواقيات الذكرية المعتادة، على قطعة من الورق مكتوب عليها الأحرف الأبجدية وتحتها قائمة غامضة من الكلمات لا معنى لها: بلوف كف دف إينَف فلَف رَف ستف تف.

كانت أمبر بارعة في أداء ذلك العرض الخاص بها. لقد كانت حقاً

Twitter: @ketab_n

جيدة جداً. كادت تكون مُقنعة بشكل كامل. إنها الآن تقول الكثير من الأمور ألقتها بنبرة لامعة وتبدو غامضة بصورة مُلائمة لماغنوس حول الصدق مع النفس والكذب عليها.

انسلّت إيف إلى الحديقة. كانت هناك بضع حجرات تحت أكمة الورد. التقطت أحدها. نفضت عنه غبار التربة ومن ثم حكّته على ساقها. إنه مناسب. كان بلون أبيض مصفرّ، كحجر البحر، يلمع في بعض أنحائه.

في داخل المنزل، عندما حان دورها، أعطت الحجر إلى أمبر. حملته أمبر برهة. ثم ضحكت.

قالت: «أحقاً ؟».

هزّتْ إيف رأسها إيجاباً.

قالت أمبر: «أأنتِ واثقة؟».

قالت إيف: «نعم. إنه معي منذ سنين عديدة. إنه عزيز جداً عليّ».

قالت أمبر ولا تزال تضحك: «حسن».

قال مايكل: «ماذا أعطيتها؟ ماذا معها؟».

قالت إيف: «إنه سرّ».

قالت أمبر: «يمكن أنْ نقوم بهذا بيني وبينك، نعم، إذا شئت». أمسكتْ بيد إيف وقادتها عبر غرفة الجلوس إلى الأريكة تقع على

Twitter: @ketab_n

الجانب المقابل من الغرفة، وقالت لها ما يلي وهي تحمل كدليل حجراً عادياً من الحديقة، وتميل نحو الأمام بسرّية كغجرية:

«أنتِ ولدتِ في مكان جيد في توقيت جيد، عند نقطة انعطاف من عقود كئيبة إلى أخرى أكثر بِشْراً. (كان ذلك صحيحاً، وسهلاً تخمينه)

عرفت علاقة حب مُبكرة وطيبة وخسارة مبكرة جيدة. (وهذا صحيح، أيضاً)

عشتِ حياةً لم تخطر في بال أغلب أبناء أجيال من النساء والرجال الذين أنجبوك إلى مساحات من الحرية والثراء لم يتخيلوها. (حسن، هذا الكلام يصحّ على كل شخص تقريباً)

كنتِ محظوظة.

كنتِ صاحبة نعمة.

كنتِ مثقفة، أكثر مما تُدركين».

قالت إيف وهي تضحك: «أحقاً؟».

تجاهلتها أمبر وتابعت:

«لطالما توفّر لك مكان آمن لتنامي وأشياء طيبة لتأكلي، طوال حياتك.

فما الذي ترغبين في معرفته عن نفسك؟

وما الذي يودون سؤالك عنه، ما الذي تعتقدين أنهم يريدون أنْ

Twitter: @ketab_n

يعرفـوا، لو كانوا موجودين هنا هذه الليلة، كل أولئك النساء والرجال، والنساء والرجال، والنساء والرجـال، والنساء والرجال الذين تراكموا ليصنعـوك، ليُنجبوك، في ذلك اليوم، وزعقـتِ وغضبت وأنتِ مغطّاة بدماء أمك؟».

قالـت إيف: لأنَّ رأسها كان مملوءاً بصور لنفسها وهي طفلة صغيرة وليـدة وجديدة مُسربلة بالدماء وكانت أمـبر قد نهضت واقفة، لتتركها علـى هذا الحال، وتعود عبر الغرفة لتخبر مايكل بشيء عن نفسه؛ الذي كان يحمل سلفاً شيئاً في يده، حلقة مفتاح أو ما شابه. قالت إيف لأمبر بصوت منخفض وهي تقبض على رسغها: «ولكن لا يمكن أنْ تذهبي قبل أنْ تُعطيني الإجابات».

عبست أمبر: «علامَ؟».

قالت إيف: «على تلك الأسئلة».

قالت أمبر: «أنا لا أعرف الإجابات».

قالت إيف ولم تتركها: «لا يهمّ».

أمسكـت أمبر بيد إيف وفتحتها. أسقطـت الحجر الصغير الأبيض، الذي بات دافئاً من يدها، على راحة يد إيف وأطبقتْ أصابع إيف عليه. بينما تفعل ذلك أمسكت يد إيف بكلتيّ يديها وهزّتها وكأنما تُهنّئ إيف بحرارة.

قالـت أمبر: «أنـتِ مُزيّفـة كبـيرة. وأحسنـتِ الأداء. الأولى على الصف. العلامة التامة».

Twitter: @ketab_n

هـذه لقطـة فوتوغرافيّـة مـن عطلة صيف عـام ٢٠٠٣ تبـيِّن إيف سمارت في ثوبها الكتّـان الرمادي الداكن في ليلة من ليالي الصيف في حديقة المنزل الصيفي تحت ضوء القمر. هادئة ومتزنة. متزنة وهادئة.

وهذه لقطة فوتوغرافية مـن عطلة عام ٢٠٠٣ تبيِّن إيف (٤٢ عاماً) تعمل باجتهاد على كتابها الأخير طوال فصل الصيف في المنزل الصيفي الريفـي التابع لمنـزل العطل الخاص بإيـف وزوجها، الدكتـور مايكل سمـارت، وانظر كيف يسقط الضوء على حبر القلم الرطب الذي على الصفحـة وهي تكتب سطراً ثابتاً بعد آخر، وكيف توقفت برهة لتفكّر، وكيف التقطت هذه الصورة الفوتوغرافية تلك اللحظة، وذلك العمود غـير المُنتظِم مـن الدخان أو الهـواء المُغبرّ الذي يتخلـل حزمة من ضوء الشمـس، وكيف يُحدِّد ذلك السقوط العَرَضيّ للضوء من خلال نافذة المنزل الصيفي في ذلك اليوم.

وهنـا لقطة فوتوغرافية من عطلة عـام ٢٠٠٣ لعائلة سمارت تقفُ خارج الباب الأمامي لمنزلهم الصيفي في نورفوك، حيث إيف سمارت وأستريد سمارت عند الباب الأمامي تطوّق كل منهما الأخرى بذراعها وماغنوس سمارت ومايكل سمارت يمتطيان الجياد في الخلفية، مايكل يضع يده على كتف ماغنوس.

العائلة، كلهـا، تبتسم. لِمَنْ تبتسم؟ هل تبتسـم لنفسها، في وقت ما في المستقبـل؟ أم للمصـوِّر؟ مَنْ التقطَ الصورة؟ مـاذا تبيِّن؟ هل تبيِّن أنَّ مايكل عاد إلى المنزل تفوح منه رائحة كريهة، من جديد، أم هو شخص آخر؟ هل تبيِّن أنَّ ماغنوس كان فتى صغيراً يُشبه والده إلى درجة أنَّ إيف تـكاد لا تحتمل أنْ تضمّها وإيـاه غرفة واحدة؟هل تبيِّن أستريد تُثير غيظ

Twitter: @ketab_n

إيـف، وأنها استحقت ألا يكون لديها أب، تماماً كما فعلتْ إيف معظم حياتها، وكانت محظوظة لأنه لا يزال لديها أم؟

راحــت إيــف تتجول في الحديقة المُنــارة بضوء القمــر مصعوقة من نفسهــا ومن روعة الإحساس بأنها غاضبة هكذا، ولا تدخّن إلا نصف السيجارة، لكي تُبعِد عنها بعوض المستنقع، في الواقع، هذا كان عذرها. وأي نــوع من الحيــاة كانت تلك، التي احتاجت فيهــا إلى عذر لتدخن حتى نصــف سيجارة؟ وهل كانت هناك مستنقعات في نورفوك، أم أنَّ المستنقعــات كانت في مــكان آخر؟ إيف لم تكن تعلــم. هل جعل منها ذلــك زائفة، أي ألا تعلم؟ لقد أمسكــت الفتاة يدها، ثم نعتتها بالمزيّفة. أكانت إيف زائفة؟ هل كانت زائفة في أي مكان في العالم، أم أنها زائفة فقــط في نورفوك. إنها نورزيــف[٥٣]! شعرت إيف بأنها سكرى.. كان قلبهــا يخفق بجنــون. كانت إيف سمارت تحمل قلبــاً مجنوناً. بدا ذلك ممتعاً. بدا خارقاً. بدا كأنه قلب يخص شخصاً مختلفاً تماماً.

وفكــرة أنِ إيف سمــارت (٤٢ عاماً) يمكن أنْ تكــون شخصاً آخر غير ما بــدت عليه جعلت قلبها ينبض بجنون يفــوق كل جنون، بما فيه الكوانتوم، على مدى سنين طويلة.

قبــل ذلك بيومــين، كانت إيف تبحــث عن أمبر لتُخبرهــا عن حلم راودهــا وتسألها عن رأيهــا في تفسيره. حلمت إيف بــأنَّ مايكل كانَ يتلقّى رسائل حب من طالبــات ضاجعهن وأنَّ الرسائل كانت مطبوعة

---

٥٣ - تتلاعــب المؤلفــة بكلمــة نورفــوك Norfolk وتحوّرها إلى كلمة مــن اختراعها وتشبهها في اللفظ Norfake حيث أزالت النصف الثاني من الكلمة وبدّلته بكلمة زيف أو fake. - المترجم.

Twitter: @ketab_n

بخطٍ دقيق على أظافر أصابعه، كالصفحات المُنمنمة مثل «أصغر نسخ الكتاب المقدس في العالم» التي حطّمت الأرقام القياسية، بل إنَّ الأحرف أصغر من «اسمك المنقوش على حبة من الأرز». كان يمكن القراءة من الأظافر، ولكن باستخدام أداة قراءة خاصة قيمة استئجارها باهظة واستيقظت إيف قبل أنْ تتمكن من ملء الاستمارات كلها في محل الاستئجار.

كانت إيف قد أعدّت، قبل العشاء، نسخة من الحلم لا تتضمّن مايكل ولا هي نفسها. كانت أستريد قد أخبرتها، أثناء تناول طعام الإفطار، أنَّ أمبر بارعة جداً في تفسير الأحلام. لكنَّ إيف لم تتمكن من العثور على أمبر. لقد اختفت أمبر. لم تكن في الحديقة. ولا في السيارة. كانت سيارتها لا تزال هناك، أمام المنزل، لذا لا يمكن أنْ تكون قد ابتعدت كثيراً.

لم تكن مع ماغنوس، الذي كان يدفن أنفه في كتاب في الغرفة الأمامية. وليست مع أستريد؛ في وسع إيف أنْ تراها تتسكع وحدها في الخارج، تبدو ضجرة تحت إحدى الأشجار. وكان مايكل قد ذهب إلى المدينة. كانت إيف قد رأته وهو يُغادر. إنها حتماً ليست مع مايكل.

هرعت إيف ترتقي الدرج ركضاً. نادت على أمبر باسمها. لمحت شخصاً يتحرّك تحتها. ولكن كلا، كانت فقط الخادمة تحرك المكنَسة الكهربائية إلى الغرفة الأمامية، وهي تجرّ الخرطوم والثنية، والأنبوب البلاستيكي الثقيل الذي تتأبطه تحت أحد ذراعيها وتُمسك بقوة بأجزاء الفرشاة الصغيرة بالذراع الأخرى.

نادت إيف نحو الأسفل «بعد إذنك، كاترينا».

Twitter: @ketab_n

توقفت كاترينا عن العمل. وقفت بلا حراك، تنتظر، وظهرها لإيف.

سألتهـا إيف «ألم تشاهدي وأنتِ تتنقّلين صديقتي التي تمكث معنا؟ أمبر، تعرفينها؟».

هـزّتْ الخادمة رأسها نفياً ولا تزال تعطي ظهرها لإيف وباشرت من جديـد عملها في الـرواق. ولكن في أثناء ابتعادها قالـت شيئاً. لم تميِّزه إيف بوضوح.

ما قالت كان شيئاً يُشبه: *اسمها مِطرقة.*

؟

لم يعنِ شيئـاً يمكن تمييزه. كانت الخادمة قـد واصلت عملها، مُثقلة بالآلة، داخل غرفة الاستراحة.

هذا لا يعني أنَّ إيف خافت أنْ تطلب من الخادمة أنْ تُكرِّر ما قالت. أبـداً. ولا يعني أنَّ الخادمة قد بثّت الرعـب في قلب إيف بأي حال من الأحوال، فقد بدت فتـاة مسكينة، وبدت عجوزاً قبل أوانها، وبسيطة قليـلاً، وطوال الوقت تنظر إلى أسفل أو بعيداً، وفي الواقع لم تكن تنظر إلى عينيّ إيـف مباشرة، وكانت متعودة على التحدث مع إيف وظهرها لها أو وهي تنظر بعيداً عنها مما يدل بلا أدنى شك على رفض المسؤولية وكان يعنـي أنَّ ستائر غرفة النوم الرئيسة لن تُغيَّر أو تُغسَل مهما كررت إيـف طلـب ذلك، وكانـت أشبه بنسخـة كرتونية مُختَرعة مـن الخادمة الممتعضـة في مسلسل تلفزيـوني لكنها بصورة ما جعلـت إيف (تُرى، كيف فعلت ذلـك؟) تشعر كأنَّ إيف هي الشخصيـة الكرتونية، وكأنَّ

Twitter: @ketab_n

حيـاة إيف بصورة ما هي الأدنى مرتبــة في ذلك النهار الصيفي الجميل مــن الوجود الكئيب الــذي تخيّلتْ أنَّ كاترينـا الخادمة تعيش في غرفة جلوســ ما مكسوة بورق جدران أو كائناً مــا كانت السوق الشعبية أو السوق المركزية التي لا تبيع بضائع جيدة، التي، بإجاباتها التي تدلي بها وهــي تدير ظهرها بصفاقــة، وإدلاءها بأجوبة غــير مفهومة على سؤال لم تطرحــه إيف في الواقع، جعلت إيــف تشعر بفقدان التوازن، وكأنَّها تتعرّضــ للتحدّي والضرب على يد شخصــ كان من المفترض أنْ يفعل ذلك، وتلقّي نقوداً مُقدّماً، جعلتْ حياة إيف أسهل.

كانت إيف قد وقفت عند أعلى الدرَج ومن تحتها المكنسة الكهربائية تهدر.

استيقظــتْ إيف في منتصف الليل. كان مايكل نائماً والوسادة فوق رأسه. كان يسود الغرفة ضوء هادئ بفعل القمر. وثمة أناسٌ متجمعون عند قدَميّ السرير.

قالـت إيف: «مَنْ أنتم؟».

هزّتْ وسادة مايكل. لم يستيقظ مايكل.

كان هنــاك رجلان وثلاث نساء.إحدى النســوة كانت جالسة عند قدمــي السريــر حاملة طفــلاً وليداً صغيراً جــداً، وهادئــاً ولا يأتي بأي حركة. وأخرى تحمل شيئاً يلمع في الظلام كقدحٍ مكسور من الزجاج. بدا الرجلان من خلف النساء رثين وخشنَين. أحدهما يتلألأ، مُبللاً من الأمــام وعبر وجهه. وآخر النساء كان لهــا شعر مُصفَّف بأسلوب عتيق الطــراز وكأنَّها في تمثيلية دراميــة تجري أحداثهــا في الماضي تُبثّ على

Twitter: @ketab_n

قنــاة الـ BBC. كانت تحمل بيدها عصا صغـيرة، أشبه بالأنبوب، وثمة ضوء ينبعث من أحد طرفيها. سلّطت ذلك الضوء مباشرة إلى عين إيف. فغطّـت إيف وجهها بيديها. وعندما تمكنــت من الرؤية من جديد كان الناسـ قد اختفوا. وفي المكان الذي وقفت فيه المرأة التي تحمل الطفل، عند أسفــل السرير، وجدت امرأة مختلفة، أكـبر في السن. إنها أمّ إيف. كانت ترتدي مبذلاً وكأنها خرجت تواً من الحمّام.

قالت إيف: «مرحبا، أين كنتِ؟».

قالت أم إيف: «انظري، ألا ترين، لا أستطيع. أنا ميتة».

نظرتْ إيف إلى وسادة مايكل من جديد. استيقظَ مايكل.

قال وكأنه يُعطي تصريحاً: «نعم».

قالت إيف: «أمي كانت هنا».

قال مايكل بنبرة أكثر إجهاداً: «أحقاً ؟ أين؟ أين كانت؟ أين هي؟».

قالت إيف: «لقد اختفت».

قال مايكل: «هل تريدين مني أنْ أفعل شيئاً ؟ شاي مثلاً ؟».

«لا بأس. سيكون ذلك لطفاً منك».

نهضَ مايكل وهبـط إلى الطابق السفلي. جلســت إيف في السرير في الغرفـة الخاليـة، تُصغي إلى الأصـوات الصغيرة الأليفـة التي تصدر عــن المنزل. أخيراً سمعت مايكل يرتقي الدرَج من جديد. دخل حاملاً كأســين من الشاي أعطاهــا أحدهما ذا مقبضـ وأداره نحوها لكي لا تُلسَع.

Twitter: @ketab_n

قالت إيف: «شكراً لك. هذا لطف منك».

قال: «لا شيء يستحق الشكر. أكان حلماً مزعجاً ؟».

قالت إيف: «كلا. بل أعتقد أنه كان حلماً ممتعاً جداً».

أخذا يشربان الشاي، وتحدثا قليلاً ومن ثم عادا معاً إلى النوم.

هل الحلم واقع؟ هل الواقع حلم؟ مشت إيف حتى القرية، وهناك علِمتْ بوجود كنيسة. كانت تتساءل إنْ كان اللجوء إلى الكنيسة يُفيد.

لكنَّ باب الكنيسة كان مغلقاً. وعليه ملاحظة تعطي إرشادات لكيفية دخولها.

عثرتْ إيف على منزل الرجل الذي بحوزته المفتاح. فتحت لها امرأة الباب، بدا أنها زوجته.

قالت: «هل أنتِ زائرة حقيقية للقرية؟».

كانت امرأة قصيرة وممتلئة الجسم ترتدي مئزراً. كان لها فكُّ الناس الأصليين مثل كاترينا الخادمة. نظرتْ إلى إيف بضغينة مُحتملة.

قالت إيف: «نعم. أنا أُقيم في منزل أوريس: زوجي وأنا استأجرناه لقضاء فصل الصيف».

قالت المرأة: «كلا، ما عنيت هو هل أنتِ سائحة حقيقية ؟ هل لك منزل دائم في مكان آخر؟».

قالت إيف: «طبعاً».

Twitter: @ketab_n

قالــت المرأة: «هل معك فاتورة كهربــاء؟ أو فاتورة غاز أو أي شيء عليه اسمكِ وعنوانك؟».

قالت إيف «في الواقع، كلا، ليس الآن، لا أحملها. لم أكن أعلم أني سأحتاج إلى إحداها لكي ألج الكنيسة».

قالت المرأة: «حسن، أنت في حاجة إليها».

قالت إيف: «ولكن يمكنــكِ أنْ تتصلي بالسيدة أوريس وأنا متأكدة من أنها ستضمَنني. هل تعرفين السيدة أوريس؟».

قالت المرأة: «تسألينني إنْ كنتُ أعرف عائلة أوريس؟ إذن أنت التي أتيتِ مع العائلة، أليس كذلك؟».

قالت إيف: «أعتقد ذلك».

طلبــتْ من إيف اسمها وعنوان منزلها. ثم أغلقت الباب. بعد ذلك بثلاث دقائق عادتْ مع مفتاح الرتاج عتيق مربوط بقطعة حبل.

قالــت: «أهو من أجل الصلاة أم أنكِ ستدخلين إلى هناك لكي تُلقي نظرة؟».

قالت إيف: «ربما لكليهما».

قالــت المرأة: «يمكنكِ أنْ تحصلي على المفتــاح، ولكن لا تُعطه لأي شخص يطلبــه، لأنَّ المسافرين يُهددون بنصب مخيَّم في الكنيسة، لذلك إذا أعطيته لأي شخص آخــر أو لأي مسافر يدخل الكنيسة و لم نتمكن مــن إخراجه فإنَّ اللوم يقع عليك في ذلــك وستكونين مسؤولة عن أي فوضى أو ضرر يقع».

Twitter: @ketab_n

قالت إيف: «حاضر. لك ما تشائين. سأصونها بحياتي».

هتفت المرأة خلفها وهي تسير على ممشى الحديقة بين أكمات القرنفل والورد الأنيقة: «وأعيديه بعد الانتهاء».

سارتْ إيف عائدة خلال القرية القاتلة إلى الكنيسة.

كانت الأرض المحيطة بها على الأقلّ بريّة بصورة مُلفتة للنظر وبابها يبعث على الطمأنينة وتقليدياً في ثقله. ولكن من الداخل، كانت الكنيسة مُخيبة للآمال؛ فلا شيء ذا طابع خاص: كانت بسيطة، ذات طابع نفعي وحديث، بغض النظر عن جدرانه الحجرية العتيقة. كانت قبيحة. ولم تفُح منها رائحة الروحانية، كائناً ما كانت رائحتها. كانت تفوح برائحة الإهمال؛ برائحة الرثاثة. ولا توحي بإمكانية وجود أي شيء بعد هذه الحياة، ليس أكثر من التفاصيل الصغيرة المُملّة نفسها، واللون البني نفسه. قرّرت إيف، إنَّ اللون البنيّ كان لون الإمبراطورية الفعليّ، لون طابع بريطانيا العظمى - لون الحبر الذي يصبغ العصر الفيكتوري كبقعة من الرطوبة. البني الرسميّ. علم البلاد يجب أنْ يكون بألوان البنّي والأبيض والأزرق. وصليب القديس جورج[٥٤] لا ينبغي حقاً أنْ يكون أحمر اللون،بل بلون البني مُضافاً إلى الأبيض، كوضع صلصة HP[٥٥] في طبق أبيض، أو كشطيرة من صلصة HP والخبز البيض. كل

---

٥٤ - صليب القديس جورج: في بريطانيا هو رمز الوسام الذي يُعطى للشجعان من المدنيين خاصة. - المترجم.

٥٥ - نوع شهير من صلصة البندورة (الكاتشاب) في بريطانيا وبلدان أوروبية أخرى. - المترجم.

Twitter: @ketab_n

البلدات الصغيرة والقرى تنشر العلم. كانوا قد مروا في طريقهم إلى هنا بنسخ متكررة من منازل شبه فيكتورية من الحجارة البنية والشرفات، منازل ومحلات تجارية كممثلين ثانويين في أفلام درامية تصور الحياة المنزلية البائسة بعد الحرب، منازل بنيّة ككلاب مُقعدة وتكاد لا تقوى الوقوف على أقدامها وعلى أحدهم حقاً أنْ يأخذها ويقدم لها معروفاً إنسانياً بإرسالها إلى النوم الأبدي. إنها نهاية عصر. النهاية البنيّة لعصر.

جلستْ إيف على المقعد الخلفي وشعرت بأنَّ التفكير في مثل هذه الأشياء أمر غير شرعي. حاولت أنْ تفكّر في مواضيع عُظمى لكنها تعجز الآن عن تذكّر أي أغنية من عهد الطفولة، لفرقة غناء نسيتْ اسمها كانت تصرّ على أنَّ الإسمنت المسلّح والطمي تحت أقدامها سوف يبدأ بالتفتُّت لكنَّ الحبَّ لن يموت أبداً وأنها سترى الجبال تنهار قبل أنْ تقول الوداع. وسنبقى أنا وحبي. في حبٍ إلى الأبد. هذا هو المُقدَّر لنا. كان مُقدّراً كما كان يحدث في المسلسلات التلفزيونية التي يُشاهدها الأميركيون كلهم، حيث كان لآل والتون[٥٦] منشرة خشب تقع خارج المنزل مباشرة وكل الفتيات يتزوجن والشبان يعملون في المنشرة أو يذهبون إلى الحرب ويعودون من الحرب، وأكبر الشبان سناً يُصبح المُعلِّق، ويحتفظ بالسجل الرصين لحياتهم على جبل والتون، والجبل سُميَ باسم عائلتهم، وتقوم لورا وميري والبابا والماما ببناء بلدة بأكملها بأيديهم وحدهم وبطيبة قلب عائلتهم، ويتردّد الجميع على

---

٥٦ – تتحدث الكاتبة هنا عن فيلم ومسلسل مأخوذ عن رواية «جبل سبنسر» للكاتب الأميركي إيرل هامر جونيور. حُوّلت القصة إلى فيلم سينمائي عام ١٩٦٣ وكان من بطولة هنري فوندا ومورين أوهارا، ثم حُوّل إلى مسلسل تلفزيوني بعنوان «آل والتون». – المترجم.

Twitter: @ketab_n

الكنيسة التي ساعدوا في بنائها، في كل أسبوع. فإذا أصاب العمى الشقراء ميري، فسوف تستعيد بصرها بعد ذلك ببضعة فصول، وطبعاً سيحدث هذا معها وهي صاحبة تينك العينين الزرقاوين الكبيرتين الجميلتين، إذ كيف يمكن لمثل تينك العينين ألا تبصران من جديد؟ ويتبادل البابا والماما نظرات العارفين عندما تُحافظ لورا على كرم كامل من الأشجار من شيءٍ ما - أكان القحط، أم من قاطع أشجار شرير؟ لم تتذكر إيف. ويساعد البابا الفتاتين (وهي أيضاً) على فهم معنى الحمل بجعلهن يساعدن في وضع بقرتهم مولودها؛ ثمة تفاهم متبادَل بين الماما والبقرة. وتهرع لورا إلى أسفل التل ناشرة ذراعيها كطائر لمجرد الاستمتاع بذلك مرة بعد مرة في التفاصيل النهائية. ثم تعرف الحقيقة وهي في السابعة عشرة، كما في أغنية جانيس إيان؛ لأنَّ من المفترَض أنَّ الممثلة الطفلة لم تحصل على أي دور تمثيلي في أي عمل بعد انتهاء حلقات مسلسل «**منزل صغير في المروج**». لم تتذكّر إيف أنها شاهدتها في أي عمل بعد ذلك وإلا لتمّ التعرُّف عليها، إلا إذا كانت قد عدّلت من شأن أسنانها.

رفعت قدميها إلى خشب المقعد ثم أنزلتهما من جديد، ونفضت الغبار عن موقع استنادهما بيدها. حاولتْ أنْ تتذكّر كلمات أغنية «**في السابعة عشرة**»: مُخترعة عشاقاً يتحدثون عبر الهاتف يغمغمون عبارات بذيئة مُبهمة لأنَّ الفتاة في الأغنية كانت من فرط القُبح بحيث لم تكن تتلقّى هدايا في عيد الحب وكل ما كانت تفعل هو أنْ تخترع عشاقاً. ثم هناك أغنية ماريان فيثفول التي تحكي عن امرأة تأخر بها الوقت كثيراً وهي في السابعة والثلاثين بحيث أنها لم تشق طريقها أبداً في مدينة باريس في سيارة سبورتس و لم تتغلغل الريح في شعرها. لقد فات الأوان

Twitter: @ketab_n

وهـي في سـن السابعة عشرة. ومن ثم فـات الأوان من جديد وهي في السابعـة والثلاثين. قالت إيـف في نفسها، وفي الثانيـة والأربعين.لقد مللتُ حقاً. وهناك أيضاً شريط التسجيل، أحضرته تلك المُعلّمة المُساعدة الألمانية في المدرسة، الشقراء، الصغيرة، والتي لم تكن في الغالب تتجاوز الثانيـة والعشريـن من العمـر، إلى الصف لكي يُترجموهـا، وهي أغنية تؤديها نجمـة موسيقـى روك ألمانية. تقول كلمـات الأغنية «Sien ist vierzig، und sie fragt sich، war es nun schon alles?» لأنهـا لـن تتمكن من الوصول إلى كاليفورنيـا الآن، هل أصبحت، تلك المرأة ذات الأربعـين عاماً، عجوزاً ؟ إنها لن تتمكـن من المرح أبداً في البحر مـع جيمي دين وكل نجوم السينمـا أولئك الذين حلمت بهم.دع عنك الأمـل، يا من ستدخل إلى هنا. رفعت إيف (١٥عاماً) نظرها عن مقعد الدراسة أثناء درس الألمانية إلى إيف (٤٢عاماً) بعد مرور تلك السنوات القاحلـة، وغمـزت بعينها. جلست إيـف (٤٢عامـاً) في الكنيسة مع كل الموتـى المدفونـين في الخارج تحـت الأعشاب وحجـارة الرصيف وتساءلت كيف هي مبيعات كتبهـا على موقع أمازون[٥٧]. تساءلتْ إنْ كان في وسعهـا في أي مـكان في القرية أنْ تفتح خـط الإنترنت وتنظر لترى كيف هو الوضع.

ثـم تساءلتْ ماذا سيحـدث لكتبها في أمـازون[٥٨] الحقيقي، إذا ما ألقت بها من القارب.

---

٥٧ – المقصـود هنـا طبعـاً موقع «أمـازون» الإلكـتروني لبيع الكتب عـبر الإنترنت. – المترجم

٥٨ – أمازون هنا المقصود به نهر الأمازون. – المترجم.

Twitter: @ketab_n

رؤياها هذه عن القارب وكتبها في المياه تغرق فاجأتها ودفعتها إلى الضحك بصوت عال. وضجت الكنيسة بصدى الضحك المنفرد. لم يكن تصرفاً يدل على الاحترام. وعندما كفّت عن الضحك بقيَ صدى صوتها يتردّد ترجيعه في أذنيها.

أغلقت باب الكنيسة من جديد، ثم أعادتْ المفتاح إلى صاحبته الشرعية.

ذات ليلة سألتْ أمبر إيف بدون مقدمات، «ماذا ألمّ بركبتك؟».

قالت إيف: «ركبتي؟ لا شيء. لماذا تسألين؟».

قالت أمبر: «أنتِ دائماً تُمسكين ساقك اليُمنى بتلك الطريقة، بتلك الزاوية، عندما تجلسين».

قالت إيف: «كلا. حسن، ولكن غريب أنْ تقولي هذا، لأنَّ رُكبتي تأذّت فعلاً بشكل مؤلم جداً، قبل سنين، لكنها في أحسن حال الآن. ما أغرب هذا. لم ألاحظ أبداً أني أمسك بها هكذا. ربما أفعل ذلك بسبب حساسيتي بشأنها».

قالت أمبر: «في الواقع، هي لم تلتئم بصورة تامة، بسبب إمساكك بها هكذا».

قالت إيف: «أناأشعر بأنها على ما يُرام».

قالت أمبر: «تبدو متقرّحة».

كانت قد قطعت أرض الغرفة وركعت أمام إيف. ثم أمسكت بركبة

Twitter: @ketab_n

إيـف بكلتيّ يديها وراحـت تضغط العضلات المُحيطة بهـا بإبهاميها. شعرت إيف بالرعب ينضح من ركبتها ويتوزّع في أرجاء جسمها.

قالت: «كلا، حقاً، إنها في أحسن حال».

لم تتوقف أمبر. كانت تضغـط بقوة شديدة. وكانت يداها شديدتي الحرارة.

قالت إيف: «إنها حسّاسة».

قالت أمبر: «نعم».

بـدأتْ تضغط ركبة إيف بحركة دائرية وانتاب إيف إحساس خاص لا ينتابهـا في المعتـاد إلا عندمـا تحـدث مطبات هوائية وهـي على متن الطائرة عند الإقلاع، فترتاع، ويقفز جسمها ويملؤها الخوف من قدميها المُثبّتتين بالأرض وحتى ذراعيها الملتصقتين بإحكام بذراعيّ المقعد.

بدأتْ إيف تتكلّم. قالت أول ما خطر في بالها.

لاحقـاً، عندما كانا يتهيئان للإيـواء إلى السرير، بـدا مايكل ممتعضاً بصورة غريبة.

قـال: «لم تخبريني أبداً أنَّ ركبتك تؤلمك. طـوال تلك السنين كلها ولم تذكري أي شيء عنها، ليس لي على الأقلّ. لِمَ لم تفعلي؟».

قالت إيف: «أنت لم تسأل أبداً»، واستلقت على السرير.

مايكل: «ماذا فعلتِ حتى آذيتها؟».

Twitter: @ketab_n

إيف: «سقطت عن الحصان».

مايكل: حصان؟ متى في حياتك كلها ركبت حصاناً ؟».

إيف: «حدث ذلك قبل أنْ أعرفك».

لم يكن مايكل يُصغي و لم يأبه حقاً لوقت حدوث ذلك. كان يتمشّى حول الغرفة كصبي نكد، يبحث عن وسادته الخاصة. رفعت إيف الغطاء وأرته وسادته، مدسوسة تحت منحنى رُكبتها.

إيف: أنا في حاجة إلى استعارتها هذه الليلة.

مايكل: تعلمين أنكِ لا تستطيعين ذلك. تعلمين أني في حاجة إلى هذه.

إيف: ألا تستطيع أنْ تستعمل واحدة من الأخريات؟ هذه تساعدني حقاً على الحصول على قدر من النوم، أنا في حاجة إلى وضع شيء تحت رُكبتي بعد كل ذلك اللهو بها، وهذه لها الشكل المناسب لأجلها.

في الواقع كانت رُكبتها على ما يُرام، لكنها لم ترغب في إخبار مايكل بذلك. في الواقع لقد بدت جيدة جداً، بل أفضل مما كانت منذ سنين. في الواقع كانت منزعجة، على الرغم من عِلمها أنَّ ذلك أمر غير منطقي، ألاّ يلاحظ مايكل في أي وقت من الأوقات خلال السنوات التي تتجاوز السنوات العشر من حياتهما معاً أنها يمكن أنْ تكون قد أُصيبت بتقرّح في ركبتها. وبدل ذلك لاحظت الأمر فتاة تكاد لا تعرفها. كم من أشياء أخرى لم يُلاحظ أيضاً ؟ كم من أشياء أخرى لم تلاحظها، هي نفسها، بسبب قلّة كفاءاته؟

Twitter: @ketab_n

أعادتْ لمايكل وسادته فأطفأ الضوء ووضع الوسادة على أُذنه.

استلقت إيـف في الظلام ويداها معقودتان بأناقة على بطنها. وكان غضبها يتفاقم أكثر فأكثر.

نهضت، بهدوء شديد، وارتدت مبذلها، بهدوء شديد، وهبطت إلى أسفل.

كانت أمبر مستلقية علـى المقعد الخلفي للسيارة. وعندما رأتْ إيف من خـلال النافذة المفتوحة دفعت أحد البابين الخلفيين بقدمها لتفتحه. جـرّت ساقيها نحـو صدرها لكي تفسح مجالاً لإيـف لكي تجلس على حافة المقعد.

قالت: «جافاك النوم؟».

هزّت إيف رأسها نفياً.

قالت أمبر: «أترغبين في الذهاب للتنزه بالسيارة؟».

قالت إيف: «إذا لم تكوني مشغولة جداً».

ضحكتْ أمبر وهزّت كتفيها استخفافاً. قالت: «حتى أُذنيّ».

قالت إيف: «أعنـي، واضح أنكِ لستِ مشغولة، أعني مُتعبة. إذا لم تكوني منهكة من التعب».

قالـت أمبر: «أنا لستُ متعبة على الإطلاق»، وثبّتت أزرار بنطلونها القصـير، وقفزت إلى المقعد لأمامي ثم إلى مقعـد السائق وفتحت باب المسافرين لإيف.

Twitter: @ketab_n

انطلقـت بسرعـة أربعـين ميـلاً في الساعـة على طرقـات نورفوك الخلفية، والأنوار الأمامية تُلقي ضوءهـا على الحشرات المُصابة بالدوار وعلى صفـوف سياج الشجيرات؛ أخرجت إيـف وأمبر مرفقيهما من النافذتين المفتوحتين في وجه هواء الليل الدافئ - البارد. وأشعلت إيف سيجارة وأعطتها، مشتعلة، لأمبر.

قالت إيف: «أشعر بأني تماماً كأحد الخارجين عن القانون».

قالـت إيـف: «أشعـر كأني منطلقة نحـو المجهول. إنـه أفضل من الذهاب إلى مكان مُحدّد».

قالت إيف: «إننا نشبه ثيلما ولويز[٥٩]».

قالت إيف: «وييييي».

قالـت إيف: «كنتُ في الثالثة والعشرين، وأنـا على متن قطار النفق في لنـدن، وكان يجلس قبالتي فتى وسيمـاً جداً. يقرأ في كتاب. وهذه هـي النقطة الهامـة، كان يقرأ في كتاب يبدو عليه عـالي الثقافة، ولكن يضع بطاقة تدل على أنه يعمل في مطعم كري. كان مكتوباً مطعم كري وتحتـه اسمه: آدم. فانتظرت إلى أنْ رفع نظـره ورآني أنظر إليه، وقلت،

---

٥٩ - كمـا في الفيلم الشهير الذي يحمل الاسـم نفسه «Thelma and Louise» من بطولة سوزان ساراندون وجينا ديفيز. ويحكي الفيلم عن امرأتين تقرران فجأة أنْ تتخليـا عن حياتهما الرتيبة المُتعبة والانطـلاق في مغامرة مجهولة ومجنونة بالسيارة - المترجم

Twitter: @ketab_n

لن تصدّق هذا، ولكن أنا إيف [حواء][٦٠]. فقال، في الواقع لن تصدّقي أبداً كم عدد اللواتي تقدّمن مني وأخبرنني أنَّ اسمهنّ هو إيف، وابتسم لي، ومـن ثم عاد ينظر إلى أسفل من جديد وتابع القراءة في كتابه وكأني غـير موجودة. و لم أكن قد فعلت أي شيء مماثل في حياتي. لم أقُل حتى بـووو لإوزة، لم أكن أهتـم بمباشرة الكلام مع شخص لم أقابله إلا قبل ثلاثـين ثانية. فنهضـتُ واقفة لأترجّل، ولكن قبـل أنْ أترجّل ملتُ من فوق كتابـه، وكان كتاباً يحكـي عن مخرج سينمائي بولـوني، كان آدم دائمـاً يعثر على أشياء تُثير اهتمامه قبل أنْ تصبح شائعة وتُثير اهتمام كل شخص بها. وملتُ من فوقه وقلت، نعـم، ولكن ما لم تدركه هو، أني حـواء الحقيقية، حواء الأصليـة، ومن ثم ترجّلت مـن القطار، لم تكن المحطـة التـي أنزل فيهـا لكنـي أردتُ أنْ أخرج. ثم استقللـت الدَرَج الكهربائـي ومنـه إلى الشارع، ووقفتُ في الهواء وأنـا مغتاظة حقاً من نفسي، لكني كنتُ مبتهجة أيضاً، كنتُ كليهما. ورحت أُغمغمُ لنفسي بأنه لم يكن يستحق لأنه كان يعمل، في الواقع، في مطعم كري، وكنتُ علـى حق، لأنه كما اتّضح، وكما اكتشفـتُ، لم يكن لديه أي طموح. ولكن ها أنا ذي، واقفة في المكان الخطأ تماماً، وليست لدي أدنى فكرة عن موقعـي في المدينة وأنا مُضطرة إلى أنْ أستقـل قطاراً نفَقياً آخر لأني تجـاوزت المحطة، لذلك استدرتُ وعدتُ إلى الدَرَج و - إذا به أمامي، واقف خلفي مباشرة، كما يحدث في الأفلام السينمائية، بل إنها كانت تُمطر، كما في السينما، فقلت، مرحبا، وقال، مرحبا، فقلت هل تبعتني مـن القطار إلى الدَرَج الكهربائي؟ فقـال، كلا، في الواقع، إنه طريقي، وأشـار، أنا أقيـم هنا، أقيم بعـد المنعطف. ثم قال، ***هل أنـتِ حقاً حواء؟***

---

٦٠ – داخل القوسين من وضع المترجم.

Twitter: @ketab_n

فقلـت نعم. فقال، حسن، هـل ترغبين في شرب القهـوة أو أي شيء؟ فقلت نعم.

استرخت إيف، بعد أنْ انتهت، على كرسي المسافرين.

قالت: «أليس هذا مذهلاً ؟ قوله هل أنتِ حقاً حواء؟

قالت أمبر: «يا إلهي كم أنتِ مُضجِرة؟!».

قالت إيف: «أنا – أنا ماذا؟».

قالـت أمبر: «أهذا هو كل شـيء؟ أهذه هي الـذروة، قصة الصدق والإخلاص، والسرّ الـذي لا يمكن البوح به، وكل شيء يجب أنْ يصل إلى المُطلَـق التي لديك؟ يا يسوع يا الله إما أنْ تخبريني شيئاً أكثر تشويقاً من هذا أو أستغرق في النوم وأنا هنا وراء المقود».

قالت إيف وهي تضحك: «أتفعلين؟».

قالت أمـبر: «بعد ذلك ستخبرينني» قصـة «إنجابك لأطفالك وعن مدى صعوبة أو سهولة ذلك أو كائناً ما كان، والعياذ بالله».

قالـت إيف: «في الواقع، لقـد كانت عملية إنجـاب ماغنوس، كما تعلمـين، عملية معقّدة، لكنه كان رائعاً وكذلـك كنتُ أنا. وصِدقاً، لم أشعر بأني منهكة إلا بعـد إنجاب أستريد. ولا أزال، من بعض النواحي. لكـنَّ رائحة الأطفال عطـرة. أعتقد أني مستعـدة للتخلي عن كل شيء مقابل أنْ أشمّ من جديد رائحة أطفالي حديثي الولادة».

كانـت أمبر قد رمـت ما تبقّى مـن سيجارتها من النافـذة بقدرٍ من

Twitter: @ketab_n

العنف. لعلها لم تكن تمزح. كانت السيارة تُسرع في انطلاقها. وبدا أنها تستخدم كامل جسمها لتضغط بقدمها بأقوى ما في وسعها على دواسة البنزين. ومع كل كلمة قالتها كانت تزيد من سرعة المحرّك.

كانت تقول «يا رب يا الله يا لهذا البكاء، وكل تلك الحكايات الأنانية اللعينة التي لا تنتهي ولا تنتهي ولا تنتهي».

قالت إيف: «خففي السرعة أرجوك. أرجوك كفي عن السباب».

قالت أمبر: «يجب أنْ ألكمك على بطنك اللعين، لكي أحكي لك قصة حقيقية لعينة».

رفعت يديها عن المقود ومن ثم ضربت المقود براحتيّ يديها. فتمايلت السيارة واهتزت.

قالت إيف: «لا تفعلي».

قرقعت السيارة، وترنّحت أكثر من المعتاد نحو اليمين عندما انعطفت أمبر بسرعة فائقة نحو اليسار.

بدأتْ إيف تخاف على حياتها.

ذهبت إيف إلى لندن لكي تُقابل ناشرتها. بعد نورفوك، كانت لندن كثيرة الضجيج والحركة بدرجة لا تُصدّق.

رافقتها ناشرتها، أماندا، إلى مطعم ألاستر ليتل في سوهو لتناول طعام الغداء، بعد أنْ أصبح في وسع دار جوبيتر أنْ تتحمَّل التكاليف. في الطريق، توقفت إيف ونفحت متسولاً في الشارع جنيهاً نقداً. فتشت

Twitter: @ketab_n

أماندا في حقيبتها بحثاً عن قطعة نقدية أيضاً، لتفعل مثلها. وبين مكتب دار النشر والمطعم، توقفت إيف ونفحت قطعة نقد لكل شخص تسول منها، فقط لترى إنْ كانت أماندا ستفعل مثلها.

قالت إيف وهي تمنح رجلاً رث الملابس ورقة نقدية بقيمة خمسة جنيهات: «خذ».

بدت الدهشة على الرجل. ثم بدا مبتهجاً. ثم صافح إيف بقوة. فبدا الشك على أماندا، ثم نظرت في جيب الأوراق النقدية في حقيبة نقودها. أخرجت ورقة بقيمة عشرة جنيهات، جميلة وجديدة وبنيّة اللون.

كررت إيف في نفسها: «اللعينة القذرة ها ها ها».

قام الرجل بالرقص قليلاً.

قال: «شكراً لكما، أيتها السيدتان. أتمنى لكما يوماً سعيداً».

كان المطعم ممتلئاً برواد يتلفتون حولهم ليتبيَّنوا مَنْ غيرهم في المطعم.

كانت أماندا دائماً تتكلّم وكأنَّ ثمة لائحة بالأشياء التي ستقولها لإيف محفوظة غيباً في ذاكرتها وكانت تُذاكرها في ذهنها أثناء حديثهما، بعفوية ظاهرية. سبعة وستون ألفاً ونصف والرقم على ارتفاع، كانت تقول لنفسها إنها أحصتْ الصناديق بجوار قسم العائلة والعطلة. قالت، شيء هائل. الطلب على الخمس الأوائل ممتاز إلى أقصى حد. طبعاً، السؤال الذي يريد كل مَنْ أتحدث معهم الجواب عليه. كيف حال الإصدار الجديد لسلسلة جنيوين؟

Twitter: @ketab_n

قالت إيف: «كدنا نصل».

قالت أماندا وهي تنظر في مفكرتها «ما رأيك في شهر نيسان؟».

قالت إيف: «يجب أنْ يكون شهر نيسان جيداً».

قالت أماندا: «عظيم».

قالت إيف: «أفكر في هذه المرة أنْ أكتب عن شخص يموت».

قالت أماندا: «حسن، طبعاً».

قالت إيف: «كلا، أعني يحتضر، وكفي. انتهينا. اكتفينا. خلصنا. النهاية. لا قصص بعد اليوم».

قالت أماندا: «حسن، نعم، إنها فكرة شيّقة. على الرغم من أنَّ أبطال السلسلة في العموم لا يفعلون هذا، أليس كذلك؟ أعني، إنَّ تركيبة أبطال السلسلة تعتمد على التوكيد على الحياة، لأنهم يُشددون على الحياة، أليس كذلك؟».

قالت إيف: «كنتُ أفكّر في صبي فلسطيني، في حوالي الثانية عشرة كالذي أرداه الجنود قتيلاً».

قالت أماندا: «متى؟ أعني، في أي عام، تقريباً ؟».

بدت مشوشة.

قالت إيف: «في الشهر الفائت».

Twitter: @ketab_n

قالت أماندا: «الشهر الفائت؟ حسن. إنَّ هذا يُقلّل من إغراء السوق بصورة متطرفة».

قـال إيف: «لأنـه رمى حجارة على دبابتهـم، أو ماذا لو كتبت عن شخصـ حيّ في هذا الوقت، لكنه سيمـوت في صباح الغد، مثلاً ؟ في العراق؟».

قالت أماندا: «في....؟». بدتْ أشد رعباً.

قالت إيف: «العراق. *أنت* تعرفينه».

قالت أماندا: «حسن، إنه، إنه موضوع سياسي بصورة معاصرة أكثر مما تعوّدنا عليـه. ولكن لماذا تريدين أنْ تغيّري نقطـة التركيز التاريخية، التي هي أسعار سلسلة جنيوين التشجيعية، وبعبارة أخرى التي هي، إذا أردتِ رأيي، وأعتقد إذا سألتِ القرّاء أيضاً، السبب في رواجها الواسع، وشعبيتهـا المنتشرة، والسبب في أنَّ القـرّاء فهموا الصيغة، والجواب هو لأنَّ نقطة تركيزهم التاريخية الخاصة -».

قالت إيف: «أنا لم أُقرر بعد. بل قد أُقرر ألا أكتب أي كتاب».

قالت أماندا: «طبعاً إذا كانت مسألة تقدُّم».

قالت إيف: «لقد بدأتُ أعتقد أني كتبتُ ما يكفي من الكتب».

«لكنكِ قلتِ تواً، قلتِ تواً إنَّ شهر نيسان سيكون جيداً».

قالت أماندا: فارلي - براون من دار جوبيتر للنشر هذا وقد بدا عليها البؤس، وهي تضع كأس النبيذ.

Twitter: @ketab_n

قالت إيف: «الأمـر يعتمد على التعرية في تيار الخليج، طبعاً، وعلى سلوك الجبهات الجوية المُصاحبة».

قالت أماندا بنبرة واهنة: «ماذا؟».

قالت إيف: «سيكون الطقس في شهر نيسان مشرقاً».

بدت أمانـدا متوردة وتائهة. مما جعل إيف تشعر بالانزعاج. إنها لا تعرف أماندا معرفة وثيقة. ولا تعرف نوع الحياة التي تعيش، والضغوط التي تتعرض لها في حياتها، والأسباب التي تدفعها إلى أنْ تكون ما هي عليـه. ما هي الضغوط التي تتعرّض لهـا امرأة ذات سبعة وعشرين عاماً وتشغـل منصب مُحـررة في دار نشر صغيرة استولى عليهـا تواً ناشر أكبر منها بكثير؟ لقد بدت أماندا أشبه بشخص قيل له إنه سيُرمى بالرصاص عند الفجر.

قالت إيف: «لا بأس. أنا فقط، كما تعلمين، أضايقك».

قالت أماندا: «أهذا ما تفعلين؟».

قالت إيف: «إنه في طور الإنجاز. شهر نيسان موعد جيد».

بدت أماندا مرتاحة بصورة جليّة.

قالت: «أوه، عظيم. ممتاز. رائع».

هزّت رأسها ثم أخذتْ تدوّن ملاحظة في مفكرتها.

قالـت إيف: «إنها اسكوتلندية هذه المـرة. أعتقد أنها ستلقى رواجاً واسعاً. من دون التضحية بالكثير، إنها فتاة مزارعة. تعمل في مزرعة».

Twitter: @ketab_n

قالـت أماندا وهي تومئ برأسها واقفـة، وتدوّن في مفكّرتها: «فتاة مزارعة، عظيم».

في القطار راحت إيف تراقب انعكاس صورتها يتحرك بسرعة ويتغيَّر ويرتد إليها على شريط أراضي الشجيرات المنخفضة والبلدات الصغيرة والأشجار السريعة كالبرق على النافذة، وأخيراً شعرت بالرعب؛ ولو أنَّ شخصـاً، مراسلاً صحفياً يجلس قبالتها، مثـلاً، أو الله، ربما، يحمل آلة تسجيل رقمية صغيرة ومايكروفونـاً، سألها، لعجزت عن إعطاء سبب واضح.

أشاحت ببصرها بعيداً عن صورتها. حاولت أنْ تتخيَّل أنَّ لا وجود لأمر. قالـت لنفسها، عندما أصل إلى المنزل، سيكون الصيف قد حلّ. سوف أكون منهمكة في مشروع فتاة المزرعة ليكون الإصدار التالي في سلسلة جنيوين. سأكون قد أنجزتُ نصفه.

لكـنَّ الأمـر أشبه بمحاولـة تخيُّل أنـه لا وجود لشـيء اسمه علامة تعجُّـب، أو محاولـة نسيـان لحن حفظتـه ذات يوم عن ظهـر قلب. أو بالأحرى، عن ظهـر عقل؛ فقد اقترح بحث أُجري حديثاً، كانت إيف قـد قرأته في مكان مـا، أنَّ الألحان في الواقع تُحفَـر، كأنما بطرف شفرة سكين، في أذهاننا.

أقلَّ مايكل إيف من المحطة بالسيارة.

تكلَّـم عن بترارك وسيدني، والبُنى والانحرافات. كان جلياً أيضاً أنه

Twitter: @ketab_n

على علاقة حب مع أمبر، وهذه المرة لم تكن الآثار عادية[٦١]. بدل ذلك، أصـاب الصيّاد البطة بجرح وانتابته الحيرة لأنَّ نصف رأسها قد نُسِفَ، وكانــت لا تزال تتخبّط على قدميهـا المتشابكتين على حافة البركة. من أحد جنبيها بدت كأي بطة عادية. أما من الجانب الآخر، فقصة أخرى.

عندما وصلا إلى المنزل، توجهت مباشرةً إلى أمبر في غرفة الاستراحة لتفاجئها وهي تضع إحدى يديها بصورة ما عند التقاء فخذيّ ماغنوس. نهضَ ماغنوس واقفاً.

قالت أمبر: «لا بأس. إنه في السن القانونية».

قال ماغنوس: «لقد كانت أمبر تساعدني في شدّ السحّاب».

دخلت أستريد على عجل قادمة من الحديقة وأول ما فعلت كان أنها ارتمت على أمبر على الأريكة وعانقتها عناقاً غامراً.

زمجرت أمبر.

قالت أستريد لإيف، أثنــاء العناق: «مرحبا، لقد أمضينا نهاراً رائعاً. أنا وأمبر ذهبنا لصيد السمك».

قالت إيف: «صيد السمك. عظيم».

قالت أمبر: «نعم».

---

٦١ – هنــا يوجد لعب بكلمة duck، فإلى جانب معناها العام «بط»، فإنها تدخل هنا في تعبـير لا صلـة له بكلمــة بـط. water off the back of the duck وتعني أمر يحدث دون ترك آثار. – المترجم.

Twitter: @ketab_n

قالت أستريد: «ذهبنا إلى النهر وحاولنا أنْ نتعمَّد ألا نُمسك بأي سمكة. كنا نرمي الصنارة من دون خطافات».

قالت إيف: «ألم يكن ذلك تصرفاً بلا معنى؟».

قالت أستريد: «نعم، تماماً».

قالت أمبر: «حرفياً».

وباشرت هي وأمبر تقهقهان، ثم نهضت أمبر واقفة، وأمسكت ابنة إيف من ذراعيها، وراحت تدور حول عقبيها تدور مع أستريد في الهواء.

في تلك الأثناء، مرت أيام. كانت تمر بلا رجعة، وكأنَّ موجة من الحرّ ضربت كل شيء وجعلته ضبابياً ومبهماً ومغموراً، غارقاً تحت المياه نهاراً إثر ليل إثر نهار.

قالت إيف لأمبر قرابة بداية النهاية: «كيف حالك الآن، بعد ما حصل للطفل؟».

قالت أمبر: «أي طفل؟».

قالت إيف: «الطفل. الطفل. الطفل الذي. أنت تعلمين. الحادث».

قالت أمبر: «أي طفل؟ أي حادث؟».

ما الذي يمكن أنْ ترغبي في معرفته عن نفسك؟ الحلم أم الواقع؟ War es nun schon alles أأنتِ حقاً إيف؟ ما أخبار إصدار سلسلة جنيوين الجديد؟ أي طفل؟ أي حادث؟

Twitter: @ketab_n

أصبحت بشرة أمبر، الواقفة بجمالها الفائق عند إطار باب السقيفة، داكنــة بسبب أشعة الشمس المشرقة عليها من الخلف. اقتربت من إيف، التــي تعمل علــى حاسوبها المحمول، على كرسي عنــد طاولة الكتابة، ووقفت أمامها ويداها على كتفيّ إيف وكأنها تنوي أنْ تهزّها هزّاً عنيفاً.

ثم قبّلتْ إيف على فمها؟

تأثّرت إيــف بالقُبلةبدرجة لا تُصدَّق. والمكان كان مُرعِباً بدرجة لا تُصــدَّق. هناك، كل شيء كان مختلفاً، وكأنها وُهِبَتْ بقُدرة جديدة على الرؤيــة، وكأنَّ أيادٍ خفيّة ثبّتت عليها رأســاً يستطيع أنْ يكشف عن كل الألــوان الخفية، الــلا مُسمّاة التي تقع خلف مجموعــة الألوان الإنسانية الأساسيــة، وكأنَّ العــالم الــذي يفوق قدرتهــا على رؤيتــه أبطأ خطاه خصيصاً ليكشف عــن المسافات بين ما تراه عادة والطريقة التي تترابط بها الأشياء مؤقتاً معاً بخيطٍ رفيع يمتد عبر تلك المسافات.

كانت أمبر الآن تمشي عائدة عبر الحديقة، وهي تصفّر، وتضع يديها الجميلتين في جيبيها اللتينْ تشكلان قبضتين جميلتين في الظلام.

أغلقت إيف جهاز حاسوبها المحمول ثم أغمضت عينيها.

كان مايكل في المطبخ يُقطّع الطعام إلى مكعبات متساوية في الحجم بالسكــين. وجاءت أستريد راكضة مــن غرفة الاستراحة. كان ماغنوس قد فتح باب غرفة النوم ويهبــط الدَرَج. وانتظرتْ إيف إلى أنْ اجتمعوا جميعاً وأصبحوا على مرمى سمعها. ثم استوقفتْ أمبر في الرواق.

قالت: «وداعاً».

Twitter: @ketab_n

قالت أمبر: «هه؟».

قالت إيف: «حان الوقت. وداعاً».

قالت أمبر: «إلى أين أنتِ ذاهبة؟».

قالت إيف: «أنا لست ذاهبة إلى أي مكان».

قالت أستريد: «ماما».

وقفت أستريد كالمتجمدة. وتجمّد ماغنوس على الدَرَجة. كان صوت التقطيع القادم من المطبخ قد توقّف؛ كان مايكل هناك والسكين متوقف في الهواء كالمتجمد وسط التقطيع.

قالت أمبر: «هذا صحيح، على الأقلّ. لن تذهبي إلى أي مكان».

قالت إيف: «والمعنى؟».

قالت أمبر: «أنتِ في عِداد الموتى».

قالت إيف: «اخرجي من بيتي».

قالت أمبر: «هذا ليس بيتك. أنتِ مجرد نزيلة فيه».

قالت إيف: «اخرجي من المنزل الذي أستأجره».

Twitter: @ketab_n

وُلِدتُ بعد أقــلّ من قرن من ولادة الفرنسي الذي ترجمة اسمه هي السيد نــور[٦٢]، الــذي، في ثلاثينيات عمره، في أواخــر عام ١٨٩٤، أمضــى ليلة قلقة، وجافاه النوم، وشعر بتوعُّك، فاعتدل في جلسته على السرير، ثم نهضــ، وراح يتجول في أرجاء المنزل و - وجدتُها! طبعاً ! تقنيّة «القدم المتقطع»![٦٣] كاستخدامات آلة خياطة لنقل المادة! وفوّضَ كبــير المهندســين في المصنــع. ويجلس لكــي يُحدِث ثقوبــاً صغيرة في أطروحته المصوَّرة. ويقوم هو وأخوه بتصميمه: صندوق من الخشب له عين. إنه يُسجّل ما يرى على شكل ظلال سوداء، وبيضاء ورمادية على فترات طول كل منها ٥٢ ثانية.

ويصل قطــار باريس السريع.[٦٤] وتغوصــ رؤوس المشاهدين في الصفــوف الأماميــة! والعمال يخرجــون من مصنعهــم.[٦٥] ويبدي

---

٦٢ - المقصود به أحد الأخوين لوميير اللذين اخترعا التصوير السينمائي. - المترجم.

٦٣ - على غرار التيار المتقطِّع.

٦٤ - المقصــود هنــا أول لقطة سينمائيــة التقطها الأخوان لومــيــر وهي دخول قطار باريس السريع إلى المحطة. - المترجم.

٦٥ - وهذه أيضاً من اللقطات السينمائية الأولى التي التقطها الأخوان لوميير. - المترجم.

Twitter: @ketab_n

المشاهـدون تعجّبهم!وصبـي يزعـج بستانياً بخرطوم الميـاه. ويكاد المشاهـدون يقعون عن مقاعدهـم من فرط الضحـك! أناسٌ يلعبون الورق. المشاهـدون يُدهشون من الطريقة التـي تتحرّك بها الأوراق علـى الأشجـار التي تظهر خلـف اللاعبين بالـورق في وجه الريح! مئـات القطارات تصل إلى مئات المحطات. مئـات العمال يُغادرون مئـات المصانع. مئات البستانيين يعبث معهم مئات الأولاد بخراطيم الميـاه. مئات من أوراق الشجر تتحرك على مئات الخلفيات. ***ملاحظة خاصة للعمال والعاملات. لماذا تقفون في البرد والمطر في حين يمكنكم قضاء ساعة ممتعة بنس واحد، بين السـاعة ١٢ والسـاعة ٢ بعد الظهر، ما عدا أيام السبت. تعالوا وشـاهدوا أحداث النهار المُصورة بالصور الحيّة***. رجل يُهاجمه أسد. اثنان، يتبادلان القُبل. موكب جنازة فيكتوريا، نهائيات كرة القدم، السباق الوطني الأكبر، أشهر الطائرات في العالم، مصحوبة بآلـة وورويك الشهـيرة للعرضـ السينمائي. الموزيك هـول تصبح قاعـة العرض السينمائي المركزية، يديرهـا آل ماكنزي على أرضهم. استأجـروا عازفة على البيانو لإضفاء سِمة الاحترام على المكان. علاء الدين ومصباحه العجيب. «***ما ستفعله النسـاء***». «***صندوق الراجا***». امرأة تخرج من الصندوق داخل كهـف وتستحضر راقصينيُحيطون بهـا. والرقيب دَهنَ الأجساد في كل إطـار بالحبر الأحمر. والأحمر يرتعش من أعناق وسيقان الراقصين.

الأحمر يعني العاطفة المشبوبـة، أو شيئاً يتلظّى ناراً. والأخضر يعني الريف. الأزرق يعني الليـل والظلام. وأمبر (الكهرمان) يعني المصابيح المُضاءة في الظلام. .

إنقاذ من عش الصقر. الشاعر ذو النزعة الانتحارية. ***شكسبير الطنّان***

Twitter: @ketab_n

يُجرب اثنا عشر نوعاً جديداً مختلفاً من الانتحار. ولا ينجح في أي منها ولكنه يموت في كل الأحوال. إنه صيّاح من البداية إلى النهاية. ثمة رجل يقف على خشبة المسرح ويحكي للمشاهدين القصة أثناء مشاهدتهم لها. هناك فتاة صغيرة يخطفها الغجر، يهرّبونها داخل برميل. يقع البرميل في النهر. فينجرف إلى المنحدرات المائية السريعة. ومُضارب بالقمح يعقد صفقة مُربحة مما يعني أنْ يبقى المئات من عماله فقراء. ويقع بالمُصادفة داخل مخزن قمحه فتمتلئ الشاشة باللون الذهبي بينما القمح المنهمر يخنقه. دار القاعة المركزية تغيّر اسمها إلى سينما قصر الحمراء. *هذه الدار صُمّمت خصيصاً، تماشياً مع عمل السينماتوغراف، لتوفّر الراحة والأمان، وسوف تُضاهي أي دار للسينما حديثة ومن الدرجة الأولى في لندن أو غلاسغو.* ومُضاف إليها غرفة لشرب الشاي. وتتسع لفرقة موسيقية كاملة: عازف للبيانو، وللتشيللو، وللكمان، وقارع طبول. وتتسع لألف مقعد. وخشبة المسرح مساحتها أربعة وثلاثون قدماً وجانباها مُزخرفان بأشكال شرقية. ومديرها المقيم، السيد برنيت س. ماكونالد، يُقرقع بسلاسل داخل برميل من خلف الشاشة تمثيلاً لسباق العربات في قصة بن هور. وفي ليلة كل يوم خميس يأتي أخوان من بلاك آيل عبر المعدية مع كلابهما ليشاهدوا السينما وفي كل أسبوع يجلسون على المقاعد نفسهما. وذات أسبوع لا يأتي الرجلان ولكن يُعثَر على أحد الكلاب، وهو من نوع وييت رمادي اللون اسمه هكتور، جالساً في مقعده المعتاد ويبقى هناك طوال مدة العرض.

قتال، ونيران، وشغب، وعواصف: بيتهوفن، ووليم تل، وفاغنر. تآمر، ولصوص، إلى آخره: غريغ، ليست، بيتهوفن. حب أو رومانسية: «صديقي العزيز»، «إشراق ابتسامتك»، «آه جففي هذه الدموع».

Twitter: @ketab_n

«قبـلات»: كل الجالسين علـى المقاعد الرخيصة يُصفّـرون للشاشة. في الواقـع إنّ الفيلم يكون جيـداً إذا كان السطح مكسـواً بخربشات تشبه مطراً غزيـراً. تشابلن هو ملك بـلاد المطر. عصاه الخيـزران عليها أثلام تشبـه مفاصل عِظام العمود الفقري. إنـه ينقر قبعته لكل مَنْ يُصادف في الشارع. ويتوقف ليتفحّص ثقباً في حذائه. وتمرّ به سيارة تسربله بسحابة مـن الغبار. وسيارة أخرى تسير بالاتجاه المعاكس تجعله ينقلب على نفسه من جديد. ينهض واقفاً. ينفضـ ملابسه بفرشاة ملابس صغيرة. يجلس تحـت شجرة. ينفـخ على أظافـره قبل أنْ يـأكل قطعة من الخبـز الأسود العتيق. ***لقد أبلغت إدارات عدد من دور السـينما أنه بعد مرور أسـبوعين على عرض هزليات تشـارلي تشـابلن أصبح من الضروري شـدّ براغي المقاعد جيداً بما أنّ المشـاهدين يضـحكون بقوة بحيث أنّ الاهتزازات تُرخيها***. تصبح على خير يا تشـارلي، هكذا يهتف الصِبية بين المشاهديـن في نهاية أحد أفلام تشابلـن القصيرة. ثم تتقـدم البطلة الموثقة إلى الجهـاز الميكانيكي بثبات نحـو المنشار الدائري الهزّاز. ***ما الرجال إلا فتية صـغار وُلدوا طوال القامة***. ويظهـر الماضي هناك في القاعـة، الفُرجة في الغَابـة، الميّت حاضر هناك في القاعـة. ***يا جبان. لقد فررتَ وأنتَ تعرف الحقيقة! سـوف أحرص على ألاّ يعرفـك أبنكَ أبداً***. يسوع يُنقذ الطفل الأعمى. أوه - أوه نعم - أعتقد أني أرى النـور. نور الحب. ميري بيكفورد تُخبر الراهبة أنها تريد أنْ تستعيد الطفل. فتهز الراهبة رأسها رفضاً. أعلم، ***أيتها الأخت لوتشيا، أنك تعتقدين أني مجنونـة. لكني لسـت كذلـك***. تُطلق الشرطـة النار على عمـالَ المناجم المُضربين وترديهم قتلى. ***الصـيني الوثني يختبر نتيجة ألفيّ عام من الحضـارة***. توشـك ليليان غيش أنْ تفقد رأسها خلال الثورة الفرنسية. ***عندما تعشـق المـرأة، تغفـر***. كونستانس مـادج تعيش في الجبال وترفض أنْ تتزوج. ***«دماء زرقاء وحمراء»***. ***«الوصـايا العشـر»***. ***«آل كامبل قادمون»***. ***«الكبرياء***

Twitter: @ketab_n

والعشـيرة». امرأة تأخـذ حمّاماً في فيلم روائي لسيســل دو ميل. يُصبح طـراز الحمّام سائـداً العالم كله بين ليلـة وضحاهـا. «**آلام البيوريتانيين**». «**إغـواء**». «**العبث بـالأرواح**». «**دون خوان**». «**مغامـرات دوروثي دير**»، «**ابنة شـجاعة**». «**راعوث ابنـة جبال روكي**». «**لؤلؤة الجيشـ**». أرشيدوق يترجّل من سيارته الرسمية. سائق سيارة الأرشيدوق الخاص يدور حولها إلى المقدمـة ليتفحّص الضرر الذي نالها بسبـب القنبلة. ***أمةٌ زالت، حدودٌ مُحيتْ، أرض خصبة أضحت صحراء، وملك نُفيَ - ومُصور صحيفة باتيه نيوز موجود هناك***. سبعة رجال أو ثمانية يخرجون من الخندق. أدهم ينزلق إلى أسفل، ويسقط ميتاً. دار سينما قصر الحمراء، غرفة لتناول الإفطار، وغرفة لشرب الشاي وموقف للسيارات. ***ليت لدي صـورة تتكلّم - صورتك***. في نهايتـه يجلس المشاهدون يرين عليهم صمـت الذهول. الفرقة الموسيقية لا تعمل. الأفـلام الأوروبية تتوقف. الأفـلام الأميركية تتضاعف ثلاث مـرات. هناك ست دور للسينما. وهي مجرد بلـدة صغيرة. الطوابير أمام كل دار سينما بطول ساعتين. الإمباير البالاس البيليهاوس الكوينز البلازا وقصر الحمراء. هناك مقاعد ذات ظهر من خشب ومقعدة عليها وسادة. وهنـاك جدران ذات زخرفات فنية. هناك أعمـدة. حول أعلى الأعمدة كُتبـت الأحرف A P H بالذهب. هنـاك ستائر ذهبية كشاكشها الملتوية الحسيّة تعلـو وتعلو بتكرارٍ حسي لا يُصدَّق. هناك أضواء عالية جداً على السقـف المـزدوج القبّة بحيـث لا يستطيع إلا الله أنْ يُغـيِّر اللمبة. رقيب أول مـن الحرب الأولى متقاعد يرشـ رذاذاً مُضاداً للجراثيم مضغوط في علبة مكسوة بالكروم على طول الممر بين المقاعد ***للحفاظ على الجو مطهّراً ومُعطّراً، حفلة بعد حفلة، ويوماً بعد يوم. أضف على منزلك جواً حديثاً. احصل على نضـارة عطِرة في كل مكان. شركة سـينتينل سـيلز نيو هايجين المحدودة، ٢٦٦ - ٢٦٨ شارع هولواي، لندن N7.***

Twitter: @ketab_n

الطابق العلـوي يُكلّف نقوداً أكثر. شاغلو الطابق السفلي يصرخون في الشاشة بلكنة أميركية. وشاغلو الطابقين يهتفون معاً في وجه الأفلام البريطانية التي يظهر فيها أناسٌ يرتدون ملابس السهرة ويتبادلون كلاماً يبدو مخنوقاً. أفلام كرتون، قصيرة، نشرة أخبار، أفلام جذّابة قادمة، أفلام بريطانيـة، أفلام ضخمـة، «*فليحفظ الله الملكـة*». الناس يُحضرون معهم شطائرهم. حول العالم بالصوت والصورة على بساط الأنغام السينمائية السحري. بأربع بنسات يمكنـك أنْ تشاهد فيلم «الأرض الطيبة»، أي بسعـر رغيف خبـز. «*العالم يتغيـر*». «*أنا لص*». «*سـيدة مـن المجهول*». «*امرأة تقارع امرأة*». «*هيا نتزوج*»، تعرض مع «*مغامرة خطرة*». «*مسـيرة الزمن*». «*المُنشأة العالمية*». دور العرض السينمائي الست كلها مُغلقة لمدة أسبوعين تحسّبـاً لحصول غزو. أُعيد فتحها بعـد أسبوع. كلها أعتمت لمبات النيون فيها. «*الدكتاتور العظيم*». «*فتى يُقابل فتاة*». مدير دار سينما الحمـراء، السيد أ.هـ كامبـل، يعتلي الخشبة وسط عرض فيلم لفرانك سيناترا. «*انتصـار في أوروبا*». الجميع يُهللون. «*الانتصـار على اليابان*». «*آمال عريضـة*». «*ذهب مع الريـح*». أطفال يبكون يُحملون إلى الخارج أثنـاء عرض فيلم «*بامبي*» وسط حريق الغابـة. الناس يشترون أجهزتهم الخاصة من التلفاز ويشاهدون حفلات التتويج وحدهم. الشاشة تُصبح أكـبر حجماً بثلاث مرات. سينرامـا. سينماسكوب. الشاشة العريضة. الرؤية الطبيعية. أسدٌ يقفز نحو المشاهدين. «*أعظم عرض على الأرض*». «*بن هور*» من جديد. «*الوصايا العشر*» من جديد.

تزحـف نملـة إلى أعلـى ورقة العشب الخضـراء النامية مـن شق في قبر سيسيـل ب. دو ميـل. سينمـا بلازا تتوقـف عن عرض الأفـلام. سينما كوينـز أُحرِقت. سينما إمباير أغلقت أبوابها. سينما بلايهاوس تتحول إلى

Twitter: @ketab_n

صالة لعب بينغو. «حاف في المتنزه». «بعيداً عن الحشد المجنون». ناتالي وود وروبرت ردفورد يضحكان وهما في طريقهما إلى المنزل عائدان من السينما مارّين بعبارات «هذه الأرض للمصلحة العامة». «هدم». «هدم». «نادي بنغو». «هدم». نادي بنغو. كنيسة «مجيئيو اليوم السابع». «هدم». «هدم». «بيع سيارات في الهواء الطلق». «هدم». «كنيسة». «هدم». «ملهى ليليّ». «هدم». «هدم». «ملهى ليليّ». «هدم». «مطعم». «هدم». «واجهة مُدرجة». «نادي بنغو». «هدم». «هدم». «هدم». «هدم». سيارة ستيف ماكوين البورش تتحطم على مضمار السباق. هل سينجو؟». سينما برادفورد إمباير. سينما بلمستيد إمباير. سينما ويلسدن إمباير. سينما بنج إمباير. مضمار سباق كولتشستر. سينما غلاسكغو نيو سافوي. سينما إيغبرث ريفولي. سينما دينغل بيكتشردوم. سينما كيركووال فينيكس. سينما هاروغيت سكالا. سينما ساوث شيلدرز سكالا. سينما ليدز كوليزيوم. سينما كيركالدي ريالتو. سينما كلافام ماجستيك. سينما قصر الحمراء دارلنغتن. سينما قصر الحمراء بيرث. سينما لوتن بالاس. سينما لارغو بالاس. سينما سترود بالاس. سينما بريستول بالاس. سينما ميدا فيل بالاس. تتلاشى إلى دوائر. تتلاشى إلى السواد. إنهم يهدمون الجدران والأفلام كلها تنهض من ذواتها الميتة، شفّافة كالأرواح المتراكبة للموتى التي تنهض في جثثها.

برت لانكستر يُقبّل جينا لولوبريجيدا وهما على أرجوحة البهلوان عالياً فوق الجمهور.

غرفة ممتلئة بشخصيات اجتماعية تتنفّس غاز النوم الذي يُضخّ من خلال نظام التهوية للمنزل العتيق الفخم. جميعهم ينهارون.

Twitter: @ketab_n

رجلٌ يشحــن طائرة حربية عظيمة بالقنابل يرفعها عالياً لكي نراها. القنابل تنطلق بخطٍ منحنٍ إلى هدفها كأثداء النساء العارية.

الموتى في ساحات القتال كلها ينهضون ويسيرون. يسيرون ويسيرون، يُصبحــون حشداً غفيراً. يعرجــون، مُضمَّدين، شاحبــين، يحمل بعضهم بعضــاً، ليس كالموتــى الأحياء، بل كأناس مُحطَّمــين حقيقيين، يسيرون إلى منازل الأحياء ويُحدّقون من خلال النوافذ.

ثمة امرأة تقود فرقة موسيقية صغيرة عازفوها ليسوا أكبر من يدها.

ثمــة فتاة ريفية تقف تحــت وابلٍ من القطع النقديــة الذهبية. قبل دقيقة كانــت أشد فقراً من أنْ تجد طعاماً. ثم يُفتَح بــاب أمامها. يؤدي إلى أرضٍ سحرية.

يظهر الــوكلاء من المجهول في وسط الغرفة. كانــوا يعلمون ماذا يريد أصحــاب المنــازل - أنْ ينقلوا كل شيء إلى منزل آخــر إلى الطرف القصيّ مــن المدينة. هزوا رؤوسهم طاعة - وتلاشــوا في الأثير، في لحظة ظهروا، وفي أخــرى اختفوا. شُده أصحــاب المنازل. أخــذوا يرتجفون ويهرشون رؤوسهم. ثم أخذت الكتب تهبط من تلقاء نفسها عن الأرفف. وتقفز إلى عتبة النافــذة. وارتموا من النافذة. وأخذوا يقفــزون مرحاً جيئة وذهاباً في الشارع، ويُلوحون بصفحاتهم. والأطباق نزلت عن خزاناتها. وتبخترت صفاً واحداً إلى النافذة وقفزت منها. وتبعتها الأكواب. ورمت بنفسها إلى الخارج. و لم ينكسر أياً منها. وسكاكين المائدة نهضت ومشت. والكراسي قفــزت من النافذة. والملابــس طارت خارج الخزانــة. والأحذية، الكبيرة أولاً، ثــم أصغــر أحذية الأطفال، ســاروا خارجين من المنــزل. والسجاد التفّت حول نفسها ومن ثم إلى الخارج. وأصبح المنزل خالياً.

Twitter: @ketab_n

باليــه دو لوكس، قصر الحمراء، مكان مــن صنع خيالي. وأصبح اسمي مُرادفاً لاسمه.

العمــال يذهبون إلى منازلهم من خلال بوابات المصنع. إنه نهاية يوم طويل، طويل.

Twitter: @ketab_n

إنها نهاية

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

العالم حتى وإن لم يزد عرضه عن ١ كيلو متر، وهي مساحة تبدو صغيرة جداً، وحتى لو قُطِعَتْ بسرعة لا تزيد عن ٢٠ كيلومتر في الثانية، وهي سرعة تبدو بطيئة جداً، سوف تبقى النهاية، النهاية المُطلقة. لنفرض أنها حلّت بمكان مثل أميركا والناس في مكان آخر لا يأبهون لذلك لأنهم أبعد ما يكون عن أميركا؛ لنفرض أنها حلّت بأميركا ومن ثم اندفعت قطع أديم الأرض المحترقة إلى السماء وانهمرت على إنكلترا، وأماكن أخرى، فسوف تحترق إنكلترا بأكملها، ليس فقط لندن، ليس فقط إزلينغتون. سوف تحترق نورفوك، وستراتفورد، وريتشموند وكيو، وذلك المكان القريب من بدفورد حيث عليهم أحياناً أنْ يذهبوا لأنَّ والديّ مايكل يقطنان هناك، سوف يحترق، وهبدن وكل الأماكن الأخرى التي لم تذهب أستريد إليها سوف تحترق. اسم أستريد يتألّف من مقطعَين صوتيين هو تصغير لكلمة أسترويد (كويكب)[٦٦]. أستريد الأسترويد. حزام أسترويد يقع بين المُشتري والمريخ. والكويكب هو ركام من الصخور الفضائية مجتمعة معاً في كتلة صخرية واحدة ضخمة لها جاذبيتها الخاصة ويمكن أنْ يصل عرضها إلى كيلومتر أو أكثر. والأسترويد هو نجم على مجموعة ستروييد[٦٧]. إنه ما يحدث للديناصورات. ربما لا يلزم إلا واحد فقط، لا

---

٦٦ – الأقواس من وضع المترجم.

٦٧ – مجموعة من المواد الكحولية الصلبة.

Twitter: @ketab_n

يزيد عرضه عـن ١٠ كيلومتر، لجعلها بالضبط كذلك، أي ديناصورات. ولكن في وقت أقرب بكثير من ذلك، قبل فقط خمسة وثلاثين عاماً على وجه الدقة، وهي مدة غير بعيدة فيما يتعلّق بالتاريخ وهي فقط نسبة سابقة قصـيرة نسبياً من الزمن، ضـرب أسترويد صغير جداً، يكاد لا يُحسب له حساب، منطقة سيبيريا والعجيب أنه لم يُقتل بسببه إلا ستة أشخاص على الرغم مـن أنّ قوته التدميرية تعـادل ١٠٠٠ من أسلحـة التدمير الشامل الكاملة. ومن الجنون القول إنّ الجنس البشري كان محظوظاً لأنه لم يسقط إلا على سيبيريا.

إنهـا ليست خائفة مـن تخيُّل النهاية. سوف تكـون هناك سناجب تحترق وظربان تُقـذَف في الهواء، حمراء تتوهج في الظلام كجمر حيّ بحجـم سناجب، سوف تكـون هناك قنابل من الظربـان النارية وقطع تحـترق من ذلك الجسر من سـان فرانسيسكو وقطع مـن استوديوهات أفـلام وتلك القلعة والأحصنة الزائفة في مدينة ملاهي ديزني لاندومبنى إمباير ستيت، تتوهـج كجمر ضخم، مندفعة إلى آلاف الأميال في الجو ثـم تسقط من جديـد على بُعد أميـال، مُكتسبةً سرعة ومـن ثم تتهشّم علـى واجهة ساعة بيغ بن، وعلـى مبنى البرلمان، وعلـى جسر واترلو، والـ «عـين»[٦٨] ينهار على جنبه ويتناثر كل من عليه من أشخاص داخل المقصـورات الساقطـة وكأنهم داخـل كرات من الثلـج، والأبنية كلها تتلظّـى ناراً، صالة تيت مودرن للفنون تلتهـب بالنار، والأعمال الفنية تشتعل، والمطعم يحترق، والدكان يحترق.

---

٦٨ – العين: أو عين لندن، كما يُسمى في بريطانيا؛ هو دولاب مدينة الملاهي. أقيم في لندن قبل بضع سنوات وكان الأضخم من نوعه. – المترجم.

Twitter: @ketab_n

تتثاءب أستريد.

لقد استيقظت باكراً جداً.

إنــه الصباح لكــنَّ الظلام لا يزال سائــداً في الخــارج. إنها تطل من النافـذة إلى السمــاء فـوق المنــازل. هنــاك الضوء الـذي تنشـره أضواء الشوارع، ثم ظلام السماء فوق. الحرارة لم تنبعث بعد. الجو بارد. وهي ترتدي واحــدة من سترات البيجامات الحمراء الجديدة. لديها اثنتان من القمصان الصوفية الحمـراء الجديدة وسترة صوفية حمراء جديدة وكلها مرتّبة واحدة فـوق الأخرى فوق سترة البيجامـا والسترة الصوفية فوق الكل.

قالــت أمها: «لا يمكنك أنْ تحصلي على كل شيء باللون الأحمر. لا يمكن أنْ يكون كل ما لديك باللون نفسه».

قالت أستريد: «إنها تدريجات مختلفة للون الأحمر».

قالــت أمها: «على أي حال أنا لست مقتنعــة تماماً بأنَّ الأحمر يليق بك، يا أستريد».

تنشّقــت أستريــد وسلّمتها الســترة الصوفية الحمــراء. تنهدت أمها وأخذتها إلى صندوق المُحاسبة.

لكــنَّ مايكل لا يلاحــظ أو لا يهتم باللون الــذي تنتقيه أستريد وهو مسؤول عن دفع ثمن الأغراض ريثما تعود أمها، وحتى ذلك الحين كل ملابسها تقريباً سوف تكون باللون الأحمر.

Twitter: @ketab_n

أقحمـت قدميها داخل طـرفيّ بنطلون البيجامـا، التي لحسن الحظ كانت أكبر من مقاسها بقليل. سوف تكبر وتصبح على مقاسها.

كثير من الناس استيقظوا وأضاؤوا الأنوار في منازلهم على الرغم من أنـه كان لا يزال الوقت مبكّراً جداً والدنيا ظلام، استعداداً للذهاب إلى العمـل إلى ما شابه. الساعة ٦،٣٥ صباحـاً حسب ساعة المنبه الرقمية، التـي تُرسل إشارة إلى غرينيتش وتستقبـل منها التوقيت الدقيق. غرفتها تفـوح برائحة السرير الجديـد والأشياء الأخرى الجديـدة كلها. رائحة الأغراض الجديدة مثيرة للوهلة الأولى، ومن ثـم تصبح مزعجة قليلاً. تعـمّ الرائحة كل شـيء. الآن أصبح كل شيء عمليـاً جديداً، كل شيء تقريباً بالمعنى الحرفي موجود هنا وكل شيء تقريباً مُبعثر في أرجاء المنزل كله.

كان مشهد ألـواح الأرضية مذهلاً. ومشهـد الجدران مذهلاً. ولا يـزال التفكـير في ذلك مذهـلاً. إنَّ وصولك إلى المنـزل والدخول من خـلال الباب الأمامي حيث كل شيء عـار كأنكَ تسمع أنفاسَك للمرة الأولى؛ كأنَّ شخصاً جعل تنفّسك يصل إلى أقصى مستواه داخلك.

إنَّ أستريـد لا تشتاق حقاً إلى الأغراض القديمة، فقط إلى بعض منها. أشـدّ ما أعجبها هو عندما كان المنزل لا يـزال خالياً تماماً من الأغراض وعادوا بعـد أنْ أمضوا ثلاث ليالٍ في الفنـدق وناموا في حقائب النوم المُستعارة على الأرض إلى أنْ وصلت الأسرّة. كان مذهلاً أنَّ أكثر الأبواب الرائجـة وليس شيئاً أكبر حجماً قليلاً أو أوضح قليلاً، كطبّاخ آغا Aga أو الحاسوب أو الطبعـات الأولى أو المخطوطات، هي التي دفعت أمها أخيراً إلى البكاء.إنَّ أمها غائبة الآن منذ ثلاثة أسابيع وثلاثة أيام. وموعد

Twitter: @ketab_n

عودتها غير مُحدَّد. إنها فيما يُشبه رحلة حول العالم. ويبدو أنها ضرورية جداً. وفي اعتقاد أستريد هذا منتهى عدم الشعور بالمسؤولية.

كانوا قد عادوا إلى المنزل من العطلة وولجوا المنزل الخالي ووقفت أمها وراحت تحدِّق، كما فعلوا جميعاً، أولاً في الردهة ثم انتقلوا إلى كل غرفة. في أول الأمر ضحكت أمها ومايكل، وهما واقفان أو يتجاوز أحدهما الآخر، وعيونهما مفتوحة وكأنهما لا يُصدقان ما يريان، وكأنه مقلبٌ كبير. ثم حاولت أمها أنْ تفتح الباب لكي تهبط إلى الطابق السفلي وترى ما حدث هناك لكنها لم تتمكن من فتحه لأنه لم تكن هناك أُكرة.

عندئذٍ بدأتْ تبكي.

راحت تردِّد، لقد كانت قطعاً فنية. وبقيت تُكرر هذا القول، كالمجنونة. كانت أُكرُ الأبواب قطعاً فنية.

بالنسبة إليها كانت أُكر الأبواب هي النهاية. إنَّ النهاية ربما تختلف من شخص إلى آخر. وأستريد تعتقد الآن أنَّ هذه في الحقيقة نهاية مُثيرة للاشمئزاز، أي أُكر الأبواب. بعد ذلك أخذت أمها تُكرر، إنها النهاية. النهاية المُطلقة.

الأسرّة، الكراسي، خزانات الأطباق والكؤوس، الأبواب المنزوعة عن الجدران، خزانات الملابس، الأشياء كلها في خزانات الأطباق والكؤوس والملابس والمجموعات كلها. حتى لقطات مُفاجئة أُخِذَتْ من المجلات إلى آخره نُزِعَتْ عن جدار أستريد. حتى الصمغ الذي أُلصِقت به. ودواليب الأدراج، وأشياء مثل المقصّات والأربطة المطاطة

Twitter: @ketab_n

إلى آخـره، وقِطع من خيط كانــت في الأدراج. لم يتركوا أي شيء. ولا حتــى زر ضائع. وكأنَّ الأرضيات كلهــا نُظِّفتْ تماماً. ولا حتى مشبك أوراق سقــط في شقٍ في الخشب. الشيء الوحيــد الذي لم يستولِ عليه اللصوصــ كان الهاتف المُجيب. كان يُصدر صوتاً على الأرض بجوار الجــدار في غرفة الطعام بضوئه الأحمر الصغير يومض وينطفئ. سمعوه عندمــا فتحــوا الباب الأمامي، هــذا ما يحدث في المعتــاد، يمكن دائماً سماعــه عندما تصل إلى المنزل وتفتح الباب الأمامي، لذلك لم يكن أمراً مُستغرَباً أنْ يسمعوه، ما عدا أنه في هذه المرة بدا صوته عالياً بصورة غير طبيعية. بدا أعلى بكثير بسبب خلو المكان من كل شيء آخر. لكنهم مع ذلــك أخذوا الهاتف، لذلك استدعى مايــكل رجال الشرطة باستخدام هاتفــه المحمول. قال مايكل، لقد سُرِق المنــزل بأكمله. جُرِّدَ حرفياً من كل شيء. ثــم اتّصل بالفندق. بدا صوته غريبــاً لأنهم أخذوا السجاد، حتــى سجاد الدَرَج، لذلك بدت الأصوات في المنزل مختلفة كلياً. مجرد أنْ يقول أحدٌ شيئاً، أي شيء، بصوتٍ عالٍ، يبدو غريباً.

وهكــذا، أولاً عــادوا مــن نورفــوك وأوقفــوا السيــارة. ثم فتحت أمهــا البــاب. وحالما ولجوا المنــزل انتبهت أستريــد إلى صوت الصفير. ثــم لاحظت أنَّ ثمة شيئــاً مختلفاً، ذلك لأنَّ مشجــب المعاطف كان قد اختفــى. ثم لاحظــت أنَّ شيئاً آخر قد اختفى أيضــاً ثم تذكّرتْ ما هو، إنــه خزانة الكتب، لأنها تذكّرتْ شــكل الخزانة في الردهة. ثم وجدتْ أنَّ المواقــع على الجدران التي تبدو غريبة هــي المواقع التي كانت تحتلها الصــور. قالت أستريد في نفسها، أمرٌ غريــب، لأنه استغرقَ منها لحظة لتتذكــر، وأحياناً كان مــن الصعب في الواقع أنْ تتخيّل من جديد شكل الشيء الذي كان في الموقع ثم سُرِق.

Twitter: @ketab_n

ثـم ولجوا الغرفة الأمامية، ثم الاستراحـة، فغرفة الألعاب، فالمطبخ، ونظرت إلى الأغراض كلها التي اختفت من هناك.

إلى آخره.

إذن الأغراض الوحيـدة التـي تُرِكـت، بغض النظر عـن الهاتف المُجيـب، هي تلك التي عادوا بها هي وماغنوس وأمها ومايكل، التي كانوا يضعونها فيممر السيارات أو كانت في منزل العطل في نورفوك. وقد انتـزع اللصوص الحنفيات عن المغاسل؛ وأخـذوا أغطية مُنظّمات أنابيـب التدفئة، مما سبّـب مشكلة لأنَّ شهر تشرين ثـاني على الأبواب ولم يفكّـروا بعد في بدائل وأحياناً يكون الجو بارداً جداً وأحياناً أخرى دافئاً جداً بحيث لا يمكِن تشغيل التدفئة المركزية على درجة عالية طوال الوقـت ولا يمكن التحكم في المدفئات في المنـزل بحيث يُبدِّل مستوى الحرارة من دون وجود كمّاشة.

كان للأمر جانب جيد، لأنَّ أستريد لم تعد لديها مشكلة فيما يخص هاتفهـا المحمول لأنها قالت إنه كان داخـل الدولاب المجاور للسرير، وهذا بوضوح يعني أنه سُرِقَ كأي غرض آخر.

مـرّت أمها على الجيران جميعـاً، ولكن لا أحد منهم شاهد أو سمع أي شيء غير عادي. آل مور شاهدوا سيارة نقل أثاث تأتي وتذهب على مدى الأسبوعَين الماضيين. وأخبروا أمها ومايكل بأنه لم يخطر في بالهم أنَّ شيئـاً كهذا يحدث. لقد حسبنا أنكم تنتقلون. وكنا في انتظار إشارة من وكيل العقار لأننا كنا نفكر في تخمين قيمة منزلنا.

وسُرِقَـتْ رسائل والدها وصـوره الفوتوغرافية. كانت موجودة في

Twitter: @ketab_n

جـراب تحت السرير، مع الأحذية والحقائـب البلاستيكية والمُلصقات، وكلها سُرِقَتْ.

تنظر أستريد إلى إحدى جهتيّ الشارع. ثم تنظر إلى الجهة المقابلة. لم يكن هناك الكثير من الناس يمشون فيه، أو يستقلون سياراتهم إلى آخره، لكنهـا لم تتعرّف على أي منهم. هـذا لا يعني أنها كانت تتوقع أنْ ترى أحداً تعرفـه، ولكن هذا ما تفعله العينان. إنهمـا تنظران إلى الغرباء من الناس لكي ترى إنْ لم يكونوا غرباء.

أوراق خضراء يُضيئها نور الشارع تسقط عن الشجرة. تراها تصل إلى الأرض. تنظر من جديد إلى المقطع الطويل من السماء فوق المنازل. هناك أكثر من مليون كويكب، وهؤلاء فقط الذين يعرف بأمرهم العلماء وعلماء الفلك. ويمكن بسهولة أنْ يوجد أكثر من ذلك بكثير، Id est إلى آخره.

لقد كفّت عن قـول أشياء مثل id est بصوت عالٍ. لقد أصبح قولاً بـلا معنى قليـلاً. سوف تُكمل الثالثـة عشرة بعد ثلاثـة أشهر. وخلال الثلاثـة أشهر تلك كانـت ستنظّم دماها القديمة وألعابهـا ومنزل الدمية إلى آخره، الموجودة داخل خزانتين للألعاب وتعطيها لأطفال أصغر سناً مثل آل بـاول وآل باكنهام وأطفال عائلات لا تشبه عائلة أستريد ينتهي بهم الأمر إلى المستشفى، كما أُجبِر ماغنوس على أنْ يفعل بلعبه، ولكن ما حدث هو أنَّ دُماها أُعِدَّتْ ووُزِّعتْ بالنيابة عنها. ومع ذلك تتساءل مثلاً أين دمية هاري الأرنب والمجموعة المكسوة بالمخمل من الأحصنة وكل تلك الدببة إلى آخره المتهرئة أو الجديدة الآن.

قال ماغنوس عندما تساءلتْ بصوتٍ عالٍ: «إنها في السماء».

Twitter: @ketab_n

كانت أستريد قد قالت لماغنوس قبل أسبوعَين عندما كانا في الحديقة لأنّ المنــزل كان مملـوءاً بعمال تركيب السجــاد الجديدعلى الدَرَج وفي الغـرف التي كان فيها في الأصل سجاد، «اسمع، كنتُ أفكر، ما الذي يدعوني إلى فعل هذا الشيء؟».

قال ماغنوس: «أي شيء؟».

كان ماغنوس يمكــث في المنزل كثـيراً لا يفعل شيئـاً. كان لا يزال أمامــه شهران آخران من التعطّـلِ المؤقت أثناء إجراء التحقيق. كان أحد الأشياء الموجودة علـى الهاتف المُجيب عندما وصلوا إلى المنزل. جلس هــو ومايكل في غرفتــين مختلفتين طوال النهار. وتعتقــد أستريد أنها إذا تعطّلــت أو فقدت عملها أو كائناً ما كان فسوف تذهب على الأقلّ إلى المكتبــة العامــة أو إلى محل بيع الكتب أو إلى بركة السباحة بدل أنْ تضيّع يومها جالسة لا تفعل أيّ شيء، وهذا أمر مثير للاشمئزاز قليلاً.

قالــت أستريــد: «لنفرضــ أني رأيتُ حيوانــاً يبدو ميتــاً، فما الذي يدعوني إلى أنْ أخزه بعصا؟».

قال ماغنوس: «لترى إنْ كان حياً».

قالــت أستريد: «ولكن ما الذي يدعوني إلى أنْ أفعل شيئاً كهذا يمكن أنْ يكــون عملاً قاسياً إذا لم يكن الحيــوان ميتاً ولا يزال حياً ويبدو فقط أنه ميت؟».

كرّر ماغنوس القول: «لتري إنْ كان حياً».

كانــت أستريد قــد فتحت حقائبها بعد العــودة من العطلة وعثرت

Twitter: @ketab_n

علـى الشريطين. كانت قد لحقت بالحافلـة لتذهب إلى محل ديكسون، حيث لديهم نـوع من آلات التصوير يوصـل بشاشة عرض. وكانت موصولة. ضغطت عليها ففُتِحَتْ، أقْحَمَت الشريط الأول، وتصادف أنْ كان ذاك الـذي يحتوي ذلك الشيء الميـت على الطريق، ووقفت في المحـل وراقبت الشيء الميت مـن ذلك الوقت. كان متمدداً هناك، ميتاً. رفعت الصوت. كان عليـه تسجيل لضجيج الريف، أزيز وهواء وعصافير. ثم رأت يداً لابد أنها يدها ترفع ما يُشبه مزلاجاً على باب. ثم قمـة رأس امرأة كانـت خادمة التنظيف في ذلـك المنزل وضجيج المكنســة الكهربائية، ثـم صوت أستريـد تطلب منها شيئـاً والخادمة تجيبهـا. ثم هبوط الدَرَج، لم يكـن التصوير جيداً جداً، كان من النوع الـذي لا يمكنك النظر إليـه دون أنْ تشعر بالغثيان، ثـم أرضية ما، ثم أشعـة الشمس المُبهرة تخترق العدسات. ثـم لا شيء آخر على الشريط بعد ذلك، مجرد ضجيج أبيض. كان ذلك مزعجاً إلى أقصى مدى، لأنَّ أستريد كانت تأمل في تكون هناك لقطة لأمبر من ذلك اليوم، وهو من أوائل تلك الأيام.

ليـس مسموحاً لهـا بالتحدث عن أمـبر. ليس مسموحـاً لها أو لا يُفترَض بها حتى أنْ تأتي على ذِكرها.

قالت أمها: «لقد انتهت الآن. تلك الفترة انتهت. انسها، يا أستريد. أنا أُحذّرك. يكفي».

هـذا جعل أستريد تـردِّد، كلما توقفت السيارة عنـد منعطف إشارة مرور طوال ما تبقّى لهم من وقت في نورفوك وطوال الطريق إلى المنزل: أحمـر، كهرماني، أخضـر، أو: أخضر، كهرماني، أحمـر (حسب تبدُّل

Twitter: @ketab_n

الأضـواء، طبعاً). وعندما فهمت أمها لمـاذا تفعل ذلك ثار جنونها على أستريد وانهالت عليهابكل أنواع الصياح والأوامر. ثم غيَّرتْ أستريد من أسلوبهـا. باشرت بالقول «هل من المفترضـ بي أنْ أعود بحلول الساعة العاشرة؟ أم كائناً مـا كان». طرحت على ماغنوس أسئلة أمام أمهما عن نوع الموسيقـى المُسمّاة المُحيطة. تكلّمت بصوت عـالٍ في السيارة عن الطريقـة التي تسـير بها البقرة متمهلة في الحقـل، أو عن شخص عجوز يسـير متمهلاً علـى الطريق. تحدّثت أمـام أمها مع المـرأة الواقفة خلف النضـد في محلات هيلز عـن الفرق بين مصبـاح ذي صمامةبثلاثة أمبير وآخر بثلاثة عشر أمبير. طِبقاً للمرأة الفرق هو مزيد من الضوء.

قالت أمها: «أستريد».

قالت استريد: «ماذا؟».

قالت أمها: «لا تجازفي».

قالـت أستريد لنفسهـا «أنت مُثـيرة للاشمئـزاز». استبدلت كلمة كهرمـان (أمـبر) في ذهنها إلى كلمـة أحمر عندما مـرّت سيارة حمراء بهـم. قالت، بصوت عالٍ، «ما أجمل هـذه السيارة الحمراء». وعندما رأتْ أخرى قالت «أنا أحب اللون الأحمر لتلك السيارة».

الآن ملابسهـا لونها أحمر، وغطاء سريرهـا أحمر، وفرشاة أسنانها والحامل الجديد في الجزء المُلحق لونهما أحمر، وسجادتها ذات لون من تدريجات الأحمر، إلى آخره.

«أستريد سمارت».

Twitter: @ketab_n

إذن أمها كانت تعلم أنَّ شيئاً سيحدث، لكنها لم تعرف ما هو.

لكـنَّ أمها الآن غائبـة، وتوقفت أستريد عن إضافـة حرف ب أو عن التكلُّـم عن أمـب أو الأحمر أو كائنـاً ما كان. لا فائدة مـن القيام بالأمر الأحمر مع مايكل. أستريد تُخطّط لقول شيء عن أمبر لماغنوس، ولكنّ في المرتين اللتين حاولت فيهما أنْ تفعل ذلك قرّرت لسبب غامض ألا تفعل. ولا زالت لا تعرف السبب. إنَّ ذلك يدل على قدرٍ من الخِسّة، أو قدر من غرابة الأطوار، كلكز ذلك الشيء الميت بالعصا. ومع ذلك، هي تنوي أنْ تقول شيئاً لمايكل عن هذا في وقت ما وترى ما يحدث عندما تفعل.

أخرجت الشريط ووضعت مكانه الشريط الآخر داخل آلة العرض، لأنـه قد يسعفها الحـظ في هذا الـذي يُصور الفجر، شريـط البدايات. ضغطت على زر إعادة الشريط، ثم ضغطت على زر التشغيل.

كان الفتى المُساعد في المحل واقفاً بجوارها فدفعها من الخلف.

قال: «أنتِ. ألا تُحسنين القراءة؟».

كانـت هناك ملاحظـة مكتوبة على آلة العرض تقـول «ممنوع على الزبائـن لمس الآلة. مـن فضلك إذا احتجـت إلى مساعـدة اطلبها من أصحاب المحل».

ضغطت أستريد على زر التوقف.

قالت: «أعطني ثلاثة أسباب وجيهة لتنفيذ ما هو مكتوب».

قال الفتى: «لأني أنا أقول هذا، ولأنَّ الجهاز ليس ملكك. إنه للبيع. إذا اشتريته، يمكنكِ أنْ تفعلي به ما تشائين».

Twitter: @ketab_n

قالت: «لا داعي للاستبداد في هذا الأمر».

قال: «هه؟».

قالت أستريد: «أولاً: الأسباب التي أعطيتني حتى الآن ضعيفة جداً. ثانياً: إنه نموذج للعرض، أليس كذلك؟ هذا يعني أنها إحدى آلات العرض التي تستغني الشركة عنها. إذن يمكنك أنْ تكون أكثر لطفاً معي وتدعني أشاهد فيلمي عليها. وهذا لا يعني أني لا أعلم ماذا أفعل. ولا يعني أني سأتسبب في أي ضرر لها. وثالثاً: إذا عمدتَ إلى دفعي من الخلف مرة أخرى فسوف أُبلّغ عنك إدارة سلسلة هذه المحال التجارية وأقول إنك تتحرّش بزبونة في الثالثة عشرة وتدفعها من الخلف، وهذا في الواقع يُعتبَر إساءة جسدية، ولا أريد أنْ أتّهم أي شخص بأي شيء لأنَّ هذا تصرّف يدل على الضعف».

قال فتى المحل: «تفعلين ماذا؟». بدا مذهولاً بصورة كاملة. ثم ضحك.

قال: «إنكِ تستعجلين سن الثالثة عشرة. إذا كنتِ في الثالثة عشرة فأنت أصغر من أنْ أضرب موعداً معك».

قالت أستريد وهي تتفحّص الآلة: «وكأني سأخرج معك إذا طلبت».

كان طيباً. تركها تشاهد شريطها الثاني على آلة المحل دون أنْ يزعجها أو أي شيء. ولكن لم يكن الشريط يحتوي أي شيء، مجرد سلسلة لقطات سريعة للسماء المظلمة وهي تتحول إلى الضياء، واحدة بعد أخرى. ومع تحول كل منها إلى نهار آخر كان الظلام يسود الشاشة

Twitter: @ketab_n

مـن جديد. ثـم تبهت الصـورة وتتحول إلى لون أبيضـ شاحب، على الرغم من أنَّ أستريـد تتذكّر أنَّ السماء في تلك الأيام كانت بلون أزرق داكن.

ليسـ هناك أي ظهور لأمبر في لقطات الفجـر. لا شيء. وكأنَّ أمبر محت نفسها، أو لم توجد هناك أصلاً أو كانت من بنات مخيلة أستريد.

تفحّصتـه أستريد مرّتـين. ثم أخرجت الشريـط وأغلقت جانب آلة العرض وهمّت بمغادرة المحل.

قال الفتى: «انتهيتِ بهذه السرعة؟».

كان أكبر سناً بكثير من أستريد، في حوالي سن ماغنوس.

قال: «لقد تركتِ فيلميك. ألا تريديهما؟».

قالت: «لم أعد في حاجة إليهما».

سألها: «ماذا فيهما؟ هل هي صورك؟».

قالت: «كلا».

قـال الفتى: «إذا أعطني رقم هاتفك المحمـول أُعطيكِ ثلاثة أشرطة جديدة مجاناً. هيا».

قالت: «أنا لست في حاجة إلى أشرطة».

قال: «الجميع يحتاجون إلى أشرطة».

Twitter: @ketab_n

قالت: «لم يعد في حوزتي آلة تصوير».

قال: «ما رأيكِ في شيء آخر إذن؟ بطاريات. سماعات أُذن من أجل جهاز الراديو المحمول. أو الأي - بود. ماذا لديك؟ راديو محمول أم أي - بود؟».

قالت أستريد: «كلا شكراً».

قال الفتى: «حسن، إذن أعطني رقم هاتفك. هيا. لن أتصل بك حتى تبلغي الخامسة عشرة. أعدك. في شهر أيلول بعد عامين سوف يرن هاتفك المحمول وسيقول لك أحدهم ألو، هل أنتِ الفتاة ذات العينين الزرقاوين الداكنتين؟ ألا تذكرينني؟ هل تحبين الذهاب إلى المجمّع السينمائي لنشاهد معاً فيلماً هذه الليلة؟».

قالت: «لا أستطيع أنْ أعطيك رقمي».

هتف الفتى وراءها بعد أنْ خرجت من الباب المفتوح للمحل: «ولِمَ لا؟ ما عيبي؟».

هتفت له أستريد: «لا أملك هاتفاً محمولاً».

هتف الفتى من فوق رؤوس الناس في الشارع: «هيه، يمكنني أنْ أجد لك صفقة هاتف محمول جيدة».

وهكذا ما إنْ بدأتْ أستريد تتذكر أنْ تشعر بخيبة الأمل بسبب خلو الشريطين مما يُثيرُ الاهتمام، وما إنْ توقّفت عند واجهة أحد المحال التجارية بعد مسافة وحاولت أنْ تتأكّد عبر انعكاس صورتها من مدى

Twitter: @ketab_n

زُرقـة عينيها، لم يعُد الشعور بخيبة الأمل شديداً كما كان يمكن أنيكون لو لم يقع ذلك الأمر الآخر عندما ذهبت إلى المحل.

علـى أي حال تستطيع أنْ تتذكَّر جيداً الكثير من الأشياء من دون أنْ تكون مُسجلة على شريط. قبل أيام قليلة، ودون مقدمات تذكرت فجأةً عندمـا كانت هـي وأمبر مارّتين من أمام مزرعة أو مـا شابه وإذا بكلبٍ ضخـم يخرج وينبح عليهما وكأنـه ينوي أنْ يهجم عليهما، وهو يزمجر حقـاً، فزعقت أمبر في وجهه، وتقدمت منـه بخطوة ثابتة وهي تصرخ وهو ينبح، فتوقف فعلاً عن النباح وكأنه فوجئ وتراجع مبتعداً عن أمبر الواقفة هناك في الشارع.

لم تكن أستريد حتى تعلم أنَّ هذا لا زال موجوداً في ذاكرتها.

مـن الصعب تذكُّـر بوضوح قسمـات وجه أمبر. ومـن المزعج أنه كانت هناك لقطات لخادمة التنظيف تلك ولا يوجد أي شيء لأمبر.

إنها تتذكَّر أنَّ أمبر فعلتْ شيئاً مضحكاً جداً، شيئاً دفعها إلى الضحك والضحـك والتدحرج على الأرض، لكنها لا تستطيع أنْ تتذكر بالضبط ماذا كان ذلك الارتجال. تستطيع أنْ تتذكر الإحساس بالضحك، وتتذكّر بالضبـط شعورهمـا في مواجه، مثـلاً، أصحاب الـروح العالية المحلية، الذين جعلتاهم يشعـرون بالانزعاج لأنَّ أحدهم كان ينظر إليهما، وهذا الأمريستحـق التذكُّر، وليس وجوههـم أو ملابسهم أو أين كانوا واقفين أو كـم كان عددهـم. لا أحد سيطلـب منها أنْ تُثبت مـن أي صنف من القرويين كانوا؛ إنَّ هذا من مسؤولية شخص آخر، من شأن شخص آخر. أما مسؤوليتها فمختلفة. إنها تتعلق بالمشاهدة، بالتواجد هناك.

Twitter: @ketab_n

إنَّ أستريد لا تصدِّق، مثلاً، أنَّ أمها قد انطلقت في رحلة حول العالم إلى آخره. إنه أشبه بنقيض الوجود. إنها أمومة دون المستوى. سوف يترتب عنها عواقب. إنها مسؤولية دون المستوى. إنه أمر من النوع الذي، إلى جانب انفصال الأبوين، ووفاة الجدّين أو إصابتهما بالزهايمر ويعيشان مع عائلتيهما ويكون وضعهما مأساوياً ولا يعود في الإمكان تمييز وجهيهما ولا يتمكنان من الأكل بصورة طبيعية وحدهما إلى آخره، يجعل طلاب المدرسة يواجهون مشاكل في تناول الطعام أو يجرحون أنفسهم، وهو أمر لن تفعله أستريد أبداً لأنه غير مُبتكَر؛ هناك دائماً ثلاث فتيات يمكن لأستريد أنْ تفكر فيهنّ بسهولة يجرحن أنفسهن بوضوح وواحدة منهن فقط تتسم بذكاء خاص، وربما هناك أيضاً اثنتان أخريان أو ثلاث لديهن اضطرابات في الأكل يعلم بها الجميع. لذلك جميعهم محظوظون في هذا المنزل وفي هذه العائلة لأنَّ أستريد ليست من النوع الذي يريد أنْ يقوم بمثل هذا العمل.

زيلدا هاو واحدة من تلك الفتيات لديها مشكلة واضحة في الأكل.

مذهلٌ كيف ينسى الإنسان بسرعة، حتى الشيء الذي تعتقد أنكَ تعرف، حتى الشيء الذي تريد حقاً أنْ تتذكّر. مذهلٌ كيف تعمل الذاكرة وترفض أنْ تعمل. قد يُصبح الوجه خالياً من القسمات. ولكن كما حصل عندما تذكّرتْ ما حدث مع ذلك الكلب، أحياناً تعود أشياءٌ كالوجوه أو الذكريات إلى الذهن وحدها ويُصبح في الإمكان أنْ ترى أشياء بوضوح تامّ إلى درجة أنه لا يمكنكَ ألاّ تراها حتى لو حاولت. هذا جنون. إنَّ أستريد لا تتذكّر بالضبط كيف كان شكلها. لقد فتّشت في صور العطل، ولكن قبل مغادرة أمها أخضعتها للرقابة بوصفها صوراً تظهر فيها أمبر. كانت أمبر تحتفظ بإحدى تلك الصور

Twitter: @ketab_n

في جيب بيجامتها، تلك التي تبيّنها هي وماغنوس وأمهما ومايكل واقفين عند الباب الأمامي للمنزل دون المستوى، لأنّ أمبر هي التي أخذتها(التقطتها)[٦٩].

من المُثير للاهتمام الطريقة التي قيل بها هذا عن الصور الفوتوغرافية، وعن أنها أُخذَت (التُقِطَتْ). من المُثير للاهتمام أنَّ من الممكن القول إنَّ أمبر أخذتْ (التقطتْ) الصورة ولكنها لا زالت بحوزة أستريد. ها هي، في جيبها.

إذا فكّرت أستريد في الأمر لتراءت لها أمبر تأخذها (تلتقطها) الآن. لقد وقفتْ على حجارة رصف ممر السيارة متباعدة القدمين وآلة التصوير على عينها وقالت: «مستعدون؟» ووقفوا جميعاً، في حالة استعداد.

إنها حقاً صورة جيدة جداً لأستريد، وهذا أمر نادر الحدوث لأنَّ وجهها ليس ملائماً كثيراً للتصوير وفي المعتاد تكره صورها الشخصية. ففيها تظهر عيناها شديدتيّ الزُرقة، وهذا صحيح. ويكسو وجهها وميض أزرق من أشعة الشمس.

تُخرِجها من جيبها وتميلها لتراها بوضوح أكبر في الضوء المنبعث من الشارع. وحرصت عن عمد على ألا تنظر إلى أمها فيها، بل فقط إلى ماغنوس، ومايكل ونفسها، ويمكن أيضاً رؤية شكل باب المنزل وطرف من ممر السيارة. إنها لحظة تمثّل ما شاهدت أمبر حرفياً من خلال عدسة

---

٦٩ - داخل القوسين من وضع المترجم لتبيان اللعب بالكلمات الذي تلجأ إليه الكاتبة بين حين وآخر.

Twitter: @ketab_n

آلة التصوير الصغيرة. من المذهل التفكير في الأمر على هذا النحو، وهم ثابتـون هكذا، واقفون خارج المنزل هكـذا إلى الأبد، بينما في الحقيقة هم شيء لا يتجاوز جزءاً من ثانية داخل رأس أمبر. من المذهل أنَّ صورةً فوتوغرافية تبقى إلى الأبد بينما هي في الحقيقة نوع من البرهان على أنَّ العدم أطول من جزء من الثانية من الزمن.

في تلك اللحظـة الأبدية في الصورة الفوتوغرافية كلهم ينظرون إلى أمبر وأمبر تبادلهم النظر.

إذا فكّـرتْ أستريد في الأمر بهذه الطريقة، كشيء لا يُرى من خلال عينيها، فلا بأس من أنْ تنظر إلى أمها.

أمها تبدو جميلة في الصورة. إنها تبتسم. إنها حقاً ابتسامة تدل على السعادة.

إنَّ الابتسامة تزعج أستريـد أكثر فأكثر. تُعيد الصورة إلى جيبها. تمنع نفسها من الرغبة في البكاء. ليس صعباً كثيراً فعل هذا.

عندما ستعود أمها، سوف تتوجه أستريد إلى ذلك الفرع من محلات ديكسـون لـترى إنْ كان ذلك الفتى لا يزال موجـوداً وإنْ كان لا يزال يتذكّرها كما قال أنه سيفعل. سوف تقول إنها جاءت لكي تتفرّج على أجهـزة الهواتف المحمولة. فـإذا طلب منها من جديـد أنْ تخرج معه سوف توافق وتخرج معه. وهذا سيُزعج أمها حقاً وهي التي لديها تلك الفكـرة الغريبة التي تقول إنِّها لا يمكـن أنْ تتزوج مِن مساعد صاحب دكان. هذا ما همسـت به أمبر ذات ليلة لأستريد في أُذنها في الظلام في السرير في الغرفة في منزل العطل في نورفوك.

Twitter: @ketab_n

قالت أمبر: «لم يُعجبها لأنه عندما تقابلا كان يعمل في دكان».

قالت أستريد: «مستحيل».

قالت أمبر: «بل ممكن، في الواقع».

شدّتْ شعر أستريد، مرة، بقوة.

قالت أستريد: «هذا مؤلم».

قالت أمبر: «تستحقين ما هو أسوأ. أنتِ لا تقلّين إثارة للاشمئزاز منهم. ماذا تفضّلين؟ أنا أعلم. لقد تخلّى عن مهنته كطبيب واعد متخصّص في جراحة المخ وفيزيائيّ شهير على الرغم من أنه كان صغيراً جداً. كلا، أعلم. وكان عبقرياً في الحاسوب وانتقلَ من شركةٍ إلى أخرى وجمع الكثير من المال وترك أثراً بليغاً على وسائل تواصُل الناس إلكترونياً. فمثلاً، أولاً جمع ثروة جرّاء اختراعه البريد غير المرغوب. ثم جمع ثروة من اختراعه وسيلة لحجب البريد الإلكتروني غير المرغوب فيه من الوصول إلى بريد الناس. ولكن سرعان ما ناله الضجر من ذلك العبث وعوضاً عنه قَبِلَ أنْ يعمل في محل تجاري».

قالت أستريد: «أي نوع من المحال؟».

قالت أمبر: «في محل يتعامل مع منتجات تجارية مناسبة وطبيعية صديقة للبيئة للمستهلك البديل في مكانٍ ما في الشمال يُدعى هبدن».

أومأتْ أستريد برأسها إيجاباً.

قالت أمبر: «إنه يحب الشمال. ولهذا أنتِ وماغنوس تحملان أسماء شمالية».

Twitter: @ketab_n

هزّت أستريد كتفيها استخفافاً، شاعرة بالحياء، والدفء تحت ذراع أمبر.

قالت أمبر: «في الواقع، كلا. الحقيقة هي أنه وُلِد موهوباً. كان يتمتع بموهبة تنظيف الأشياء. منذ نعومة أظفاره وهو يتمتع بموهبة استثنائية في جعل الأشياء تلمع. كان ذلك يسعده، أعني تلميع الأشياء. وعندما كبر عمل مُنظّفاً، وكان ذلك جُلّ ما رغب في فعله. والآن هو يقوم بتنظيف منازل الناس في أرجاء إنكلترا كلها، منتقلاً من مكانٍ إلى مكان. ويكاد لا يكسب أي نقود. إنه فقط يضع الأمور في نِصابها. لكنه يُنظّف الأشياء بطريقة جميلة جداً تجعل الحياة أفضل؛ تجعل الأشياء والحياة تشرق».

(أستريد بيرينسكي)

قالت أمها لها في المنزل بعد ذلك مباشرة: «لا تصدّقوا كلمة واحدة، ولا كلمة مما أخبرت تلك المرأة أياً منكم»، وعادت وكررته في السيارة مرة، وكانت تردّده أحياناً في المنزل الخالي وأثناء ملء المنزل بأغراضٍ جديدة.

قال مايكل: «أمكم على حق. أخشى أنها الحقيقة. لقد كانت في السابق دجّالة ومُخادعة وكاذبة. كانت أشبه بطبيب مجنون يبيع أدوية ليس لها أي تأثير لكي يُصيب المُقلعين عن معاقرة الخمر بالمرض. كانت مشعوذة».

هزّ ماغنوس رأسه موافقاً، وبدا حزيناً.

وحدها أستريد رأتْ اللون الأحمر. رأت، بعين عقلها، أمبر على

Twitter: @ketab_n

صهوة جواد تعتمر قبعة شرطة الفرسان الكنديين الملكيين وترتدي سترة حمـراء كالتي يرتـدون. أمبر، تقوم بدوريتها، أومـأت برأسها لأستريد أثناء مرور الجواد يخبّ من أمامها.

من الممتـع أنَّ رؤية اللون الأحمر يعني أيضاً أنكَ غاضب. تخيَّل أي شيء سبق أنْ رأيت، باللون الأحمر، وكأنَّ في إمكانك أنْ ترى من خلال الأشعـة تحت الحمراء. وعندما عادت أستريد إلى المدرسة في شهر أيلول، تجـرّأت لورنـا روز للمرة الأولى على أنْ ترميها بنظـرة مفادها أنتِ فتاة غريبة الأطوار وسط درس اللغة الإنكليزية، وبدل أنْ تتجاهلها أستريد أو ينتابها الخوف، نهضـت عن مقعدها واقفة ورفعت المس هيمل العجوز نظرهـا عن كتـاب الشِعـر، وكانت تقرأ قصيـدة عن آخـر أرنب غادرَ إنكلـترا وعـن كل الناس الذين يقومون برحلة خاصـة لمشاهدته وقالت المس هيمل، أستريد، ماذا تفعلين، اجلسي، لكنَّ أستريد تابعت طريقها، مشـت بمحاذاة المقاعد مباشـرة إلى مكان جلوس لورنـا ووقفت أمامها وهـي تنظر إليها ولورنـا تضحك وكأنها خائفة، تبـدو كأنها لا تُصدّق مـا ترى وتوقفت أستريد عند مقعدهـا وقالت بصوت منخفض لكي لا تسمعهـا إلا لورنـا، أنا أراقبـك. وقالت المس هيمـل، أستريد، اجلسي فـوراً، وقالت أستريد أنا فقط أخـبر لورنا شيئاً تحتاج إلى معرفته، وقالت المس هيمل قولي ما شئـتِ للورنا في وقت فراغك، وليس على حساب وقتـي أنا أو وقت الدرس، إلا إذا أردتِ أنْ تُخبري الصف كله ما لديكِ وتشرحيـه لنا جميعاً. قالت أستريد لا مانع عندي أنْ أقوله فوراً، يا مس، إلا إذا كانـت لورنا تفضّل أنْ نحتفظ به فيمـا بيننا، فقالت المس هيمل، حسـن؟ لورنا؟ ما الأمـر؟ فقالت لورنا إنه أمر خاصـ، يا مس. فقالت مسـ هيمل، حسن يا أستريد، أقول لك للمرة الأخيرة اجلسي. فنظرت

Twitter: @ketab_n

أستريد إلى لورنا في عينيها مباشرة مرة أخيرة. ثم عادتْ إلى مقعدها وجلست وتابعوا جميعاً دراسة القصيدة ومنذ ذلك الحين لم تعمد أيٌّ منهن إلى إزعاجها، في الحقيقة إنَّ لورنا روز وزيلدا وريبيكا بذلن جهداً يكاد يكون مُحرِجاً ليكنّ ودودات وظلت زيلدا تتصل بها هاتفياً في منزلها وتخبرها بأشياء عن جدّها الذي يُقيم معهم ومدى الصعوبة التي تُسببها إقامته هناك وكيف تجعلها طريقته في الأكل تشعر على الدوام وبصورة غير طبيعية بالاشمئزاز وشعورها بالذنب جرّاء ذلك.

لكنَّ حقيقة الأمر هي أنه عندما تتذكّر أستريد صباح ذلك اليوم في الصف، فإنَّ كل شيء يجري داخل رأسها فيما يُشبه الفيلم الغريب ذا الألوان الغريبة، فكل شيء وضّاء ومشوّه، كأنَّ الألوان جُعِلَتْ فاقعة حتى التطرُّف.

أيضاً، الأمر المُذهل هو أنها لم تعد في حاجة إلى رسائل والدها. إنها ليست برهاناً على أي شيء حقاً. ولا يهم إنْ اختفت. في الحقيقة من المريح ألا تُضطر إلى التفكير دائماً فيها أو إلى التساؤل عن كنه القصة الآن أو في الماضي. يمكن أنْ يكون والدها أي شيء، أو في أي مكان أو كائناً ما كان، كما قالت أمبر.

أهي خائفة أم تتخيل ذلك.

غريب أنْ تفكِّر في أمبر وكأنها من الماضي.

لكنها كذلك.

تقول أستريد في عقلها، وهي تنظر إلى الصورة الفوتوغرافية التي يظهر فيها مايكل ويده على كتف ماغنوس وكلاهما يضحكان، وأمها

Twitter: @ketab_n

تبتسم هكذا وذراعها تُحيط بأستريد، وأستريد تُحيط أمها بذراعها، «ولكن ليست أمبر هي التي انتهت».

لقد انتهى الآن. الوقت المُحدّد انتهى. أنا أحذّرك.

(سيارة أمبر على الممشى، أمبر تشغّل المُحرّك. أمها تسدّ باب المنزل. هدير السيارة يتردّد صداه على الحجارة، صوت دواليب السيارة تنطلق على الحجارة ومنها إلى الشارع، ثم هدير السيارة وهو يتلاشى. تبتعد أمها عن الباب وتعود إلى الداخل. المكان الخالي على الممشى الأمامي للمنزل حيث كانت سيارة أمبر، قبل لحظات)

الساعة ٧،٣١ صباحاً حسب ساعة المنبّه الرقمية الجديدة، الدقيقة حتى جزء صغير جداً من الثانية.

الفجر يرتفع أحمر اللون. سماء حمراء ليلاً، بهجة الراعي. سماء حمراء في الصباح، تحذير الراعي. سماء حمراء في الليل يعني أنّ الجو سيكون مُشمساً في اليوم التالي. سماء حمراء في الصباح يعني عواصف، إنها طريقة تراثية شعبية قديمة لتوقُّع ما سيأتي. ثمة شيء آخر يُذهل أستريد، هو أنّ الرعيان تقليدياً هم الذين يرعون الماشية، يستلقون تحت الأشجار ويعزفون على الناي في الصيف وماشيتهم ترعى من حولهم وينتقون من قطيعهم ما ينبغي ذبحه وما لا ينبغي، وفي المدرسة ينشدون «الرب راعينا» والقراءات كلها تدور حول كيف يرعى الله أبناءه الصِغار والحملان، ولكن فقط بعض الحملان، فقط تلك التي تؤمن به، وعلى أي حال الناس يأكلون لحم الحمل طوال الوقت وفي غضون بضعة أشهر فقط تصبح الحملان غنماً، وتُذبح.

Twitter: @ketab_n

نفـير لتفريق الغنم. لمـا كان مايكل وأمها لطيفـين، أخذوا يمارسون ألعاباً في المقعد الأمامي من السيارة ذات الدواليب الأربعة.

كان هناك غنـم في الحقول منتشر حول منـزل العطل. لابد أنه غنم جديـد، جُلِبَ من مكان آخر بعد كل المحارق التي أقيمت للقضاء على مرض الحمّى القلاعية.

عندمـا تفكّر أسـتر في القرية تـرِدُ إلى ذهنها أغـرب التفاصيل مثل عمود الكهرباء المجـاور للحقل على الطريق الممتد من المنزل إلى القرية والأعشاب الباسقة التي تنمو حول قاعدته. لماذا ترغب ذاكرة الإنسان في أنْ تتذّكر فقط أنها شاهدت عمود كهرباء كذاك؟

أستريد لا تعلم.

في الحقيقـة، من المعروف رسمياً وِفقاً لِما يرِد في الصحف، أنَّ العالم يـزداد ظلاماً بالفعل، وأنَّ معظـم الأماكن أضحت أشـد ظلاماً بمقدار ١٠٪ ممـا كانت مثلاً قبل ثلاثين عامـاً وبعضها تكاد تبلغ نسبته ٣٠٪. من الممكن أنَّ الأمر يتعلَّق بالتلوُّث. لا أحد يعلم. وكأنَّ الفجر يعود إلى الخلـف، وكأنَّ أوقـات الفجر تعود إلى بداياتهـا الأولى، ولكن بحركة إعـادة إظلام واحدة طويلة جداً وبطيئة جداً، الظلام يحلّ بنسب مئوية صغيرة في كل يوم خلال النهار، بطيئاً جداً بحيث لا يُلاحظه أحد حقاً.

كما تُسدل الستارة في المسرح.

الفـرق هو أنَّ هذا ليس النهاية. كيف يمكـن أنْ تكون نهاية كل شيء؟ إنها فقط البداية. بداية كل شيء، بداية القرن وهو حتماً قرن أستريد، القرن الواحـد والعشرون، وها هي، ها قد جاءت، تشـقّ الهواء نحوه بإحساس

Twitter: @ketab_n

بالمسؤولية لتقصّي مصادر الحرارة في كل إحساس بالاشمئزاز وفي الجنون، أستريد سمارت السمارت أسترويد (الكويكب الذكي) تندفع نحو الأرض وتقترب أكثر فأكثر من لحظة الاندماج وأينما تكون أمها في العالم، يمكنها أنْ تستيقظ وتطل من نافذة غرفتها في الفندق كما تطل أستريد من نافذتها في هذه اللحظة وترى شيئاً يهبط من السماء كمطرٍ خارق. سوف تطل من نافذتها وقد تشهد اللحظة السابقة للارتطام العظيم الذي سيتسبب في حفرة كبيرة عرضها ١٠ كيلومتر أمامها وينسف مقابض الأبواب كلها عن الأبواب، ويطيح بالأثاث كله والأغراض إلى آخره خارج الغرفة ومن الغرف كلها ومن المنازل القريبة منه، يمكن أنْ يسقط في أي مكان، وسوف تنتج عنه عواقب في كل مكان، ليس فقط في أميركا أو إنكلترا، وفي تلك اللحظة سوف تقول أمها لنفسها إنَّ ما تفعل هو عمل أحمق، وإنَّه كان ينبغي أنْ تأخذ حذرها طوال الوقت، وطوال الوقت كان عليها أنْ تتواجد في مكان آخر، وليس هناك.

يبدو الشيء المُندفع أشبه بكائن صغير يتألّم، بكائن أرضيّ، بمخلوقات فضائية من كوكب آخر ستهبط على الأرض وتتصّل بالكائنات البشرية المتألّمة قليلاً.

خذيني إلى قائدكم، أيتها المندفعة.

السماء حمراء، وثمة عاصفة قادمة وكل المخلوقات الصغيرة الظريفة في العالم هي قنابل حارقة مُحتملة. أما الآن فبيغ بن لا تزال صامدة، كبرجٍ يدل على الوقت، وكذلك مقر البرلمان، وأيضاً صالة تيت مودرن للفنون، والـ «عين»، والنهر لا يزال المياه الرمادية القديمة نفسها وسماء الفجر حمراء فوقه، الأحمر يصبغ مدينة لندن كلها، الأحمر يتسرب من نافذة غرفة أستريد.

Twitter: @ketab_n

النتيجة النهائية = دُعيَ ماغنوس

للعـودة إلى المدرسة مع بداية الفصل الدراسي الجديد في الخامس من الشهـر. الرسائل التي تقول هذا وصلت بالأمس. إنها تسمّي ما حدث بـ «المسألـة». لم تـأتِ أي من الرسائل على ذكـر اسمها أو تحدِّد ما هي «المسألة». إحدى الرسائل وصلـت على عنوان إيف ومايكل وواحدة إلى ماغنوس نفسه. الرسالة التي فتحهـا مايكل قالت تقريباً بالضبط ما جـاء في رسالة ماغنوس. «إننا نطلب احترامكـم وسرّيتكم فيما يخص المسألة. ويسعدنا أنْ نبلغكم. أنَّ المسألة أُغلِقَتْ رسمياً».

النتيجة النهائية = لقد نجوا بجريمتهم.

النتيجة النهائية = لا أحد يريد حقاً أنْ يعرف.

اليوم يوم الأربعاء. إنه آخر يوم في العام. بدأ الظلام يحلّ في الخارج ولا نزال في وقت الغـداء. كان ماغنوس يتجول في الجوار تحت الضوء الـذي يـؤذي العين المنبعث مـن منطقة التسـوّق. الآن هـو في الصالة والأضـواء أُطفأت وانتهت الإعلانات وبدأ عرض الفيلم. على الشاشة يتظاهـر الممثل بأنـه رئيس الوزراء الـذي يتظاهر بأنـه واقف في حب الممثلة التي تتظاهر بأنها الفتاة التي تقدِّم الشاي. هذا الفيلم كان يوشك علـى البدء، لذلك اشـترى بطاقة دخول. عيد الميـلاد يوشك أنْ يحلّ.

Twitter: @ketab_n

الناس والمنـازل كلها تبدو مشرقـة، كأنكَ تشاهد إعلانـاً تجارياً طويلاً جـداً لجمعية سكنية، أو إعلانـاً لشيء ما، ماغنوسـ لا يستطيع أنْ يُميِّز بدقـة طبيعته. ومشاهدته تشبه ذلك الجائع الذي ليس لديه ما يأكل، في الواقـع، غير الطعـام الذي يُباع في دور السينمـا. إنَّ هواء هذه السينما يعبـقُ برائحة طعام السينما، كالسجق والذرة المشوية. طبعاً هو كذلك. إنَّ أي عاقـل يعلم أنهم يُنتجونه لجعلك تشتري طعام الأكشاك. والحيلة تنجح. إنَّ كل الرجال المُحيطين بماغنوس يملؤون أفواههم بالطعام دون أنْ يزيحوا عيونهم عن الشاشة.

السلالم الكهربائية ستظل تـدور وتدور ضمن مسارها في الخارج. لقـد لاحظ ماغنوس ذلك ومن ثـم لم يعد في مقدوره ألا يلاحظه. كان قد كفَّ عن مراقبة الناس وهم يهبطون السلم الكهربائي الهابط وكيف تختفي كل دَرَجة بأناقة في المسار عند قاعدته وتنطوي داخل العدم بينما الناس يخطون مُبتعديـن عنه ويغيبون داخل مستقبلهم، والخطوة التالية تفعـل الشيء نفسه، والتـي بعدها أيضاً. إحـدى الدَرَجات كان عليها قطعـة ورق لاصق أو عادي من نوع ما ملتصقـة بالمعدن في مقدّمتها. كانت تجعل الدَرَجـة ملحوظة أكثر من الدَرَجات غير المُعلَّمات. راقب عـودة تلـك الدَرَجة مرات عِدّة ومـن ثم اختفاءها. ارتقـى متن السلم الكهربائـي الصاعد وراقب اختفاء الدَرَجة داخـل الشق في أعلى الآلة وكيـف فعلتْ الدَرَجة التي يقف عليهـا الشيء نفسه. كان يُراقب ذلك بتركيـز إلى درجـة أنَّ السلّم رماه بعيداً عنه نحـو الناس الذين يتقدّمونه ومن ثم فقد توازنه بحيث أنَّالأشخاص القادمين خلفه تعثروا به أيضاً.

قال ماغنوس «آسف».

وقد كان كذلك. كان آسفاً حقاً.

Twitter: @ketab_n

انتظـرَ في أعلـى السلّـم الهابـط إلى أنْ شاهد الدَرَجـة ذات الورقة اللاصقـة تظهر من جديد. كانت رقعة منزوعة عـن زجاجة مياه، بالية من كثرة الدوران والدوران على النظام الرتيب تحت أقدام الناس. ولكن بعد ذلك كان عليه أنْ ينتظر أنْ تعود من جديد لأنَّ رجلاً عجوزاً وقفَ عليهـا أولاً. وعندمـا عادت من جديـد وقفَ عليها وبقـيَ هناك حتى الطابق السفلي. ثم وقف عليها صعوداً من جديد، لكي يُكرر المحاولة. ولكـن في أعلى السلّم الهابط بدأ يفكّر في أنَّ ما يفعل يتّسم بمسحةٍ من الجنـون، لذلك عندمـا التفتَ ووجد أنَّ الطابق الـذي هو فيه كان ذاك الـذي يحتوي دار السينمـا، وأنَّ الفيلم يوشك حرفيـاً أنْ يبدأ، اشترى بطاقة.

لعله حقاً فيلم جيـد وبما أنه فتى السلّم الكهربائي المُحلّل لا يستطيع حقاً أنْ يعرف إنْ كان جيداً أم لا.

النتيجة النهائية = من المُفترَض أنْ يكون مرتاحاً. لوّحَ مايكل برسالته وبرسالـة إيف في الهواء لماغنوس. قال، لا بأس. انتهى الأمر. إنه بسيط مثل أ، ب، ت. سأتصل هاتفياً بأمك، وأخبرها بالنهاية السعيدة.

تابعت السلالم الكهربائيـة دورانها دون توقف ضمن دارتها الثابتة الاتّجـاه، منطوية آلياً داخل نفسها وخارجهـا وحاملة الناس على متنَها إلى أعلـى وإلى أسفل حتى نهايـة النهار إلى أنْ يُغلق المكان أبوابه سحابة الليـل وتنقطع عنـه الكهرباء حتى صباح اليوم التـالي عندما يعود التيار الكهربائـي ويبدأ كل شيء من جديد. وعندما يُغلق المكان أبوابه سوف تصبـح هـذه السينما مُظلمـة وخاليـة، ومقاعدها فارغـة في صفوفها والمكان مظلماً ككهف، مظلماً كداخل حجر على سطح القمر، مظلماً كداخل عقل إنسانيّ داخل رأس.

Twitter: @ketab_n

قال مايكل حاملاً الرسالة: «يمكنك البدء بنسيان الأمر الآن. يمكنك أنْ تنسى».

بسيط مثل أ، ب، ت، مثل ١، ٢، ٣. يمكنه أنْ ينسى، الآن مع نهاية العام القديم وبداية العام الجديد، لأنه سوف ينتمي إلى ذلك العام القديم وسوف تقع الأحداث الجديدة في هذا العام الجديد. يستطيع أنْ ينسى، وكأنَّ الأمر أشبه ببالون مملوء بالهليوم وهو يُمسك به بخيط، كالذي يُمسك به طفل صغير، والآن يستطيع أنْ يفتح يده فينطلقُ عالياً في السماء ويستطيع أنْ يراقبه وهو يغدو أصغر فأصغر، أبعد فأبعد، إلى أنْ يُصبح من الصعب تمييزه. يمكنه أنْ ينساه. إنها عملية طرح بسيطة. هو ناقص الأمر. يمكنه أنْ يمحو ذاكرته باستخدام قلم خاص يُسلّط أشعة ليزر، كما في فيلم «*رجال باللباس الأسود*». ماغنوس يحب فيلم «*رجال باللباس الأسود*». إنه، في المعتاد، يحب أنواع السينما وأجناسها كلها. على الأقلّ، كان كذلك، من قبل، عندما كان يعرف نفسه، ويعرف ما يحب. في الصف كان يُشارك في النقاش حول الفن، وكيف أنَّ السينما هي شكل مُساءٌ فهمه إلى أبعد مدى من أشكال الفن وأنَّ فيلم «*المواطن كين*» ربما أعظم فيلم صُنعَ في أسلوب تصويره العبقري وبنائه من زوايا مختلفة (وإنْ لم يكن فيلمه المُفضّل الشخصي في المُطلق، الذي كان فيلم (Bladerunner the Director's Cut). وهذا الفيلم الذي يُشاهده الآن يدور حول صناعة الأفلام في بريطانيا. هناك ممثل آخر على الشاشة تظاهر تواً بأنه يقع في حب ممثلة تتظاهر بأنها خادمة برتغالية لأنه شاهدها تخلع ملابسها لكي تغوص في البحيرة وشاهدها بعد ذلك بشعرٍ أشعث ومُبلل، وأجمل بكثير مما شاهدها أول مرة. ماغنوس ينظر إلى حواف الشاشة، حيث تلتقي حافة ضياء الفيلم مع السواد.

Twitter: @ketab_n

ويتساءل لماذا يُسمّى الشيء الذي تُعرض عليه الأفلام بالشاشة. ماذا يوجد خلفها؟

خلف هذه ربما جدار عادي من حجر الآجر.

يفكّر في الطريقة التي تستقبل بها العينان الإنسانيتان العالم الخارجي ومن ثم تعيد عرضه من جديد، كفيلم بالمقلوب، على الشاشة الشبكية في خلفيّة العينين، ومن ثم يعمل المخ على الفور على إعادته إلى الوضعية الصحيحة.

هناك فتاتان تجلسان بعده بعددٍ من الصفوف ويبدو أنهما مستغرقتان في المشاهدة. على أي حال هو فيلم عن الفتيات، لذا على ماغنوس ألا يتوقّع الكثير منه أو حتى أنْ يُثير اهتمامه. إنه من النوع الذي جدير بك أنْ تصطحب معك فتاة لمشاهدته.

إنه يتخيّل أستريد هنا إلى جواره تشاهد هذا الفيلم. أستريد لن تعتقد فقط أنّ الفيلم تافه، بل ستقول إنه كذلك. سوف تهتف معبّرة عن ضجرها منه وسوف يدير الناس رؤوسهم ويطلبون منها أنْ تصمت. إنها ليست راشدة بما يكفي بحيث تتظاهر بأنه يُعجبها. يبتسم في الظلام. قُبيل حلول عيد الميلاد أضرمت النار في كومة من أوراق الأشجار بجوار سقيفة وإذا بالنار تندلع في السقيفة كلها. مما دفع مايكل إلى التصرُّف؛ فجاء، راكضاً تقريباً، عبر الحديقة مع جهاز الإطفاء. ثم وقف في الحديقة معهم، يضحك على السقيفة التي أضحت سوداء. إنَّ مايكل ظريف. ثم جلسوا جميعاً في المطبخ معاً قليلاً حول الطاولة وشربوا القهوة، وهو أمر لم يفعلوه من قبل، حول هذه الطاولة بالذات على أي حال. الطاولة لها شكل يختلف عن شكل الطاولة القديمة،

Twitter: @ketab_n

فهي دائرية، وليست مستطيلة. وما شكَّلَ فرقاً في تلك الليلة أنَّ الطاولة كانت دائرية. ويتساءل ماغنوس إنْ كانت إيف ستحب الطاولة الجديدة عندما ستصل إلى المنزل. أستريد لا زالت ترفض أنْ تتحدث مع إيف عندما اتصلت في يوم عيد الميلاد. لكنَّ ماغنوس، مع ذلك، كان قد ولج المطبخ وفاجأ أستريد وهي تستعرض حزمة (ضخمة) من البطاقات البريدية.

قال ماغنوس للمرة الثانية: «حسبت أنَّ مبدأك هو ألا تقرأي مثل هذه الأشياء».

قالت أستريد: «أنا لا أقرأها. لقد اضطررتُ إلى رفعها عن قمة البرّاد لكي أتمكن من فتح الباب وإخراج الحليب وتصادفَ أنْ وقعَتْ في يدي وتصادف أني نظرت إليها، هذا كل شيء. وهذا لا يعني أني قرأتها».

وصلت رسائل النتيجة النهائية صباح الأمس. وبعد ظهيرة الأمس كانت أستريد تشاهد برنامجاً اسمه «الدبابير القاتلة من الجحيم». جلس ماغنوس بجوارها على الأريكة وأخبرته كيف تُرسل الدبابير القاتلة، التي يبلغ طولها عشرة أضعاف طول النحل في موقع ما من أميركا الجنوبية، طلائعها إلى المقدمة ليقتفوا أماكن خلايا النحل ثم يُقدّمون تقريرهم. ثم تهاجم الدبابير الخلية، وتقتل النحل وتأكل العسل. ولكن بعض النحل يدرك أنَّ تلك الدبابير تموت عند درجة حرارة معيَّنة، ١١٦ درجة. لكنَّ النحل أيضاً يموت عند درجة حرارة معيَّنة هي ١١٨ درجة. ولذلك عندما يرى النحل المستطلعين من الدبابير في المرة التالية، يعلم النحل بصورة ما ويُحاصر المستطلعين ويأخذ بالاهتزاز معاً كوحدة متحدة واحدة إلى أنْ تصبح درجة حرارته - اسمع هذا - ١١٧ درجة بالضبط. قالت أستريد «هذا ذكاء لامع».

Twitter: @ketab_n

قال ماغنوس: «أستريد، هل لك أنْ تُناديني فقط ببقعة القذارة؟».

فقالت أستريد: «ماذا؟».

قال ماغنوس: «هلا سمحت وفعلتِ كما أقول؟».

قالت أستريد: «أنت بقعة قذارة».

قال ماغنوس: «هلا كرّرتِ هذا من جديد، بضع مرات؟».

قالت أستريد دون أنْ تزيح عينيها عن التلفاز: «أنت بقعة قذارة، أنت بقعة قذارة، أنت بقعة قذارة».

«هل هناك عِلم حساب للحزن؟ إنَّ عِلم الحساب يُمكّنك من الحصول على جواب صحيح من دون أنْ تعرف السبب بالضرورة. هل هناك عملية حسابية تمكّنك من فهم سبب وكيفية حصولك على جواب خطأ؟ لقد وصلت الرسائل. وهي تحمل النتيجة النهائية. ثمة شيء خطأ فيها.

كانت إيف قد قالت عندما عاودت الاتصال: «هذا عظيم، يا عزيزي». كان صوتها يعلو وينخفض في نبرته ويتقطّع. «إنه خبر (شيء ما). خبر رائع. شكراً لله. إنَّ (فراغ) ثقة فيك. (فراغ) المدرسة معقول جداً. الآن في إمكانك أنْ تضع هذا كل (شيء ما) وتمضي في حياتك. حياتك الحقيقية. بتقديم (شيء ما) امتحانات. إنَّ (فراغ) هذا العام المقبل (فراغ) أصداء (شيء ما) حتى آخر حياتك».

قال ماغنوس لأستريد أثناء مشاهدتهما النحل يلتهم جثث الدبابير المُستطلعة: «أليس هناك عبارة أسوأ من هذه تخاطبينني بها؟».

Twitter: @ketab_n

قالت أستريد: «كلا. إنَّ بقعة القذارة هي أسوأ وصف أعرفه».

(لا ينبغي إخبار أستريد أي شيء بخصوص المدرسة إلى آخره. ولا لأحد. وبما أنَّ ماغنِوس شكّل طرفاً في الاتّفاقية السريّة وافقَ على الامتناع عن ذِكر الاسم أو القضية علناً، وتلقّى تحذيراً بعدم ذِكرهما سراً. إننا نطلب احترامكم وسرّيتكم فيما يخصّ المسألة)

قالت أستريد: «أنت دبور قاتل من الجحيم».

قال ماغنوس: «هذا جيد»، وهو يومئ برأسه لنفسه لأنّ تعليقه يوحي بالارتياح، يوحي بأنه إذا قام بأمر خطأ يمكن أنْ يُعرّضه النحل البريء بحسابه الدقيق والقويم للحرارة حتى الموت.

قالت أستريد: «أنت شبكة شعر قاتلة[٧٠] من الجحيم».

في دار السينما، يضحك ماغنوس بصوت عال. الفتاتان البعيدتان عنه التفتتا ونظرتا إليه في الظلام لأنَّ الضحك جاء في التوقيت الخطأ، فلا شيء مُضحكاً يجري على الشاشة، ولا أحد آخر يضحك في السينما. الممثل يتظاهر بأنه رئيس الوزراء الذي يتظاهر بأنه يُلقي خطاباً عن معارضته للسياسة الأميركية. إنه يفعل ذلك لأنه قبل قليلٍ في الفيلم يُفاجئ الممثل الذي يتظاهر بأنه الرئيس الأميركي وهو يُقبِّل أُذُن الممثلة التي تتظاهر بأنها الفتاة التي تقدِّم الشاي.

يتفرَّج بينما الناس في الفيلم ينكّتون حول مدى بدانة الممثلة التي

٧٠ – نطقت أستريد كلمة hornet (دبور) خطأً وقالت hairnet (شبكة شعر). – المترجم.

Twitter: @ketab_n

تلعب دور فتاة الشاي كما هو مُفتَرَض، على الرغم من أنَّ ماغنوس نفسه لا يعتقد أنها بدينة حقاً، ليس كثيراً، ليس بصورة ملحوظة.

لقد راهن باسكال[٧١] نفسه على أنَّ الله موجود وبالتالي على وجود جنّة ونار. رأى أنه إذا راهن بحياته على ذلك، إذا عاش حياته على أنها موجودة، فسوف يدخل الجنّة. ولكن إذا مات و لم يجد شيئاً، فلن يكون مهماً عدم وجودها. بالنسبة إلى باسكال، لا لفائدة من المراهنة بمصيرك على لا شيء بدل أنْ تراهن على شيءٍ ما. فذلك هدر حقيقيّ للرهان.

قال ماغنوس لأستريد «أراهن على أنَّ هناك شيئاً لن تتمكني ولو بعد مليون عام من معرفته عني».

قالت أستريد: «أنت تعتقد أنك مثليّ».

قال: «كلا، أنا جادّ. إنني أراهن على أنَّ هناك شيئاً إذا عرفتِهِ عني فلن ترغبي في التكلّم معي بعد ذلك أو في الاعتراف بي أخاً لكِ. لن يسعكِ إلا أنْ تكرهيني».

قال هذا وكأنه يمزح، كأنها نكتة.

قالت أستريد: «أنت تعتقِد أني مثليّة».

انتهى البرنامج الذي يدور حول النحل.

قالت أستريد: «أنا أكرهك في كل الأحوال. لا شيء يمكنك أنْ تخبرني به يمكن أنْ يجعلني أكرهك أكثر مما أفعل أصلاً».

---

٧١ – بليز باسكال (١٦٢٣ – ١٦٦٢): فيلسوف، ورياضي وفيزيائي فرنسي. لديه إسهامات عِلمية هامة جداً. أهم أعماله «أفكار» و«رسائل ريفية». – المترجم.

Twitter: @ketab_n

ابتسمــت له بعذوبة. بادلها الابتسام. كاد يبكي. كان برنامجٌ حول أحــداث عام ٢٠٠٣، الآن وقد شارف عــام ٢٠٠٣ على الانتهاء، قد بــدأ. كان أفراد فريق لعبة الريغبي الإنكليــزي واقفين، يرفعون قبضات أيديهــم، أمام حشد هائل وهادر. ثم هناك جنود أميركيون جلسوا على مقاعــد تبدو فخمــة وسط بقايا مُغــبرّة لجناح ملكي متفجّــر. ثم هناك إطلاق نــار في الهواء لمجموعــة من رجال الشرطة يقفــون حول حافة غابــة خضراء صغــيرة. كان فصل الصيــف. ثم تظهر بأحــرف مُبرغلة ومُضخّمة، عبر الشاشة، كلمة مُثار ثم كلمة جنسياً.

قالت أستريد: «هل الأمر يتعلّق بتوقيفك المؤقّت وانتهاء ذلك كله؟».

«انتهى. سهل مثل أ، ب، ت».

أ- ماغنوس يضغط الزر على الهاتف المُجيب، وهو جالس هناك وكأنه ينتظره ككلب ملكيّ، كلب وصل إلى بيته البعيد جداً بعد أنْ قام بأسفارٍ لا تُصدَّق، في وسط الأرض في غرفة الطعام الخالية من أي شيء آخر.

هنــاك ثــلاث رسائل. واحدة لمايــكل (من الجامعة، عــن الفتاة التي كانــت تُهدّد بإقامــة دعوى). وواحدة لإيف (مــن المكتب القانوني في مكتــب ناشرتها، حــول العائــلات). والأخرى، يــتردّد صداها حول ماغنوســ في الغرفة الخالية. ويطلب ملتــون من إيف ومايكل أنْ يُعجّلا بإعلام المدرسة.

ماغنوس يتقلّب قلقاً في السرير.

لابــد أنَّ أعضاء تلفزيون الدارة المُقفلــة الخاص بالمدرسة لَمحوه وهو

Twitter: @ketab_n

يغادر غرفة الحاسوب في الوقت المُحدَّدِ إلى آخره. لابد أنهم اقتفوا أثره من شيءٍ ترك أثراً على القرص الصلب. لابد أنَّ الخدم الذين يقومون بتنظيف أروقة الطوابق العليا تعرّفوا عليه وهو هناك في المدرسة بعد انتهاء ساعات الدوام الرسمي ليلاً.

خارج نوافذ مكتب ملتون هناك فناء اللعب، مهجوراً خلال فصل الصيف. يبدو الشرود على مايكل - في الأسبوع نفسه سمع مايكل خبراً عن عمله - وأبدت إيف قلقها من نظرات ملتون الحذرة، وكأنه لا يقوى على الكفّ عنها، إلى ما تبقّى من رضات على عينها السوداء التي سبّبتها لها أمبر عندما أمرتها بمغادرة منزلها فلوت أمبر ذراعها، وأبعدت قبضة يدها حتى خلف رأسها، ثم لكمت إيف بقوة على عينها. ويُخبر ملتون إيف ومايكل: تحقيقات المدرسة، حادث الانتحار المأساوي الأخير، الصحافة المحلية، ابنهما ماغنوس، متورط، التوقيف ضروري أثناء إجراء كل التحقيقات المناسبة.

تومئ إيف ومايكل برأسيهما إيجاباً، مذهولين. ذراع إيف يُطوّق ماغنوس. ملتون يُخبرهما. جيك سترودرس، جالس يبكي على الرصيف خارج المنزل. الأم تفتح الباب الأمامي وتأخذه إلى الداخل ومن ثم تتصل بملتون هاتفياً.

(إذن الأمر لم يكن يتعلّق بدارة مُقفلة أو بقرص صلب أو بخدم التنظيف على الإطلاق. جيك سترودرس هو الذي فعلها. كان بدافع الحب).

عبّر ملتون عن ارتياحه الشديد. إنَّ القضية لم تحظ إلا بأقلّ تغطية من وسائل الإعلام. (لا ذِكر لأنطون. أنطون، نجا من ذلك بكل معنى

Twitter: @ketab_n

الكلمـة). رأى ملتون أنَّ العائلة لن توجـه أي اتهامات على أي حال. فالقضية على أي حال هي قضية القضية على أي حال[٧٢].

فجأةً ران الصمت على الجميع، وهم ينظرون إلى ماغنوس.

قال ماغنوس، ولكن هذا صحيح.

أنا فعلتُها.

ب – ماغنوس في طريق عودته إلى المنزل داخل السيارة من الخلف، يُطـوّق نفسه بذراعيه، وداخله عِظامـه، داخلها لا شيء، تجويف،؛ طفل مصنوع من لا شيء. إيف ومايكل في المقدمة، يُكثران من الإيماء برأسيهما. الكلمـات شعبية، تجنُّب، ضرورة. إيف ومايكل يُعانقانه عندما يخرجان معـاً من السيارة. ماغنوس في السرير عنـد الساعة السادسة مساءً، نائماً. يـدٌ ضخمة تزيح البلاطة الحجرية عن ظهره. يدٌ ضخمة تخرج أخيراً من الهواء وترفعه من بين الحشد، تزنه، تقلبه داخل راحة كفّها، وتوشك، في أي لحظة، أنْ ترفعه إلى عينٍ عملاقة في السماء وتُلقي عليه نظرة مُنعِمة.

ت – ماغنوس سوف يخضع للاستجـواب والتحقيق في نهاية شهر تشرين ثاني. أجلسته السكرتيرة في غرفة مكتب ملتون وألقى ملتون على مسمعـه خطاباً. كم فوجئ ملتون برؤية اسم ماغنوس، من دون الأسماء كلها. كم عجز ملتون عن تصديق ذلك حرفياً. كم كانت كلمة «صحيح» هنـا «نسبيّة». كم فهم ملتون أنَّ ماغنوس بكل وضوح لم يقصد ما فعل.

---

٧٢ – مـرة أخرى تلعب المؤلفـة على لفظ ومعنى مختلفَين لكلمـة واحدة تتردَّد مراراً في جملـة واحـدة: The case in any case the case the case in any case. وتذكّرنا في هذا المجال بغرترود شتاين، الكاتبة. – المترجم.

Twitter: @ketab_n

وكـم بذلت المدرسة من جهد لتبرئة ماغنوس. وأهمية بذل مجهودٍ جبار في امتحان هذا العام الهامّ. والتأثيرات السيئة وكيفية تفاديها. والاتصال بستروذرس، وعقاب الانفجار. وكم كان ماغنوس محظوظاً، وعدم رغبة الشرطـة في التورط في حالة انتحار واضحـة. ومن حسن حظ ماغنوس أنَّ العائلـة كانت حكيمـةو لم ترغب في تصعيـد المسألة. ومن الضروري لماغنوس أنْ يُحافظ على مزاج قائـم على أساس لياقة وكياسة معرفة متى يـترك الحجـر دون أنْ يقلبه بحيـث، أولاً يُسمح للخســارة الرهيبة التي عانتهـا المدرسـة بسبب تلك الحادثة المؤسفـة أنْ تتلاشى بصورة طبيعية، وثانياً أنْ يُسمح للعائلـة المبتلية بأنْ تواصل حياتها اليومية بعيداً حتى عن ألم أي تفكـير واضطراب مزعجين. هل فهم ماغنوس؟ كان هذا السؤال الوحيد الذي طُرِحَ على ماغنوس في المقابلة.

لقد فهم ماغنوس، مومئاً برأسه وراضخاً.

١، ٢.

(a+b)

c+

= النتيجة النهائية

= المسألة أُلغيَتْ رسمياً.

أمر بسيـط، أ، ب، ت. رياضيات. العثور علـى البسيط في المعقَّد، المحدود في اللا محدود.

قال ماغنوس: «نعم، الأمر يتعلَّق بالتوقيف المؤقت وانتهاء المسألة».

قالت أستريد: «ماذا عن المسألة؟ ماذا حدث؟».

Twitter: @ketab_n

علـى الشاشة بوب هـوب[٧٣] يُلقـي نكتة على مسمـع بعض فرق الجيش في الحرب العالمية الثانية. كانوا يعرضون هـذا على التلفاز لأنَّ بوب هوب توفي. توفي في عام ٢٠٠٣.

قال ماغنوس وهو يهز رأسه نفياً: «لا يهم».

أدارت أستريد عينيها داخل محجريهما.

قالت: «وكأني أريد أنْ أعرف أصلاً».

قوات الحرب العالمية الثانية تضجّ بالضحك.

قالت أستريد: «في الواقع هناك ما هو أسوأ من بقعة القذارة».

قال ماغنوس: «ما هو؟».

قالت أستريد: «أنتَ».

قال ماغنوس: «شكراً».

قالـت أستريد وهي تبـدِّل القنوات: «لا شكر علـى واجب». عام ٢٠٠٣ انتهـى بضغـط على زر. جعله ذلك يشعـر بقليل من التحسُّن. ترهّل أكثر في جلسته على الأريكة.

الآن يتخيَّـل ماغنوس، وهـو في السينما، جيك علـى الرصيف ثم يُفتَـح باب خلفه وتخرج السيدة اللطيفـة، وترفعه عن الأرض. تُدخِله إلى الغرفة الأمامية وتُجلِسه على الأريكة وتصنع له كوباً من الشوكولاته

---

٧٣ – بـوب هوب (١٩٠٣–٢٠٠٣): ممثل هـزلي أميركي. اشتُهر خاصة في حقبة الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي. – المترجم.

Twitter: @ketab_n

الحارة، أو الشاي، شيء حار ومُريح على أي حال، وتُحضره وتضعه بين يديه، وسوف يبكي بكاءً حاراً حتى تسقط الدموع فيه، وتأخذ الكوب وتضعه على الطاولة وتمسك بيديه وتقول، «كفى كفى، هيا، لا مفر، لا بأس، لقد انتهى الأمر»، ثم تنهض وتدخل وتتصل هاتفياً بملتون وتقول «سيد ملتون إنَّ أحد فتيانك الذي تعرفه موجود هنا».

أو ربما لم تكن لطيفة على الإطلاق. لعلها كانت مجنونة ومتألّمة وغاضبة، ووجهها لا زال مكسواً بالخطوط من البكاء وقلّة النوم؛ لعلّها أمسكت جيك من يده وجرّته إلى الداخل ورمته على أرضية الغرفة الأمامية وراحت تصرخ في وجهه وتسبّه، ورمته بالكوب الذي كانت تحمل، ورمته بكل ما طالت يدها، أطباق، صور، مزهرية، طاولة، بكل شيء - إلى أنْ نال الإرهاق منهما معاً من كثرة الصراخ والحزن وكُسِرَ كل شيء حولهما وجلسا كلاهما غارقاً في إرهاقه يُحدّق إلى الفراغ إلى أنْ نهضتْ وذهبت لتتّصل بملتون هاتفياً. وقالت - ماذا؟ ألو، سيد ملتون، معك السيدة *****، والدة الـ *****، الذي لا يمكن ذِكر اسمه، الفتاة التي ماتت، أتذكُر، وأحد الفتية الذي تعرف موجود هنا».

كانت الأم أو الأخ هو الذي عثر عليها، في غرفة الحمّام. إنَّ ماغنوس يعرف شكل أخيها الصغير. إنه في مدرسة دينز. الجميع يعرفون شكله في دينز، وسوف يعرف من هو ماغنوس الآن؛ الجميع يعرفون أي الفتية أوقف.

سوف يلتقون به في أروقة المدرسة.

ذلك الضجيج يسمعه ماغنوس خلف موسيقى الفيلم والممثلين

Twitter: @ketab_n

لا يمكـن أنْ يصدر عـن السلالم الكهربائية. هـذا مستحيل. إذ لا يمكن سماعهـا في دار السينما هذه المزوَّدة بمستـوى صوت عازل للصوت. يبـدو أنَّ ما يسمع هو ضجيج مُسلِّط الإضـاءة. الفيلم يكاد ينتهي الآن لأنَّ الأحـداث كلها تتراكم فيه. لقد اجتمع الممثلون من أطراف القصة كلهـا معـاً في مسرحيـة المدرسة التي تـدور حول ميـلاد المسيح أو في المطار وتبادلوا الابتسام ولوّحوا بعضهم لبعض بالأيدي وكأنهم جميعاً يعيشـون في العالم نفسه ويعـرف بعضهم بعضاً طـوال الوقت. الممثلة تتظاهر بأنهـا خادمة برتغالية وقالت نعم للزواج مـن الممثل الذي أشدّ مـا اشتهـر في دوره في الفيلـم المأخوذ عن رواية لجـين أوستن. الجميع ضحكوا على الممثلة البدينة التـي تتظاهر بأنها الأخت البدينة للخادمة البورتغاليـة. مـن المفترض أنَّ الفيلـم يحكي عن الحب. لكـنَّ الرسالة الوحيدة التي يبعثها، كما فهـم ماغنوس، هي أنه ينبغي ألا تكوني بدينة إذا كنتِ فتاة وإلا فإنَّ الجميع سيعتقدون أنكِ مادة للضحك ولن يرغب أحدٌ في الزواج منكِ.

علـى مسافة منه إحدى الفتاتين تبكـي. يتساءل إنْ كانت تبكي لأنَّ الفيلـم أثَّرَ فيها أم لأنها تعتقد أنها مفرطـة البدانة. الفتاة تبكي وتبكي. وهـي ليست بدينة علـى الإطلاق. تُحيطهـا صديقتهـا بذراعها. يجد ماغنوس نفسه يأمـل في أنْ تكون لأستريد صديقة مثـل هذه، تُحيطها بذراعها إذا ما جلسـتْ ذات يوم تبكي في السينما. لكنَّ أمام فكرة أنَّ أستريـد تبكي في السينما، خاصة وهي تشاهد فيلماً كهذا، أستريد التي في خياله سوف تُبرِز إصبعها الأوسط له، وللفيلم.

ولكن ماذا لو أنَّ أستريد جاءت لتشاهد فيلماً كهذا وضعفت، كتلك الفتاة التي تجلس على مسافة منه؟ ماذا لو أستريد لا تشبه في شيء أستريد

Twitter: @ketab_n

التي في خياله، عندما تخرج إلى الحياة الواقعية؟ قد تضطر إلى أنْ تكون مختلفة. يجب أنْ يكون للفتيات أسلوب معيَّن للتعامل فيما بينهن، كما يفعل الفتيان.

بعد قليل سوف يُغادر ماغنوس السينما. استعراض أسماء العاملين في الفيلم انتهى. سوف يُضطر إلى الخروج من جديد من هذا المكان، مثل هذا المكان هو كهف آمن بما فيه من ظلال تومض على الجدار، حيث من السهل التظاهر بأنه لا يوجد غير الظلال. هناك، توجد سلالم كهربائية تدور وتدور في اتجاهاتها الثابتة. والأشياء التي من المُفترَض أنْ تشتريها طوال الوقت. ونهاية العام. والناس ينظرون إلى الناس ولا ينظرون إلى الناس. ماذا سيفعل عندما سيُقابل أخاها في الرواق خلال الفصل الدراسي الجديد، في العام الجديد؟ هل سيتظاهر بأنه لا يراه؟ هل سينظر إليه وكأنه غير موجود؟ هل سيتظاهر الأخ الصغير بأنه لا يرى ماغنوس؟ بل أسوأ. هل سينظر إليه مباشرة؟

كانت هناك مجموعة من الرجال موثقة بالسلاسل داخل كهف، وكل ما شاهدوا، كل ما استطاعوا أنْ يُشاهدوا وكل ما شاهدوا في المُطلق في العالم كان الظلال التي ألقتها نارهم على الجدران. كانوا يشاهدون الظلال طوال الوقت. أمضوا أيامهم وهم يراقبونها.. لقد آمنوا بأنَّ هذه هي الحياة. ولكن بعد ذلك أُجبِرَ أحدهم على مغادرة الكهف إلى العالم الحقيقي. وعندما عاد إلى الكهف وأخبر الآخرين عن ضوء الشمس، لم يُصدقوه. ظنوا أنه قد جُنّ. إنَّ ماغنوس لا يتذكَّر نهاية تلك القصة. هل جُنَّ الرجل الذي شاهد العالم الخارجي؟ هل غادر الكهف، المكان الوحيد الذي عرفه، وذهب إلى مكانٍ آخر، منفياً عن أصدقائه القدامى وعن الحياة الوحيدة التي عرف قبل ذلك، داخل

Twitter: @ketab_n

الكهف؟ هـل الرجال الموثقون بالسلاسل بأرض الكهف قتلوه، لأنهم اضطربوا كثيراً بسبب ما راح يُكرر قوله؟

الفتاة الباكية وصديقتها تنتظران كي تتجاوزانه. ينهض واقفاً ليفسح لهمـا مجالاً للمـرور، ثم يلحق بهمـا إلى خارج السينمـا وإلى الأضواء المُبهـرة لمنطقة التسوّق. يشعر بأنه حـامٍ. يسير خلفهما، يحميهما دون عِلمهما، حتى وصولهما إلى السلالم الكهربائية وإلى أسفل، مُركّزاً على ظهـر تلك التي كانت تبكـي وكفّت عن البـكاء الآن، وتتلفّت حولها بعينـين حمراوَين. صديقتها تتكلّم. تهز رأسها إيجاباً وتجيب. كلتاهما تضحـكان. هذا أفضل. أيضاً، أوصله ذلك إلى أسفل السلّم من دون أنْ يُضطر إلى التفكير في السلّم.

لحق بهما قليلاً.

يقفُ عند باب محل بيع كماليات يوشك أنْ يُغلِق أبوابه، وينتظرهما. عندما تخرجان مـن جديد، متشابكتيّ الذراعَـين، يُفسح لهما المجال لتتقدّمـاه ثم يسـير خلفهما ماراً بالمحـال الأخرى التي تُغلِـق أبوابها. تغـادران المنطقـة، وتعـبران الشارع مع الحشـد وتختفيان بـين الناس المنعطفـين نحو النفق ويُـترَك ماغنوس واقفاً في شـارعٍ في الشتاء تبدو أبنيته تنهض من الأرض كالأبنية ذات البُعدَين في شارعٍ زائف في خلفية فيلم. رياح قوية بقدرٍ كافٍ جديرة بأنْ تُطيح بها.

كان لها أخ، كما أنَّ ماغنوس هو أخو أستريد.

أبـرزت إصبعها لأخيها وسبّته وعاملته أسوأ معاملة وراحت تشاهد التلفـاز وهي مسترخية علـى الأريكة، وردّ هو عليهـا بالمثل، تماماً كما يحدث بينه وبين أستريد.

Twitter: @ketab_n

أغلقتْ باب الحمّام. ووقفت ربما على المغطس. لقد بلغ تحمّلها مُنتهاه. وقفت على حافة المغطس ونظرت إلى أسفل، وبدل أنْ ترى شخصاً ما هناك، لم تر أحداً.

النتيجة النهائية.

يتذكّر ماغنوس أنه أخبر أمبر بعد ظهيرة أحد الأيام الحارة بصورة لا تُصدَّق بحيث أنَّ حتى داخل تلك الكنيسة الحجرية كان دافئاً، «إنَّ علامة المساواة اخترعها ليبنتز».

قالت أمبر: «أحقاً؟ أنتَ متأكد؟».

أحاطت يدها، يدها الشديدة الرقّة، بقضيبه، الذي كان قد خرج من بنطلونه القصير، لم يفعل أي شيء، هي فعلت، ممسكة به. أدخلَ يده، الرقيقة، حتى منتصفها فيها، داخل بنطلونها القصير، كما فعلت. حدث ذلك بعد الجنس مباشرة، وقبل الجنس مباشرة.

قال ماغنوس: «ماذا تعنين بكلمة متأكّد؟».

قالت أمبر: «أعني، ما أدراك؟».

قال ماغنوس: «أنا فقط أعرف. إنه فقط أمر أعرفه».

كان لديه نصف انتصاب. كانت غالباً مزعجة قليلاً هكذا بين فترات ممارسة الجنس، وهي توتر أعصابه. وأخيراً، في أوقات أخرى في الكنيسة، أصبح يعلم أنَّ عليه ألا يخوض في مثل هذا النوع من الأحاديث. ولكن عند هذه المرحلة كان لا يزال من السهل قليلاً توتير أعصابه.

قالت أمبر: «ولكن كيف تعلم أنَّ هذا صحيح؟».

Twitter: @ketab_n

قال ماغنوس: «حسن، أعتقد أني قرأته في كتاب، لأني لا أتذكّر بالضبط متى أو كيف عرفت أنه حقيقة، ولكن لنفرض أني قرأته في كتاب، حسن، هذا يعني أنه موجود في كتاب، وبالتالي فهو افتراض صحيح».

قالت أمبر: «لماذا مجرد وروده في كتاب يجعله صحيحاً ؟».

قال ماغنوس: «لأنه إذا ورد في كتاب فمن المحتمل أنه كتاب مدرسي، مُقرّر مدرسي، والمقررات المدرسية يؤلفها أناس درسوا الموضوع فترة طويلة من الزمن، ودرسوه جيداً، بحيث أصبحوا قادرين على تدريسه لأناسٍ يعرفون أقلّ منهم بكثير. وأيضاً، الكتب يُحررها مُحررون يتحققون من الحقائق قبل أنْ ينشروها. وحتى لو فرضنا أني لم أتعلمها من مُقرر مدرسي بل من مُدرِّس، فالأمر نفسه».

قالت أمبر: «ماذا، أيُحرِّر المُحررون الذين يتحققون من الحقائق للمعلمين الذين يعلمونها؟».

صرّ ماغنوس بأسنانه.

قال: «أنتِ تعلمين ما أعني. هيا. استراحة، من فضلك. أعطنيها».

قالت أمبر: «كل ما أقول هو، ماذا لو لم يكن ليبتز؟كل ما أقول هو، ماذا لو كان شخصاً آخر؟».

قال ماغنوس: «بل كان ليبتز».

قالت أمبر: «ولكن ماذا لو لم يكن هو؟».

قال ماغنوس: «ولكنه هو».

أصبح انتصابه كاملاً الآن.

Twitter: @ketab_n

قالـت أمبر وهي تقوم بحركة دائرية بيدها علـى رأسه، وخلفاً نحو الخصيتين وعالياً نحو الرأس من جديد: «ماذا لو كنتَ مخطئاً ؟».

قال ماغنوس: «أنا، أه، أنا ببساطة، أه، لست كذلك».

قالت أمبر: «ماذا؟».

قال ماغنوس: «أنا مُخطئ في هذا المثال».

قالت أمبر: «أه».

تحرّكت بحيث تصبح يده بعيدة عنها. نزعت عنها بنطلونها القصير، وخرجت منه، تركته على أرضية الخشب العتيق.

قالت وهي تعتليه: «أنت متأكد؟».

قـال ماغنوس من عمق حـرارة اللحظة العذبة: «مئـة بالمئة. متأكّد مائـة بالمائة في حرارة الصيف»، يكاد لا يتخيَّل الآن أنَّ الوقت هو الآن والدنيـا شتاء، مئة بالمئـة متأكّد في ذروة الجنس العذبـة للزمن الأبدي، المنتهـي في ذلك المنزل، في الكنيسـة، في أمبر. كانت أمبر قد قالت له، أنـا لسـت عاشقة، فلا تنس هذا[٧٤]. كل ما في الأمـر أنَّ الرجال الذين في مثـل سنك مناسبون جداً بصورة طبيعية للنساء اللائي في مثل سني، لذلك أنا أقترب من إنجازي الأكبر أما أنتَ فقد بلغته.

هل قالت حقاً إنجازي الأكبر، كإحدى النكات التي تطلقها أمبر، أم

---

٧٤ – هـذا مقطـع مـن أغنيـة لفريق غنائـي شهير اسمـه CC ١٠. والكاتبـة في هذا الكتـاب تلجـأ كثيراً إلى الاستعانة بمقاطع مـن الأغاني الرائجـة في زمن أحداث العمل. – المترجم.

Twitter: @ketab_n

هل قالت فقط أكبر وهو أضاف إنجاز بعد ذلك؟ أثناء تسكّعه على شبكة الإنترنـت على أحد أجهـزة الحاسوب الجديدة في المنـزل في أحد أيام التوقيف العديدة، يسأل جيفز على موقع أسك دوت كوم[٧٥] عن كل ما يخطر على باله، مثل مَنْ قتل كينيدي، وأين هو أسامة بن لادن، وكيف مات أفلاطون، وهل شكسبير موجود حقاً، ومَنْ هو زينون الإيلي[٧٦]، ومتـى اخترع ليبتز علامة التساوي،اكتشـفَ ماغنوس أنَّ ليس ليبتز في الواقع بل رجل من ويلز اسمه روبرت ريكورد ربما يكون اخترعها، في خمسينيات القرن السادس عشر. والحقيقة الثانية الوحيدة المذكورة عن روبرت ريكورد على الموقع هي أنه مات في سجنٍ للمَدينين.

بعـد ذلك، طبع ماغنوس الجملـة التالية: إلى أين ذهبت أمبر؟ ثم نقر على زر بحث.

- موقع نيـوك كبس - فريق العمل: Amber Has Gone Nuke Clear.

- اتصل بنا. فريق العمل: Amber Has Gone Nuke Clear... يكتـب msnx إنَّ موقعنـا طرأ عليه تغيير كبير منـذ الأيام الأولى وأصبح اسمه McCop. ذهبت - أمبر.

- **بويتفيـل**. «ذهبت» بقلم باي أمبر لين فاوست حقوق النشر أيلول ٢٣، ٢٠٠٣.

---

٧٥ - موقع على النت معروف جداً WWW.ASK.COM. - المترجم.

٧٦ - زينون الإيلي (٤٩٠؟ - ٤٣٠؟ ق.م): فيلسوف يوناني. تلميذ برمنيدس. دافع عن اعتقاده بأنَّ الحركة والتغيير وهم. - المترجم.

Twitter: @ketab_n

- كل شـيء ذهــب. لم يعد هنــاك من نعتمــد عليه. ناهيــك، قاس كالحجر.

- فنتــون - «ذهب مــع الريح» مصباح بزجاج قابـل للجمع، هذه الجميلـة أمبر ذهبــت مع الريـح حوامل المصابيـح بطول ٢٢ - ٢/١ وأُنتجــت عــام ١٩٧١. يمكــن إضــاءة القمــة وحدهــا أو القاعدة...

- فيكتوريا أمبر لايت فيكتستشر

- محل بيون إكسبريشن للعاديات. هذا كمسمار نعل من الكهرمان الممتاز

- «ذهــب - مــع - الريح» مُثبِّــت الضــوء ذو إطار مــن الأحجار الكريمة، وبديل...

- ذهب إلى دوغستار - أمبر

- أمــبر... أنثى الكلب عندي كان اسمها أمبر، كانت حمراء اللون صينية. ماتت من سرطان المعدة وهي في الثامنة من العمر.

- جهاز الأمن في سيرفيلد أطلق إنذار مستوى الكهرمان.

- سيلافيلد أطلق إنذار مستــوى الكهرمان كإجراء احترازي تماشياً مع أوامر الحكومة من أجل مزيد من الحذر والحماية وحساسية...

- أماريالــو غلــوب - نيوز: أعمــال: أمواج كهرمانيــة: حيث كل الشبكــة ترسَــل... الأحــد ١٥ حزيــران، ٢٠٠٣... الســاعة ٥،٣٤ صباحاً CT. كهرمانية.

•

Twitter: @ketab_n

– أمواج: إلى أين ذهب رعاة البقر جميعاً ؟ بقلم كيه لدبتر...

– أمبر ريفيو ووكثرو.

– عندما تومض الحدود الخارجية لوحدة بيك في مخزونك، اضغط عليه لكي تؤكّد على أنّ أداة أمبر أضحت أون لاين.

– اسأل جيفز. بطاقات معايدة، من فضلك أدخل مادة بحثك أدناه.

– طبع ماغنوس في ***** *****.

– بحثك عن ****** **** لم يتطابق مع أي من النتائج. من فضلك جرّب البحث من جديد.

يطبع ماغنوس في س ****** م ****** أحصى النجوم لكي يتيقّن من أنه وضع الرقم الصحيح. ثم نقر على زر البحث. عثر له جيفزعلى قاموس ألحان الغيتار الذي يضم لائحة بألحان الجاز، وعلى موقع صالة فنية في لوس أنجليس وموقع لأشكال وأحرف هزلية.

بعد ذلك وصل ماغنوس إلى معارض الصور المجانية، للمرة الأولى منذ آخر مرة. كاد يسمع وجيب قلبه وهو ينقر للمرة الأولى وتنفتح أمامه.

لا بأس به. كان مجرد موقع إباحي. إنه عادي جداً. ليس هاماً.

ليزي تمارس لعق الطيز في الجاكوزي. بترا تعرض كسّها الظريف. موقع من الدرجة الأولى. عجوز ملتهبة ترغب في أنْ تحصل على الرعشة. مراهقة وقحة حمراء الشعر بحلمتين ضخمتين ووضعية. وعاهرة تبتلعه. عاهرة مع دميتها الدب في الفناء. فتاة شقراءتستحم

Twitter: @ketab_n

بالبــول. فتاة ضخمة الصدر تعرض قناة الحــب الوردية خاصتها. روز حمــراء الشعر بعانتهــا الحليقة. عاهــرة ضخمة الحلمتــين تتحرّش بآلة التصوير. ديك يُخلّف حــروق الاحتكاك على لسان الصغيرات. لاتينا ذات الحلمتين الصغيرتين تُناك.

ممتاز. لا يُصدَّق.

أفرغ التاريخ في القمامة وأطفأ الحاسوب. لم تكن مشاهدة الأجساد شيئــاً سيئــاً جداً، أو جعلت منــه شخصاً سيئاً. كانت مجــرد أجساد. لم تكن كما ورد في الفيلــم المُثير النفسي حيث تحمل الأجساد كلها فجأةً وجههــا، أو شيئاً مــن هذا القبيــل. جميعهن لهنّ وجوههــن الخاصة. ولا واحــدة منهن كانت تحمــل وجهها. لقد فكّــر في وجهها ومن ثم شعر بالخــزي، وأشدّ ما جعله يشعر بالخزي كان رداءة اللغة، كم كانت سخيفة.

أخــذ ماغنوســس يفكّر، وهــو مستنــد إلى جدار المُخــدِّر الخارق في اليــوم الأخير المظلم مــن العام، في مقولــة زينو الإيلــي المتناقضة حول بذور الدّخــن[٧٧]. إذا سقطــت بــذرة واحــدة و لم تُحــدِث صوتاً، فهل الصــوت الذي تُحدثه ألف بــذرة عندما تسقط معاً يعني أنَّ ألف لا شيء يُحدِثُ شيئاً ؟ الفتيــات على المواقع الإباحية تتزايد بالآلاف والآلاف، وآلاف أخرى من المواقع المُشابهة لآلاف المواقع الأخرى. والنظر حتى

---

٧٧ - هــذه المقولة هــي إحدى مقولتين للفيلســوف زينو، وتنــاول صعوبات تفسير التغيــيرات التي يُسببها الفعل المشترك لأشياء متعددة. فإذا أصدرت حفنة من تلك البــذور صوتــاً إذا - على سبيل المثال - أُسقِطَتْ في دلــوٍ فارغ، فإنَّ كل بذرة، أو جزء من بذرة، مهما كان صغيراً تُصدر صوتاً - وهذا أمر عبثيّ. - المترجم.

Twitter: @ketab_n

إلى جــزء صغير منها يتطلّب مُثابرة من البصر. الفتيات على المواقع تفتح شقوقها واسعاً حتى شق الهلاك. شكسبير.

هل كان شكسبير موجوداً حقاً ؟

ما هو الحب حقاً ؟

إلى أين ذهبت أمبر؟

كان رحيــل أمبر بمثابة الخلاص الجيد والهراء السيئ، هذا بالنسبة إلى إيــف. وكانت أمبر أقلّ ممــا تخيّلوا، بالنسبة إلى مايــكل. لقد خدعتهم (إيف). وضللّتهــم (مايكل). وظهرت على حقيقتها (إيف). وأخذت منهــم الكثير والكثير بأسلوبها الماكر (مايكل). ماغنوس يفكّر في أمبر، التي أخذت منه وأخـذت في العليّة، وفي الحديقة، وفي كنيسة القديس ماغنوس.. إنــه يتخيّلها تخلع عنه ملابسه في تلك الليلة الأولى، بعد أنْ غسلتــه. يفكّر في نفسه، ضائعاً بعد رحيــل أمبر، يجوب أرجاء القرية، ويخــرج صاحب المطعم ويُقدم له شيئاً يأكلــه ويحكي له تاريخ المبنى. ويتخيّــل نفسه يتقيّأ خارج المطعم نفسه، أمام عينيّ أمبر، والرجل نفسه يخرج ويصب جام غضبه عليه. إنَّ ذلك المطعم، قبل أنْ يصبحَ مطعماً، كان أولاً داراً قديمــة للسينمــا، ثم عندما أضحى ارتيــاد السينما موضة قديمة تحول إلى قاعة لعب السنوكر(٧٨) ومن ثم إلى مبنى متداعٍ وهو الآن يُقــدِّم الأطعمة الهندية، وهنا قال الرجل وقريباً سيتحول إلى شيء آخر، وإنْ كان لا يعلم ما هو. من الواضح أنَّ أمبر كانت صديقة للرجل، كما صاحبت معظم أهل القرية.

---

٧٨ – لعبة السنوكر: لعبة تشبه البلياردو. – المترجم.

Twitter: @ketab_n

كان الرجل قد قال وهو يربت على الجدار الكائن خارج مطعمه الخالي من الزبائن، اجلس هنا. هل أنت جائع؟ كلا؟ هه؟ شيء مؤسف. هناك الكثير من الطعام في الداخل. كمّ وافر من الطعام الطيب. وليس مَنْ يرغب في أكله. أتدري ماذا كتب أحدهم على جدار مرحاض الرجال؟ ابن حرام مسلم يهودي. أنا لستُ مسلماً. أنا لست يهودياً. أنا لست ابن حرام. حسن، هذه هي الحياة. هذا هو الحال. صديقتك. السيدة. أين ذهبت؟ هه؟ لا تعلم؟ هه؟ لا تعلم؟ شيء مؤسف. شيء مؤسف.

هزَّ الرجل رأسه أسفاً.

قال: «إنها جيدة، هذه السيدة. سيدة محترمة. من النوع الأصلي».

٣١ كانون أول عام ٢٠٠٣، في وقت متأخر جداً من بعد الظهيرة. يجب أنْ يعود إلى المنزل. ينظر في ساعة يده. لقد توقّفتْ. عقرباها يدلان على العاشرة ليلاً، أو ظهراً. وهذا غير صحيح. إنها لم تتعدَ الرابعة. المحال التجارية كلها مغلقة. السلالم الكهربائية في المناطق كلها في أرجاء البلد كله متوقفة حتماً. والناس من حوله كلهم سكارى أو يوشكون أنْ يُصبحوا كذلك، في طريقهم إلى مركز مدينة لندن وكأنَّ قوة مغناطيسية تجبرهم على هذا. يجب أنْ يعود إلى المنزل.

هذا يعني أنه سيسير في عكس اتجاه الحشود.

على ضوء فصل الصيف المنصرم، التقى الرجل بماغنوس خارج المطعم الخالي.

«أواثق من أنك لست جائعاً ؟»).

هزّ ماغنوس رأسه نفياً. ابتسم الرجل له.

Twitter: @ketab_n

«إذن هي من النوع الأصيل، هه؟».

يرتقي ماغنوس الدَرَج واحدة بعد أخرى، بإحدى القدَمين، ثم بالأخرى، ثم الأخرى. يتوقف على المصطبة خارج باب غرفة نوم أستريد. يأخذ نَفَساً عميقاً. يطرق الباب.

تهتف أستريد من الداخل: «ارحل».

يقول ماغنوس: «إنه أنا».

تقول أستريد: «ومَنْ غيرك؟».

تفتح الباب بقدرٍ يكفي لإلقاء نظرة إلى الخارج. يستطيع ماغنوس أنْ يرى فقط إحدى عينيها فقط.

تقول: «ثم؟».

يجلس خارج الباب مباشرة على بساط المصطبة. البساط لا يزال جديداً جداً حتى أنَّ هناك بقايا منه في الزوايا.

يقول: «اليوم شاهدتُ فيلماً رديئاً جداً».

تقول أستريد: «هكذا؟».

وأوشكت أنْ تُغلق الباب من جديد.

يقول ماغنوس: «لا تفعلي».

لم تفعل. تقفُ، مرتابة، تراقبه من خلال البوصات القليلة المفتوحة. بعد لحظة، في أي لحظة، سوف تُصفِق الباب.

Twitter: @ketab_n

يقول: «كان جيداً، أليس كذلك؟».

تقول: «لقد قلتَ الآن إنه رديء».

يقول: «كلا، أعني الوقت الذي أمضيته في العطلة هذا العام».

تحدّق أستريد إليه. تفتح الباب بشكل لائق.

يقول: «كان شيئاً ممتعاً جداً أيضاً عندما عدنا إلى هنا و لم نجد أي شيء».

تجلس أستريد على عتبة الباب. وتعبث أيضاً بالبساط الجديد.

تقول: «كانت فكرة لامعة. جيدة جداً».

يقول ماغنوس: «أعتقد أني أُفضل المنزل وهو خال من أي شيء. عندما تتجولين بين الغرف وهي خالية من أي شيء».

تقول أستريد: «وتسمع أصواتنا مختلفة تماماً ونحن نتمشى ونتكلّم، حتى التنفّس يُصبح مختلفاً».

يقول ماغنوس: «نعم».

تقول أستريد: «وعندما تتكلّم يتردّد ما يُشبه الصدى حولنا، وكأننا نعيش في منزل تاريخي فخم، أو كأننا على خشبة مسرح أو ما شابه لأنَّ السجاد اختفى، لا سجاد حيث ينبغي أنْ يكون هناك سجاد. وكأننا نلج خشبة مسرح كلما عبرنا غرفة».

يقول ماغنوس: «أه - هاه».

Twitter: @ketab_n

تقـول: «غير أننا لم نكن هنـاك، لم يكن كذلك، كنا فقط في منزلنا، في بيتنا الخاص».

يومئ ماغنوس برأسه إيجاباً.

يقول: «كاثرين ماسون».

تقول أستريد: «ماذا؟».

يقول ماغنوس: «إنه اسمها».

تقول أستريد: «اسم مَنْ؟».

يُكرر ماغنوس ما قال.

«كاثرين ماسون».

ثـم يحكـي كل شيء لأستريد مـن جديد من خلال شـق الباب، أو مُعظم الحكاية بقدر ما يعرف منها وبقدر استطاعته، ويبدأ من البداية.

Twitter: @ketab_n

إذا لم يتمكن مايكل من التوقف عن صياغة

النــكات المتطرفة التي تدور عنه بنفسه، فإنَّ كل شخص آخر سيفعل ذلــك، فيخلط بين الشيء ونقيضه، والكلمة وشبيهها، واللفظ ونظيره، وبين معــاني الكلمــات، وسوف يتحــول إلى مستودع مــن الكلمات المشوَّهــة، وليس فقط هؤلاء بل نظراؤهم الفاسقون المستمتعون بخبث في غرفة الاستراحة أيضاً، كان مايكل متأكداً من ذلك، لو لم يكن تصرفاً شديد الأنانية منه أنْ يتخيَّــل لعباً بالألفاظ كهذا، يستهدفه، كالكلمات المُشدّدة المهموسة في القسم، يغزو الجو خارج باب غرفة مكتبه الموصد بالمفتــاح (إذا كان لا يــزال مكتبــه و لم يُصبح تواً ملــكاً لشخصٍ آخر، وأُرســل الصندوق الــذي يحتوي كتبه وأوراقــه إلى الطابق السفلي من دون عِلمــه)، تغزو الجو كالرائحة الرسميــة والمُحافِظة قليلاً التي تسود الــرواق، الرائحة التي لا تعود تميِّزهــا بوضوح لكنها مع ذلك موجودة طــوال الوقت، وتجعل لا وعيك يعلم بالضبــط في أي قسم أنت. كانت الحكايــة قد قُطِعَتْ تواً وثبّتَ أحد البلهــاء ملاحظة على بابه على ورقة إدارية تحمل الشعار الرسمي بجوار قوائم المشتركين في الحلقة الدراسية ونسخــة مصورة عن قصيدة بليك، ***سِــمات الحب الممتن لله تعالى***. كان قد عــاد إلى مكتبــه ليُحضِر معطفه، وكانت تلك آخر مــرة يتواجد فيها في الكلية، في شهر تشرين أول الماضي، كانت هناك، بجوار قصيدة بليك،

Twitter: @ketab_n

بجوار المُذكّرة الإدارية الرسمية التي تبلّغ الجميع بضرورة مراجعة البروفسورة دنت من أجل تعيين مدرس جديد خلال فترة غيابها المؤقّت. *تحذير صحي إداري، أيتها الفتيات: هل تشعرن بقليل من الوهن؟ وفي حاجة إلى تقوية؟ اكتبنَ هنا للحصول على جرعات من الدكتور حب (بالنسبة إلى الشبان: يمكن النظر في الأمر).*

القسم العقلي. على الأقلّ أحدهم رأى أنه يماشي الموضة؛ يمكن النظر في أمر الشبان. لعلّ دنت أزالت الملاحظة الآن (كما ألغتْ حسّها الفكه قبل سنين). أو لعلّ الملاحظة لا زالت مُثبّتة على الباب، لم يدرِ مايكل، فلم يدخل المكان. من المذهل أنَّ هذا ما استحضره وجوده في محل بيع الكتب، الكلية، والروائح وكل شيء. لعل طبيب الحب هو الآن الشيء الوحيد المتبقّي على الباب بالإضافة إلى الرقعة التي تحمل اسمه، إنْ كانت لا تزال تحمل اسمه. الدكتور مايكل سمارت، عبارة جامعية رسمية مبتذلة.

إنَّ ما لا يُصدَّق هو أنَّه في تلك الحياة الأخرى، حياة كاملة سابقة، قبل فقط نصف عام مضى، كان قد خطّط لإلقاء سلسلة من المحاضرات حول الموضوع وتخيَّلَ نفسه يُلقيها خلال هذا الفصل الدراسي بالذات، الفصل الجاري الآن بينما القائمون عليه يهرعون داخلين خارجين متنقلين بين دروسهم، وأطروحاتهم، وكأنَّ لا شيء غيرها يهم في العالم. عبارة مبتذلة، بالإضافة إلى معناها المبتذل كعبارة مُكرّرة أو إجابة مُقولبة، تعني الانطباع الثابت الذي يُخلّفه حجر نرد مصنوع من أي معدن رقيق. لقد سُحِقَ مايكل سمارت. عضّته أسنان عبارة مُبتذلة. أصبح معدناً رقيقاً؛ مُستهدَفاً.

Twitter: @ketab_n

كلا، كان شيئاً جيداً. كلا، كان كذلك. كان مُحرِّراً. كان يعني، على سبيـل المثال، أنَّ في استطاعته أنْ يتمشّى بهـدوء ويدخل محل بيع كتب في أول المســاء هكـذا ويفعل بالضبط كما فعل تـواً، أنْ يسيربين أرفف الأدب النـثر النقد الأدبـي نظرية الأدب دون حتـى أنْ يلتفت ويتوجه مباشـرة إلى القسم الجيد والفريد ***للألعاب الرياضـية*** ذات المقطع اللفظي الواحـد. أخيراً أصبح مايكل سمارت رجـلاً حقيقياً. فلم يحدث مرة في حياتـه - القديمة والزائفـة - أنْ توقف عند قسـم الأدب أو الرواية لكي يرى ما الرائج، ما القديم، وما الحديث، ما المطروح للنقاش، وأي الكتـب من قائمته الخاصة متوفر على الأرفف، كبرهان على مدى رقيّ محل بيع الكتب أو عدمه.

لكنـه منذ أشهـر وهو عاجز عن الاقتراب من بـاب محل بيع الكتب دون أنْ يشعر بالغثيان. بل لم يتمكن من التقاط كتاب من دون أنْ يشعر بالاشمئـزاز. لذلك كان هذا جيـداً. فها هو. ها قد عاد. هناك أكثر من نوع من الكتب في محل بيع الكتب.

كان مايكل قد قرّر، في وقت مبكّر من ذلك اليوم، أنْ يمارس ارتقاء الصخـور وتسلّق الجبـال. كان قد قرر هذا في صبـاح ذلك اليوم وهو يقـود السيارة على الطريق الخامس والعشرين وسط حركة المرور وتحت سمـاء كئيبة لكنها من دون أدنـى شك سماء ربيعية، يُصغي إلى راديو ٤ التـي تبثّ صوتَ رجلٍ لم يحفظ اسمه يصـفُ روعةَ الإحساس الفريد بالوحـدة فوق قمة العالم، يرتقي شيئاً لا يُقهـر، يذهب أبعد من أثر أي شخصٍ آخر. كان الرجل قد شاهد جثـث موتى سقطوا على الطريق، أو مرضـوا في الهـواء المفـرط العلـوّ، أو فقدوا الوعـي أو كائناً ما كان السبـب المهم أنهم لم ينجوا، ومن الواضـح أنَّ عددهم كان وافراً فوق

Twitter: @ketab_n

الجبـال الحقيقية، الجبال التي وفّرت التحديـات الحقيقية. وكان الرجل قد وصف عبر الإذاعة عملية الارتقاء من فوق جثة في الطريق على أنها نوع من الولادة الثانية.

كان شهـر شباط. ولا يسـع شهر شباط إلا أنْ يكـون واعداً. شباط كان الربيـع! في الربيـع أشياء كثيرة تصبح ممكنـة. كانت رائحة القهوة المنبعثة من محل بيع الكتب ممتعة. سوف يعثر على الكتاب المناسب ومن ثـم يذهب ليشـرب القهوة ويُلقي نظـرة عليه لـيرى إنْ كان سيشتريه. حذّرته العادة من شرب القهوة في مثل ذلك الوقت المتأخّر. يمكن للعادة أنْ ترحـل عني وتموت. العادة كانت قديمـة، بالية، وتنتمي إلى الماضي. كان مايـكل يحـب أنْ يبقى يقظاً حتى وقت متأخـر. هل كان مُضطراً إلى اللجـوء إلى النـوم في أي وقت مُحدّد؟ كلا. إنـه روح حرّة. رياضة. كرة قدم هوكي سباق خيـول سباق دراجات نارية تسلّق جبال. تناول كتاباً عن رف الكتب اللامعة. مرسوم عليه إبرة الملاحين. أخذ تصفحه بسرعة. *الملاحة مـرح! إنها مهارة تتجاهلها لأنها خطـرة. فيه لائحة بعناوين الفصـول تبدو جيدة. حالـة طقس الجبل. تقنية على الثلـوج والجليد. الأمان على الأرض الشديدة الانحدار. التعامل مع العلوّ. عدم ترك أي شيء غير آثار الأقدام. محتويات حقيبة الظهر.*

نعـم. هذا مـا سيتعامل معه مايـكل سمارت مـن الآن فصاعداً، لا شيء غـير المجالات المحدودة، الإسمنت، والحصـى والكتل الضخمة موصوفة هنا، الأنواع المختلفة مـن الصخور، الصخر الرخو والصخر الرطب.

رخو.

Twitter: @ketab_n

رطب.

لماذا كل الكلمات مثقلة جداً؟ لماذا تُسمِّم نفسها فوراً، تتحول إلى كلمات يمكن استخدامها ضده، حتى على يده هو؟ هل كل شيء كان نكتة؟ ضده؟ علاجاً جيداً. كان ذلك علاجاً جيداً. صيغَ بشكلٍ حسن. ها أنت. ها قد حصلت عليه. مشكلته كانت في انفتاحه، وكرمه، ورغبته في تهنئةِ حتى كل تافه حقير يوشك على التخرُّج أطلق نكتة عليه. هناك شخص ميت على الجانب المغطى بالثلوج من الدرب الصعب، حشد من طلاب عام التخرّج المولعين بالمزاح والفتيات العاقّات الفرحات بأنفسهن، ومارجوري، وتوم، وتلك السحاقية المتقعة الشمطاء من الهيئة الإدارية التي لا يحضره اسمها، كأنها إحدى نزيلات سجن النساء، كلا، بل أسوأ، كأنها مسلسل تلفزيوني درامي يحكي عن سجن النساء، جالسة هناك تنظر بوجهها الصارم إليه من خلف الطاولة الطويلة في مكتب الكلية. مكتب النيكلتي.[٧٩] أترى؟ إنه قادر على السخرية من مجاله، من نشاطه غير القانوني. لم يكن ذلك نهاية العالم. زيادة على ذلك، وبدءاً من هذا، كان هناك الجمال الطبيعي المُبهِر للطبيعة فوق تلك الأعالي. هناك ميت على جانب الدرب الجبلي، إيما – لويز ساكفيل، ليست في السجن طبعاً، فقط على هيئة ملف. على هيئة مراسلات عادية وإلكترونية. على أي حال كانت مجرد قمامة جميلة، كأنها ماتت تواً على جانب درب جبليّ.

أخذ مايكل ثلاثة كتب إلى الطابق العِلوي من المقهى. ***تقنيات ارتقاء***

---

٧٩ – استبدلت الكاتبة كلمة كلية faculty بكلمة بذيئة من اختراعها لها اللفظ نفسه تقريباً Fuckulty، من باب السخرية. – المترجم.

Twitter: @ketab_n

الصخور، ومهنة تسلق الجبال والقيادة ومرشد الجبال. طلب قهوة اسبريسو كثيفة من الفتاة. إنه حتى لم ينظر إليها. أكانت جميلة؟ لم يجدها جذّابة. هذا مفارقة. لم يكن قد وجد أية فتاة جذّابة منذ أشهر. تأبّط كتبه، وأبرزَ الغلاف حتى إذا تصادفَ أنْ نظر إليه أحدهم يرى الصورة الفوتوغرافية على غلاف أحدهما لرجل يرتقي جرفاً صخرياً، عالياً أبعد من العديد من قمم الأشجار. كان من هذا النوع. من النوع الذي سيُصبح مثله قريباً. أخذ فنجان قهوته وجلس على إحدى الأرائك. ولكن حالما جلس، شعر بأنه خُدِع. في أميركا، على سبيل المثال، في الجولات التي قام بها إلى أميركا، كان الجلوس على أريكة في إحدى سلاسل محلات بيع الكتب الكبرى يجعل المرء يشعر بتوتر مُحبَّب، بل بالانتصار في الواقع، وكأنك تنتمي للمكان لأنكَ نجحتَ في الاستيلاء على أحد المقاعد قبل أنْ يحصل عليه أحد الأشخاص الأشدّ انتماءً إلى المكان منه. أما هنا، الآن، فالكراسي المريحة الأخرى تحمل رجالاً آخرين تبدو عليهم الكآبة، والإهمال، ومُخدّرين، والكرسي الذي جلس عليه مايكل كانت تفوح منه رائحة سقيمة، ورائحة الحليب.

فتح الكتاب الأول. كان زاخراً بالكلمات الجديدة الرائعة. ككلمة Transpaseal، مثلاً. هذه كلمة تطبّق ما تقول على علبة التنك. وهناك المزيد؛ هناك كلمات وأسماء لانحرافات في الثلج ورقائق الثلج: صفائح ونجوم، أعمدة وإبر، تشعبات فضائية، أعمدة مُقلّسة[٨٠] وندف. ندف! رائعة. هنا يوجد ما كان يبحث عنه مايكل، لغة جديدة صِرف. لغة الخيام – خيمة مُقبّبة، خيمة مُطوّقة، خيمة متطاولة. قال

---

٨٠ – أي على قمتها ما يُشبه القلنسوة أو الغطاء. – المترجم.

Twitter: @ketab_n

الكتـاب، أنت في حاجة إلى أنـوراك[٨١]. إلى قبعـة بالاكلافا أو تزلّج. الجسـم يفقد ثُلث حرارته من خلال الرأس. حقيقة مُذهلة! كان مايكل علـى عِلم بهـا، لكنه لم يفكّر جديـاً فيها، فالرأس يُطلـقُ طاقة كأنه لمبة مصباح مُضاءة وحارة. أنت في حاجة إلى شراء بنطلون فوقيّ له سحّاب لكـي لا تُضطـر إلى خلع حـذاءك وانتعاله من جديد. مـن فرط بساطة الفكـرة هي عبقريـة في الواقع. البثـور مسألة خطيرة. الحبـل يمكن أنْ يكـون حياً أو ميتاً. ها هنا لغة حيّـة.بمحض فائدتها - زيادة على ذلك، حيّـة بأملٍ حقيقيّ ويمكن بلوغـه. **قليلةٌ هي الجبال في الجـزر البريطانية التي لا يمكن تسلّقها**. كانت واعدة. كانت عمليّة. تُخبرك كيف تتجنب الأجرُف المرئية. رشفَ مايـكل القهوة. القهوة كريهة. الفنجان يُقعقع في طبقه وهو يُعيـده إلى الطاولة الشديدة الانخفاض.سيذهب أولاً إلى منطقـة بيـك، أو سنودونيا، وربما إلى بريكون بيكونـز أو إلى يوركشير ديلـز. سوف يذهب بالسيـارة. ثم يترك سيارتـه في الموقف عند أسفل الجبـل، أو خارج منزل جميـل للضيوف يقدّم وجبـات إفطار لذيذة. تقـدَّمَ أكـثر في تصفّح الكتـاب. يبدو أنَّ البرق مسـؤول عن وفاة عدد صغير مـن المتسلقين في كل عام. قال الكتـاب إنَّ المتسلقين وجدوا أنَّ ذلك من عمل الله وأوصى قرّاءه ألا يتخلصوا من فأس ضربه البرق، حتى وإنْ أصـدر أزيزاً أو شرراً، فقد تحتاج إليه لاحقاً. تساءلَ مايكل إنْ كان ذِكـرُ عمل الله هو جـزء من طبع الإنسان أو من بـين عبارات الضمان. قلب الصفحة. هناك لائحة بأسمـاء العُقد. عقدة متسلق الجبال، عقدة الفراشـة، عقدة صيّاد السمك المزدوجـة. تذكّر فيليبا نوت[٨٢]. تساءل

---

٨١ - أنوراك: سترة من الفرو ولها قلنسوة. - المترجم.

٨٢ - تذكّرها لأنَّ كنيتها (نوت) تُشبه في اللفظ كلمة «عقدة» بالإنكليزية. - المترجم.

Twitter: @ketab_n

مَـنْ الـذي يُعلِّم مؤلفـات روث لفيليبا نوت الآن. مَـنْ يشـدّ لها عقدة الصياد المُضاعفة الآن. ***وعقدة متسلق الجبال***.

أغلق الكتاب.

الله وحده يعلم.

كان مستحيـلاً على مايكل سمارت، وهو في عمره ذاك، أنْ يرتقي سفح أي جبل.

قالت مارجـوري دينت له بصورة غير رسميـة، «أنت تمنّي نفسك بأكثر مما في طاقتك، يا مايك» (استخدامها لاسم مايك يعني أنَّ الحديث غـير رسمي) «إنك تحصل على نصيبك من الكعكة، وتأكلها ثم لا تريد أنْ تتحمّل العواقب، (عبـارة مبتذلة!) كان يمكن أنْ نكتب قائلين، فتاة ما. كان يمكن أنْ نتعامل مع واحدة. لا تظن أننا لم نحاول. ولا تقُل أننا لم نتلقَّ تحذيراً، لقد أخبرتك قبل خمس سنوات، قبل أربع سنوات، قبل ثلاث سنوات، قبل سنتين وفي العام الفائت. إنَّ ساكفيل ليست إلا كرة ثلـج أمام الجلمود. (شيء مريع، يـا مارجوري). إنها أكثر من راغبة في كشف السرّ. (شيء مريع). في العموم الآن، لدينا سبع شكاوى علينا أنْ نحقق بشأنها، ولا واحدة منها، أقول هذا لصالحك، مُثبتة كما في حالة ساكفيـل ولكن علِّم على كلامي، يا مايكل (إذن، هذا كلام غير رسمي أبداً، يا مارجوري)، لن ينتهي الأمر بين ليلة وضحاها».

مارجـوري دينت، تُلقي أسطراً كأنهـا تدرّبت على إلقائها من نص مُخصص للبث على موجات الـ BBC من مسلسل بوليسي تافه.

إذن مايكل يحب مُضاجعة الفتيـات. أهذه جريمة؟ هنَّ أيضاً يُبادلنه

Twitter: @ketab_n

الحب. أهذه جريمة؟ إنهن جميعاً راشدات موافقات. وهو رجل وسيم. وهن جميلات، في معظمهن. أهذه جريمة؟ رسمياً، أمام توم والسحاقية من الهيئة الإدارية، وجّهتْ إليه مارجوري تحذيراً.

رسميــاً، كان يعنــي إيقــاف تثبيته وإعطائــه نصف راتــب، وتعلُّل بالافتقار إلى المال الكافي، وعبارة «**إجازة رسمية**» السحرية.

قلــب الجسد. قشــرة الجسد. كان الكتــاب قد سقــط وهو مفتوح على صفحــة أعراض انخفاض حرارة الجســم. لم يُصدّق كم من تلك الأعراضــ لديه. لا شك في أنــه شعر بالبرد وبالتعب، شعر بذلك طوال الوقــت. لقد انتابته حتمــاً، على فترات خلال هــذا الشتاء، نوبات من الإحساســ بالخَدَر في يديه وقدميه. نعم، لا شك في أنه أحياناً ارتعشَ. نعــم، شعر بالكسل الجسدي والذهني وعجز عــن الإجابة عن الأسئلة أو معرفــة الاتجاهات. هذا صحيح. هذا ما شعر به، من الداخل، طوال الوقــت. نعم، مــرَّ بنوبات من العنف وبالكثير مــن الطاقة غير المتوقعة. نعــم، كان يرتعشــ، حتــى في هذه اللحظــة. انظر إلى ذلــك الفنجان، انظــر كيف وضعتَ الفنجان على الطاولة قبل برهة، وكان دائماً يُقعقع بفناجين القهــوة إلى آخره، هناك في المنزل، ويوقع الأغراض في المطبخ وما شابه. كان مُعرَّضاً إلى حدٍ بعيد للحوادث. فهل هذا من الأعراض؟ نعم، نعم، واجه صعوبة في التركيز. ووجد على وجه الخصوص صعوبة في مشاهــدة التلفاز والأضواء مطفأة، وهو ما أصرّت أستريد على فعله. نعــم، غالباً ما شعر بخفّة في رأسه. نعــم، وتقلّص في العضلات. وكان شاحــب اللــون، حتماً. لم يُصدّق كــم كان شاحب اللــون عندما كان يستيقظ في الصباح. كان يعلوه **شــحوب رمادي متطرف**. ليس هو فقط؛ لقــد بــدا كأنّ كل ما يُحيط بــه في العالم أيضاً يســوده شحوب رمادي

Twitter: @ketab_n

شديد. هل عالمه كله مُصاب بأعراض فرط البرودة؟الأسباب: ***الإرهاق، صقيع الرياح، جفاف الجسم، انخفاض المعنويات، التوجّس، الخوف***، روح ***اليأس، غالباً المرحلة الختامية من سلسلة من الأخطاء، التمطّي إلى درجة لا تُحتَمل، حالة الطقس السيئة، نهاية يوم طويل وصعب من الكفاح لبلوغ هدف لستَ واثقاً منه في كل الأحوال***. تحقّقَ منها كلها، واحداً بعد آخر. كانت لديه تلك الأسباب كلها تقريباً.

نهضَ مايكل واقفاً. كان يرتجف. كان ذلك برهاناً. وضع الكتب أرضاً. عَبرَ أرض محل بيع الكتب، مبتعداً عن الآخرين الذين لم ينجوا. وقفَ خلف أحد أرفف العصر الحديث وأخرج هاتفه المحمول. بحث عن رقم إيف وضغط على زر اتصال.

لعلها لن تُجيب.

ردَّ جهاز هاتفها المُجيب.

أغلق الهاتف ثم بحث عن اسم كاريس براونلي. ردَّ هاتفها المُجيب في المكتب، وسمع صوتها، ولكنتها الويلزية. أغلق مايكل هاتفه وطلب رقم منزلها. ردّ عليه هاتفها المُجيب، بتهرُّب.

قال مايكل: «مايكل يتكلّم. مايكل سمارت. لم أركِ منذ زمن بعيد. آمل أنْ تكوني بخير. أنا في محل بيع الكتب، ووجدتني راغباً، أه، في طلب نصيحتك حول أمر ما. أنا أتكلّم من هاتفي المحمول. إذا وصلتكِ هذه الرسالة خلال ساعة من الآن أو نحوها، هلا اتصلتِ بي؟».

لعلها مسافرة. إنها دائماً في حالة سفر، إلى روما أو نيويورك. كان

Twitter: @ketab_n

زوجهـا معالجاً نفسياً أيضـاً. كانا يشكلان فريقاً. جمعـا معاً ثروة من النـوع الذي يعني أنهما دائماً مسافرَيـن، مما جعل اللجوء إليهما مُكلفاً جـداً. كان مايـكل قد كـفّ عن زيارتهـا في الربيع الأخـير، قبل نحو عـام بالضبط تقريبـاً، لأنهما أمضيا ساعة كاملـة باهظة الثمن في وضع لائحـة بعناوين الأغـاني الأربعين الأولى المفضّلـة. كان قد كفّ عن أنْ يكـون زبوناً مباشرة بعد أنْ أخبر إيف عن الأمر وكادت تموت من فرط الضحك.

لم يتذكّر مايكل وهو يرتعش في محل بيع الكتب بمَنْ يتّصل أيضاً.

أجابت أستريد: «لقد اتصل بالمنزل».

قال مايكل: «هذا أنا».

قالت أستريد: «نعم».

قـال: «سأعود إلى المنزل في غضـون ساعة تقريباً. يجـب أنْ أسلّم بعض الأغراض لبعض، أه، الطلاب».

قالت أستريد: «نعم».

قال مايكل: «هل أكلتِ، أم تريدينني أنْ أُحضِر معي أي شيء؟».

قالت أستريد: «بل هل أكلتَ أنت؟ أنتَ الذي أصبح نحيلاً».

سأل مايكل: «هل عاد ماغنوس إلى المنزل؟».

قالت أستريد: «نعم».

Twitter: @ketab_n

قال مايكل: «حسن، سأعود قريباً. هل اتصلت أمك؟».

قالت أستريد: «كلا».

أنهتْ المكالمة قبل أنْ يفعل هو.

شعر بأنه بائس.

هبط إلى الطابق السفلي ليبحث عن كتب إيف. لم تكن موجودة في قسم التاريخ. ولا في قسم السيرة. كانت في قسم الرواية، ما أسخف هذا، وليس لديهم إلا أحدث إصدار لها، ولكن لديهم حوالي عشرة نسخ. «*مقالة حقيقية*»، و«*جزيرة سيلبر*». تناول أحدهما عن الرف وقلَبه لكي ينظر إلى الغلاف الخلفي الذي يحمل صورة إيف. إيف، أصغر سناً، وتبتسم. أخذ يستنشق الهواء بعمق. استنشق من خلال فمه ويُخرِج الزفير من أنفه.

كانت إيف قد سألته عندما نجحت في التوقف عن الضحك، عن لائحة أغانيه المُفضّلة، وذكرتْ لائحة أغانيها، وإلى أي مدى كان لها تأثير علاجيّ، بالضبط؟ كانت جالسة على السرير. شعر مايكل بأنه أحمق، إلا أنه كان حمقاً ممتعاً جداً. تناول الطعام وهو جالس أيضاً على حافة السرير، شاعراً بشيءٍ من الخجل، وهو نفسه كان يُقهقه قليلاً. راي ستيفنز في أغنية «ميستي»، وفور سيزنز في أغنية «*كانون أول عام ١٩٦٣ (آه ما أجمل تلك الليلة!)*»، وكريس مونتيز في أغنية «كلما رأيتكِ أكثر»، ألفيس كوستيللو في أغنية «*جيش أوليفر*». داير ستريتس في أغنية «*روميو وجولييت*». وأغنية كاريس براونلي التي تبوأت المرتبة الأولى كانت «*فرقة غناء ستارلاند*».

Twitter: @ketab_n

راحت إيف تغني «*أفكّر فيك وأنت تُثير شهيتي، حكُّ العيدان والحجارة معاً يولّد الشرارة. صواريخ تنطلق في السماء*».

ضحك مايكل، بارتباك.

سألتْ إيف «هل كانت أغنية «*الرابسودي البوهيمي*» مُدرجة على لائحة أغانيها العشر المُفضّلة يا ترى؟».

كشّر مايكل وأومأ برأسه.

أطلقت إيف من جديد نوبة أخرى من الضحك.

قالت: «وأغنية» *تخيَّل* «أيضاً؟».

رفع حاجبيه استهجاناً. ضحكت إيف كثيراً إلى درجة أنها ذرفت الدموع دون مبالغة. لم يكن قد رآها تضحك بذلك القدر أو تجد أي شيء مضحكاً هكذا. جلس بجوارها على السرير يبتسم. كانت فائقة الجمال وهي تضحك، وبغيضة قليلاً.

(إنَّ اختيارك للأغاني يُعزّز ما أعتبرُ أنه حاجتك شبه الذهانية، وعندما يتعلّق الأمر بالإيمان بالذات، وبدحض أي إحساس بالذنب، فإنه كان شيئاً يشبه ما قالته كاريس براونلي. قالت: «أنت تعلم كيف عبَّر أوسكار وايلد عن هذا، يا مايكل. نحن جميعاً أبرياء إلى أنْ نُضبط متلبّسين»).

مايكل وإيف عائدان من العطلة، يقفان في المنزل المسروق، لا ينظر أحدهما إلى الآخر. على الأرض بينهما الهاتف المُجيب، الشيء الوحيد في الغرفة الذي فيما عداه خالية. تكلّمت الأصوات. الهاتف

Twitter: @ketab_n

المُجيب يُعيد التسجيل من تلقاء نفسه ويتوقف من تلقاء نفسه. كانت عليه رسالة بخصوص ماغنوس، رسالة من إيف ورسالة واحدة، على الأقلّ، لمايكل.

مارجوري دينت. «*اللعبة انتهت، يا مايكل. أنا مارجوري. اتصل بي هاتفياً. انتبه إلى مَنْ تتحدث معه. بمن فيهم موظفو القسم القانوني*».

قال مايكل «كائناً ما كان هذا، أُقسم، لا أعرفُ أي شيء عنه».

قالت إيف «لا بأس. أعلم».

أومأت برأسها. أمسكت بيده.

فهِمَ مايكل من جديد، وهو ينظر إلى صورة إيف الفوتوغرافية في محل بيع الكتب، كما أصبح يفهم في كل يوم منذ ذلك الحين، وفي كل يوم يأتيه الفهم بصورة جديدة مبهمة كما قد يحدث لو أنه عانى من مرض عقلي يجعله عاجزاً عن تذكُّر أي شيء على مدى أكثر من أربعٍ وعشرين ساعة.

شيء مذهل.

لقد أدرك أنَّ إيف تعلم. أدرك أنها كانت دائماً تعلم، تعلم طوال الوقت، و لم يُشكِّل ذلك عندها أي فرق. وأدرك، أيضاً، أنهما معاً كانا ينتظران هذه الرسالة بالذات.

جلس على الأرض في الركن الذي شكّلته الأرفف التي تضم الروايات المُرتّبة من الحرف S إلى الحرف T ورقّة إيف مفتوحة فوقه لا مترامية كالسماء.

Twitter: @ketab_n

انغلقت السماء، بيضاء. صارتْ السقفَ ذا القرميد الأبيض لمحل بيع الكتب. كان جالساً على أرضه. كان شيئاً في أصله مُحرِجاً. انتقى الدكتور سمارت، الذي يقضي إجازة رسمية، كتاباً من الرف المجاور له، وكأنه يستعرض ما عليه، وكأنه كان يبحث عن هذا الكتاب بالذات، «رحلة على ضوء القمر»، تأليف أنتال تشيرب. لم يسمع باسمه أبداً. مُترجم عن الهنغارية. في ثلاثينيات القرن الماضي. كان مايكل يُحب الأشياء المترجمة. بدا أنَّ هذا كتاب يمكنه أنْ يقرأ. فتحه. «*لم أعرف بعد ذلك فرحاً غاص عميقاً حتى ألم، أو المذلّة البهيجة، لمعرفة أني ضعتُ في سبيل حبّها وأنها لم تأبه لي*».

أغلقَ الكتاب وأعاده إلى الرف. كل شيء يؤلم. لقد كان مريضاً ويحتضر. وهي مُرهقة وجائعة وضائعة. إنها تقرع الأبواب كلها للبيوت كلها لترى مَنْ سيكون كريماً معها؛ إنه اختبار. العائلة البريئة سوف تستقبلها وتُطعمها وتعرض ضيافتها، بدافع من طيبة قلبها. ثم تستيقظ العائلة في صباح اليوم التالي لتجد أنها نائمة على الأرض لأنها سرقت كل شيء من تحتها. الأسرّة، والطاسات، ووجبات الإفطار. كل شيء.

ينهض الوالد واقفاً، وينظر في المرآة. ينظر فيها كما يفعل دائماً. لكنَّ صدره يؤلمه. وظهره يؤلمه. يضع يده على نقطة تقع في منتصف عموده الفقري فيجد أنَّ هناك ثقباً، في ظهره. الثقب بحجم قبضة يد صغيرة. إنَّه يشعر حقاً بأنَّ صدره فارغ بصورة غريبة. ثم يفهم فحوى الأمر. لقد أحدثتْ الفتاة الشابة الجميلة ثقباً فيه أثناء نومه، وأدخلت يدها وسرقت منه قلبه.

نظر إلى زوجته. وبادلته النظر كما تفعل دائماً. ونظر إلى الفتاة،

Twitter: @ketab_n

وإلى الفتـى. وبـادلاه النظر كما يفعلان دائماً. ليسـت لديه أدنى فكرة عمـا إذا كانت قلوبهم قد سُرِقتْ منهم أيضاً، مع قلبه، ولا يعرف كيف يكتشف ذلك. إذا باح بأي شيء بهذا الشأن فقد يكسر السِحر ويتسبّب في انهيارهـم أمامه، وإفراغهم، ويُصبحون مجرد شكل خارجي لعائلة. ومن ثم ينهار هو أيضاً، ويُصبح مجرد شكل لرجل.

إنه يعلم أنَّ عليه أنْ يستعيد قلبه من المكان الذي أُخِذَ إليه، ممّن يمتلكه الآن، كائنـاً مَنْ كان، وإلا سوف يموت. ويفكّر في المرأة الشابة الجميلة وكيـف سخرت منه وأغوتـه وكم كان صعبـاً عليـه أنْ يُنكِرها عندما ضغطته على جدار المنزل وتحدّته أنْ يُقبّلها وكم شعر بالفخر عندما قال لا، لا أريـد، لا أستطيع، لا أجرؤ. عبـارة مبتذلة. هل كلمة «سخرت» كلمة حقيقية؟ تبدو أشبه بكلمة في حكاية شعبية، ولكن من المحتمَل أنَّ مايكل ابتكرها لكي تتجانس مع كلمة غازلَتْ.

نهضَ واقفاً. عدّلَ من شأن كمّي بنطلونه عند القدمَين. سوف ينتقل إلى الجزء الأمامي من المحل ليرى في أي طابق يقع قسم المراجع. سوف يتحقّـق من الكلمة. ثم سيذهب إلى الصندوق ويشتري كتاب إيف. إنه أرخص ثمناً من كتبِ تسلقِ الجبال وسَرَّه أنْ يعتقد أنَّ أحد كتبها قد عاد إلى المنزل منذ أنْ سرقتهم تلك المرأة أمبر في غفلة منهم.

ولكن لا يوجد قسم للمراجع في هذا المحل.

قال مايكل: «ألا يوجد قسم للمراجع؟».

قال الفتى خلف المنضدة: «نحن لا نتعامل مع القواميس. كنا كذلك، لكننا توقفنا. استبدلنا قسم المراجع بقسم كتب العبارات الأجنبية. قسم كتب العبارات الأجنبية يقع في الطابق الثاني مع كتب دليل الرحلات».

Twitter: @ketab_n

قال مايكل: «حسن، شكراً لك».

أي نـوع من المحال ذاك الـذي لا يحتوي قسماً للمراجع؟ كان من الممكـن لمايكل العجوز أنْ يُثـير شجاراً صغيراً، أو علـى الأقلّ أنْ يُدلي بتعليـق صغـير. أخرجَ مايكل محفظـة نقوده وأبدى قلقـه بصوتٍ عالٍ مـن أنه ترك بعض كتب تسلق الجبـال كان يتصفّحها خارج الرف، في الطابق العلوي من المقهى على إحدى الطاولات.

قال الفتى: «لا بأس. سوف يعثر عليها أحدهم ويُعيدها إلى مكانها. إننـا نتلقى أجـراً لكي نقوم بمثل هذه الأعمـال. ثمانية جنيهات وتسعة وتسعين بنساً، من فضلك».

أي نـوع من المحال هذا الـذي لا يحتوي قسمـاً للمراجع؟ أمر لا يُصـدَّق[٨٣]. عبارة مبتذلة. تساءلَ وهو يدفع ثمـن كتاب إيف ويتوجه نحـو الأبواب الأمامية، ما صِلة المتسولين بالاعتقاد؟ آه، أترى؟ يمكنك أنْ تُخـرِج الرجل من الكلمات ولكنك لا تستطيع أنْ تُخرِج الكلمات مـن الرجل. توقَّفَ في الشـارع الرطب وسعلَ. إنه شهـر شباط. شهر مُخـادِع. سعـلَ من جديد. سعل كمـا يسعل رجل عجـوز. هذا جديد عليـه، هذا النوع العميق من السعال، سعال يدل على وجود قناة خلفية عجـوز ورطبة لم يكن يعلم بوجودها، وتتصّل مباشـرة برئتيه. يبدو أنه مسلول. لعلّه مسلول. لقد عاد السل، هذا ما تقوله النشرات كلها؛ لقد تطوّر المرض بحيث لم يعُد في استطاعة المضادات الحيوية أنْ تقتله. فكّر في كيتسـ، الذي مات وهـو في السادسة والعشريـن، كان يسعل كأنه

٨٣ - المعنـى الحرفي لهـذه الجملة هو «اعتقاد المتسول»، وهذا هـو سبب إيراد كلمة متسولين بعد سطرين. - المترجم.

Twitter: @ketab_n

عجوز وهو في السادسة والعشرين. كيتس أحبّ فاني أيضاً. آخ. إنها ضربة موجعة، مؤلمة حقاً، وكأنه تلقّى لكمة تحت الحزام. إنه في حاجة حقيقية إلى زيارة الطبيب. في حاجة إلى الذهاب إلى غرفة العمليات وإجراء فحص شامل. يمكنه أنْ يلجأ إلى الجامعة ويأخذ موعداً للزيارة مع الدكتور لوف. ***ما هي المشكلة؟*** حسن، يا دكتور، لقد استيقظت ذات يوم في الأسبوع الفائت والرضوض السوداء والزرقاء تغطي ذراعيّ وساقيّ وصدري، دون أي سبب أعرفه، وكأني خضت سباق عبور الضواحي أو كأنّ أحداً ضربني أو ما شابه. أيضاً، بقيتُ أفهم الأشياء. ***تفهم الأشياء؟*** نعم، كأنما للمرة الأولى. أيضاً، لا أقوى على التوقّف عن التلاعب الأحمق بالألفاظ وقد بدأيصبح مؤلماً جسدياً. ***إنها صيغة مصدر منقسم. أيتها الممرضة، اكتبي ملاحظة عن هذا***. أيضاً، ليست لدي دوافع. إنني أشعر بالانزعاج طوال الوقت. ***انزعاج؟*** نعم، انزعاج. ***هممم. وكيف نظام نومك؟*** لا أستطيع النوم. كل ما أريد هو أنْ أقود السيارة في الشوارع، ليلاً ونهاراً، طوال ساعات النهار والليل، دون التوقف في أي مكان، وعلى الرغم من أني أتجنب منطقة القنال، طبعاً، إلا أني لم أفقد عقلي تماماً. أيضاً، هذه الليلة، كنتُ في محل بيع الكتب ولاحظتُ أنه يبدو الآن أني أعاني من أعراض التعرُّض لتقلبات الطقس. والآن لا أكفّ عن السعال. ***كيف هي شهيتك إلى الطعام؟*** حسن، إني لا أشعر بالجوع الشديد. لا أفهم لماذا. ***حسن إذن. دعنا نصغي إلى دقات قلبك.***

ولكن ماذا لو أنّ الطبيب وضع سمّاعته على صدره ثم رفع نظره، محتاراً، لأنه لا يسمع أي نبضٍ للقلب؟

تحت قدميه غطاء الطابق التحتي الزجاجي مُمتد حتى الرصيف وتحته فوضى من النباتات، أو الأعشاب البرية أو شيء يضغط على الزجاج.

Twitter: @ketab_n

جعله نموّها هكـذا يشعر بالانزعاج. جعله يشعر بالاضطراب الشديد، أعشـاب برية خلـف حجر رصف من الزجـاج سمكه ست بوصات. أشياء كثيرة كهذه أصبحت الآن تجعله حانقاً. ثمة صورة لوجه امرأة بعلو عشرة أقدام على لوحة الإعلانات تشبهها قليلاً. فتاة في إعلان تلفزيوني تجاري لمـادة الأيمديوم، تضحـك مع والدها حول كيـف حلاّ مشكلة الإسهـال، وتشبهها شبهاً محُاكياً، ومع ذلك ليست هي؛ وامرأة مبتسمة في الإعـلان التجـاري التالي، في السريـر تشاهد التلفـاز في مستشفى خاص شديد النظافة للعناية الصحية، بدت للوهلة الأولى تشبهها، ثم لم تعد تشبهها بأي حال. وخلفية رأس صبي طويل الشعر يهبط إلى الطابق تحـت أرضي جعلـت مايكل يتوقف ذات ليلة مبهـور الأنفاس. وامرأة مرت مسرعة من أمامه بالسيارة في الاتجاه المعاكس على الطريق إلى آيل أوف دوغز كانت تشبهها، ثم اختفت. لكنها لم تكن سيارتها. ما كان يمكن أنْ تكون هي. تلك النباتات التي تحت الزجاج تشبهها. ليس فقط تشبهها. *إنها* بصورة ما هي، في مدينة تعجُّ بكل ما هو مؤقّت، ملوَّثة إلى الأبد بفترة عطلة قُضيَتْ قبل ستة أشهر في الريف. على سبيل المثال، إنَّ مايكل يسير الآن، يسير ماراً بالمحال التجارية في شارع توتنهام كورت رود، لكنَّ شارع توتنهام كـورت رود ليس أكثر من سراب والشوارع المتشعبة عنه نتـاج مخيّلة ناضبة وفاسدة. شـارع غودج وهم. وخريطة النفـق وهم من الاتصـال والضلال. الشارع الخامسـ والعشرون نكتة دائرية شريرة. العالم الحقيقي موجود في مكان آخر، مثلها.

تخيّلهـا، وهي تُخلي بانتظام غرفة بعد غرفة مـن محتوياتها، تدفعها من خلال الباب الأمامي وعبر الرصيف إلى سيارة النقل في عتمة الليل. كانت تتعاون مع شخص ما، رجل، حتماً. لابد أنَّ الأمر كذلك. كانت

Twitter: @ketab_n

في حاجـة إلى شخص يُساعدها في نقل أثقل القطـع؛ الأمر يحتاج إلى شخصـ لكي يُساعـد في التنظيف بعد ذلك. ولعلـه ليس رجلاً. لعلها تلك المرأة عاملة التنظيف المتجهمة من منزل العطل في نورفوك؛ لعلهما عملتا معاً كفريق؛ واحـدة تستكشف منازل العُطل، ثم تنضم الأخرى إلى العائـلات. لعلهما أكثر من شريكتيّ عمـل. لقد شاهدهما تتحدثان وهما في الطريق إلى القرية مرة، عندما كان في طريقه إلى المحطة.

أهذا ممكن؟ ممكـن. كلا ليس ممكناً، لقد كانت منعزلة، كانت تسير وحدها، وتتنقّل في أرجاء الريف بتلك السيارة البيضاء العتيقة كالنقيض المنحرف لممرضات المناطق اللواتي عيَّنتهن الحكومة بعد انتهاء الحرب، يقرعـن أبواب أشخاص غرباء تماماً عنهن في أماكن نائية من أجل إجراء فحص طبي لداخل أجسادهم وخارجها. «***إنَّ السـعال والعطس ينشران الأمراض. استخدموا دائماً المناديل***».

كان يهتف مـن خلال النافذة، «هل تحتاج أيٌّ منكما أيتها الصبيتان توصيلـة؟ أنا سأصل حتى المحطة. يمكننـي أنْ أنزلكما في أي موقع من القرية».

فتحـت عاملة التنظيف البـاب الخلفي للسيـارة وحملت مكنستها الكهربائية إلى المقعد الخلفـي. إنه محظوظ. كانت أمبر قد لوّحت بيدها مودِّعةً وانعطفت لتعود إلى المنزل. راقب كتفيها الجميلين من خلال المرآة التي تعكس المشهد الخلفي وهي تنعطف على الدرب المؤدي إلى المنزل ثم اختفت. تلاشـت. كانت عاملة التنظيف جالسـة في المقعد الخلفي وكأنَّهـا في سيارة أجرة؛ كانت بجـوار المكنسة الكهربائية وخرطومها البلاستيكي يتدلى من عنقها. كانت المكنسة من النوع الذي رُسِمَ عليها وجه، وعينان وفمٌ مبتسم.

Twitter: @ketab_n

قــال: «إنَّ عالمنا الذي نعيش فيه عــالم عجوز غريب، أليس كذلك، نخلــع فيه الصِفــات البشرية علــى الأشياء التــي نستخدمها في تنظيف منازلنا، هه؟».

قالت المرأة: «اسمها هنري[٨٤]. إنها أفضل خادم للمنزل».

قال: «أعني عندمــا جعلوا المكانس الكهربائية وما إليها تبدو أقرب شبهاً بالبشر، لكي نختارها دون غيرها من الأنواع، كما تعلمين، عندما نذهب لنشتري مكنسة».

قالت المرأة: «أعلم معنى إضفاء الصِفات البشرية».

قال: «أنا، أه، لم أكنْ أُلمِّح أبداً إلى أنكِ لا تفهمين»، لكنَّ المرأة كانت تحدِّقُ من النافذة الجانبية، غير مهتمة.

كانــت شديدة القبح، متوردة الوجه. وكان أهل القرية في مُعظمهم يُشبهونهــا، كأنهم طوال حياتهــم لا يأكلون إلا الشمنــدر النيئ الذي يستخرجون من الحقول.

أخذَ نَفَساً عميقاً.

قال: «إذن أين أُنزلكِ، يا كاثرين؟ وأين سيارتكِ اليوم؟».

قالت المرأة: «إنها في معرض السيارات. ليست لدي سيارة».

---

٨٤ – تيمناً باسم العالِم الفيزيائي جوزيف هنري (١٧٩٧ – ١٨٧٨): الذي اكتشف مبدأ الحثّ الكهرومغناطيسي بالإضافة إلى مكتشفات أخرى. – المترجم.

Twitter: @ketab_n

قال مايكل متأخّراً جداً، قبل أنْ يتذكّر أنَّ سيارة كورتينا هي موضوع نكتة سخيفة بينه وبين إيف: «حسبتُ أنَّ لديكِ سيارة كورتينا»، لكنَّ المرأة لم تلاحظ. لعلها كانت بطيئة الفهم قليلاً. (لكنها فهمت تعبير إضفاء الصِفات البشرية).

قال: «ألا تجدين الوضع هكذا صعباً قليلاً، وأنتِ هنا بلا سيارة؟».

قالت: «هنا أين؟».

قال: «حسن، هنا، أعني، أنت تعرفين ما أعني، أعني، نقل جهاز التنظيف الضخم، وكل الأشياء التي تستعملين في التنظيف، من مكان إلى مكان، ومن منزل إلى آخر. هذه حياة صعبة».

قالت: «إنها ليست ثقيلة. ثم إنَّ لها دواليب صغيرة».

قال: «أنا، إه، إه».

قالت: «هنا جيد شكراً لك، سيد سمارت. شكراً جزيلاً».

خرجت من السيارة، وجرّت المكنسة خلفها وأغلقت الباب برفق.

قال مايكل: «خذي».

أخرجَ محفظة نقوده من الجيب الداخلي لسترته وفتحها وأخرج منها ثلاث أوراق من فئة العشرين جنيهاً. ومدّ يده من خلال نافذة سيارته.

قال: «لا أعلم إنْ كانت زوجتي دفعت لكِ أجرتك هذا الأسبوع».

قالت: «أنتم لا تدفعون لي. أنا أتيت مع المنزل، خادمة التنظيف».

قال: «أي مبلغ يُعينكِ».

لم تبتسم العاملة. وأخذت النقود.

نفق شارع غودج. مدّ مايكل يده أمامه. ارتعشتْ، ولكن فقط قليلاً. قبل أنْ يمر على الحواجز ومنها إلى تحت الأرض في المصعد الصاخب، أخرج هاتفه المحمول من جديد. بحث عن رقم إيف.

الهاتف المُجيب.

قال: «مرحباً. إنه أنا. كيف حالك؟ آمل أنْ تكوني في أحسن حال. أريد أنْ أسأل فقط عن أمرين. حسن، ثلاثة. أولها، أنا لستُ على ما يُرام. أنا واثق تماماً من أني تعرّضت لتقلبات الطقس. أمر مضحك، أعلم. أنا لا أمزح. ثانياً، المسؤولون القانونيون في دار جوبيتر لا يكفّون عن الاتّصال. الأمر يتعلّق بالعائلات. هل تستطيعين أنْ تتصلي بهم؟ ثالثاً، لم يتبقّ إلا ٢٠٠٠ جنيه في الحساب المصرفي الرئيس وأستريد تريد نقوداً من أجل رحلة المدرسة وماغنوس يريد أنْ يذهب إلى اللور. ها ها. أعلم. أنا لا أمزح. على أي حال اتّصلتُ بالضمان بشأن قضية المنزل. فقدّروا المدة بثلاثة أشهر. كما فعلوا قبل ثلاثة أشهر. ماذا تريدين مني أنْ أفعل في هذا. اتصلي بي. لا تتأخّري».

ثم أغلقَ الهاتف المحمول بصفعة، واشترى بطاقته، وولج المصعد وهبط به إلى الظلام كرجلٍ يعلم بالضبط إلى أين هو ذاهب.

كان ماغنوس وأستريد في غرفة الاستراحة يشاهدان التلفاز. كانت الأضواء مُطفأة. أدار مايكل مفتاح المصباح الكبير.

قال مايكل: «مرحباً للجميع».

Twitter: @ketab_n

كان صديق ماغنوس الصموت جيك قد ظهر من جديد.

قال مايكل: «مرحبا جيك. كيف حالك هذه الليلة؟».

غمغـمَ جيك بشيء بدا أشبـه بأنا على ما يرام شكـراً. أطفأ مايكل الضوء من جديد.

قالت أستريد: «شكراً لك».

استرخى على الكرسي الوحيد الباقي.

كان جيـك يُعرِّج عليهم كثـيراً في تلك الأيام؛ ويمكـثُ مطولاً. كان مايـكل قد بـدأ يتسـاءل إنْ كان ماغنوس يُقابل جيك أكـثر من المقدار الطبيعـي بقليل وما إذا كان ينبغي عليـه أنْ يُخبر إيف بهذا الشأن، أو ما إذا كانـا يُجربان تعاطي المخدرات، ولكن بعـد مرور نصف ساعة من إصغائه خـارج باب غرفة نوم ماغنوس ذات ليلـة وسماعهما يتبادلان الآراء حـول باسكال وتيبار دو شاردان وعمّا سيفعل بشأن طلاق أبويه الوشيك، توقف عن القول لجيـك عند منتصف الليل، ألا تتساءل أمك عن مكان وجودك في مثل هذه الساعة من الليل، يا جيك؟

البرنامـج الذي كانوا جميعاً يُشاهدون في الظلام كان مسلسل «آل غوبل».

قال: «ماذا تشاهدين، يا أستريد؟».

قالت أستريد: «تاريخ بريطانيا العظمى».

كان الدليـل محشـوراً داخـل وسائـد الكرسي الـذي يجلس عليه.

Twitter: @ketab_n

تصفحه مايكل إلى أنْ عثر على اليوم المُحدَّد والقناة المُحدَّدة. أمال الصفحة نحو الخلف لكي يتمكن من قراءتها على ضوء التلفاز.

تاريخ بريطانيا العظمى

٧ صباحاً - النازيون: تحذير من التاريخ.

٨ - النازيون: تحذير من التاريخ.

٩ - النازيون: تحذير من التاريخ.

١٠ - النازيون: تحذير من التاريخ.

١١ - النازيون: تحذير من التاريخ

١٢ ظهراً - النازيون: تحذير من التاريخ

١ - حرب القرن

٢ - حرب القرن

٣ - حرب القرن

٤ - حرب القرن

٥ - رعب في الشرق.

٦ - رعب في الشرق

٧ - النازيون: تحذير من التاريخ

٨ - النازيون: تحذير من التاريخ

٩ - النازيون: تحذير من التاريخ

١٠ - النازيون: تحذير من التاريخ

١١ - النازيون: تحذير من التاريخ

١٢ منتصف الليل - النازيون: تحذير من التاريخ

١ - الإغلاق.

Twitter: @ketab_n

قال مايكل: «أعتقد أننا نشاهد – النازيون: تحذير من التاريخ».

قالت أستريد: «لستَ مضطراً إلى المشاهدة إذا كنتَ لا تريد. هذا المنزل مملوء بغرف أخرى».

قال مايكل: «أتعلمين، إنكِ تزدادين شَبَهاً بأمك في كل يوم».

قالت أستريد: «مستحيل».

غيَّرتْ القنال على الفور.

قال مايكل: «عنيتُ المعنى الجيد للكلمة. وقد تصادفَ أني أحب أمك».

الأشخاص الظاهرون في التلفاز يُجرون تعديلاً على منزل خالٍ. ظهرت على الشاشة إحصاءات حول كم ستبلغ قيمة المنزل بعد إحداث التغيير.

زمجر مايكل.

قالت أستريد: «تحمَّل إكراماً لله، سينتهي الإعلان فور بدء الفيلم».

قال مايكل: «كلا، لا مانع عندي من مشاهدة هذه القناة. كل ما في الأمر أني أشعر بشيء من الانزعاج. أرجوك لا تسبّي».

قال ماغنوس: «منزعج كيف؟».

قال مايكل: «من فرط برودة الجسم. لا شيء جديد».

Twitter: @ketab_n

قال جيك: «يجب أنْ تؤخذ إلى الملجأ».

قـال مايكل: «أحقاً؟ هذا جميـل. جميل أنْ أعلم هذا. ملجأ. هذه كلمة جميلة».

قـال جيك: «يجـب أنْ تبقى دافئـاً، وتبقى قدر الإمـكان وبشكل كامـل بعيداً عـن الأرض. يجب أنْ تتناول شراباً حـاراً وأنْ تأكل شيئاً، وعلى المُحيطين بك أنْ يمدّوك بالدعم النفسي».

كانـت تلك أكبر كميـة من الكلام قالها جيك علنـاً في حياته. تمنى مايـكل لو أنَّ إيف كانت موجودة لكـي يقول لها هذا الكلام، لاحقاً، هذه الليلة، وهما في السرير.

قال جيك: «يجب أنْ ينضم أحدٌ إليك في السرير لكي يُبقيك دافئاً».

قال مايكل: «دعنا من الذهاب إلى هناك الآن، يا جيك».

قال جيك: «ويجب أنْ نراقبك لئلا تُصاب بهبوط في القلب».

قال مايكل: «أنت لا تدري كم هذا صحيح».

قال جيك: «وقد يفيدك أنْ تنطوي حول نفسك في وضعية الجنين، ولكن مع انحدار رأسك باتجاه الأرض».

كان ماغنوس قد تسلل ووضع إبريـق الشاي على النار. ثم عاد مع شاي من أجل مايكل. وتأثّر مايكل.

قال ماغنوس: «هل ترغب من أكل شيء؟».

قال مايكل: «كلا، لا أريد. ولكن شكراً لك يا ماغنوس».

Twitter: @ketab_n

قالت أستريد: «كُل بيضة. عندنا بيض في البرّاد يجب أكله».

قال مايكل: «كلا، لا أريد».

قالت أسترِيد: «يجب أنْ تأكل».

قال مايكل: «أحقاً ؟».

قالت أسترِيد: «البيض جميل. عندما تأكل بيضة كأنكَ تأكل الجَمال نفسه».

قال مايكل: «أحقاً ؟ ما أجملها من فكرة».

قال ماغنوس: «مسلوقة أم مخفوقة؟».

قالت أستريد: «أم نيئة؟».

قال مايكل: «بل مقلية».

قال جيك: «أسوأ طعام لك».

قال مايكل: «شكراً لك، جيك».

عاد ماغنوس أدراجه. انطوى مايكل حول نفسه في وضعية الجنين. أحنى رأسه عبر الأريكة. راح يشاهد الإعلانات بالمقلوب. كانت طريقة جيدة جداً لمشاهدة الإعلانات. إنها تُعيد إليها طابعها السريالي. أحضر ماغنوس لمايكل شطيرة بيض مقلي. بدأ عرض الفيلم. بالأبيض والأسود، قديم، من حقبة ثلاثينيات القرن الفائت. بطولة مارغريت لوكوود. فيلم «السيدة تختفي».

Twitter: @ketab_n

قال مايكل: «إنه فيلم لهيتشكوك».

قالت أستريد: «وتقول لي أنا ألا أسبّ».

قال مايكل: «ها ها».

كان الفيلم بارعاً جداً، حقاً. كان يتسم بالجنون وبلا أي هدف على مدى نصف الحبكة وكأنَّ الأشياء مجرد مهزلة بلا أي معني، ثم تأتي الحلول كلها ببراعة في الوقت المناسب. حيث نشاهد رهطّاً من الإنكليز واقعين في فخ طقسٍ رديء في فندق بين جبال أوروبا الشرقية، ثم يسافرون كلهم معاً إلى وطنهم على متن القطار نفسه. لكنَّ سيدة عجوز لطيفة تُفقَد في القطار وتصرّ سيدة جميلة وشابة كانت تسافر معها على أنَّ وجودها حقيقي، وأنها موجودة دون أدنى شك، على الرغم من أنَّ كل الألمان على متن القطار، بمَنْ فيهم طبيب جرّاح مُخيف، كانوا يتآمرون لجعل الفتاة تبدو مجنونة. وحده شاب إنكليزي رياضي صدَّقها على الرغم من عدم اقتناعه التام. وهناك الكثير من النكات حول الكبت الجنسي وفرويد وفي النهاية يتّضح أنَّ الأمر كله مسألة تتعلَّق بالأمن القومي.

النهاية.

مطَّ مايكل ذراعيه فوق رأسه وتثاءب بصوت هادر.

قال ماغنوس: «رائع».

قال مايكل: «جيد جداً».

Twitter: @ketab_n

غمغمَ جيك بشيء يبدو إيجابياً.

تمطّـى مايكل مـن جديد. كان في الواقـع يشعر بارتيـاح عظيم. لعلَّ السبـب شطـيرة البيض، التـي تركت أثرهـا الطيب. ولعله رقّـة الصبيين الغريزيـة، قبل ذلـك بقليل. وربما لأنَّ الفيلم نفســه كان فيلماً جيداً جداً، فيلمـاً، لو أنَّ أحدهم كان قد سأله لأقسم بأنه شاهده تواً، أو غالباً شاهده مـن قبل، ولكـن في الواقع هو لم يشاهـده أبداً ولّما كان خمّـنَ براعته أو حبكته، على الرغم من أنه فيلم كلاسيكي قديم ولابد أنَّ عرْضَه يستمر بلا توقف في مكان على خلفية مشاهدته للتلفاز على مدى سنوات طويلة.

أو ربمـا كان مجـرد مشاهدة شيء جيـد في غرفةٍ مظلمة، مـع أناسٍ آخريـن يشاهدونه بالطريقة نفسها التي يُشاهـده هو بها. وكيفما كان الأمـر، لقد شعر بأنه متمدّد، بأنه أكبر من نفسه، حياله. لم يكن قد فكّر في الشعور بالانزعاج، ولا مرة، طوال فترة مشاهدته.

قالـت أستريـد: «مذكورأنه صُـوِّرَ في إيزلنغتون. هـل رأيت؟ هل رأيت؟ مكتوب في النهاية، مع كلمة النهاية، أنه صُوِّرَ هنا».

قال مايكل: «بجوار القنال، هناك استوديو لتصوير الأفلام».

قالت أستريد: «مستحيل».

قال مايـكل: «كلا، بل يوجد. حقاً. يصنعـون أفلاماً تاريخية، وما شابه. وهناك صنعوا هذا الفيلم دون أدنى شك».

قالت أستريد من جديد: «مستحيل».

أدارت مفتاح النور الكبير. طرف مايكل بعينيه بسبب الضوء المبهر

Twitter: @ketab_n

الـذي غمر الغرفة. بـدا الصبيـان شاحبين، أخرقَـين، صغيرين؛ وأخذ الأثاث الذي جلسا عليه يظهـر تدريجياً. بدَوا صغيرين جداً على إبداء مثـل كل ذلك اللطـف. كانت أستريد ترقص في الغرفـة. كانت تتألّف كلهـا من أذرع وسيقان طويلة. كانت ترتـدي قميصها الرياضي الذي طُبِعَت عليه عبارة «*أنا الفتاة التي حذّرك والداك منها*».

قال مايكل: «أستريـد، ألا تشعرين بالبرد وأنتِ ترتدين فقط قميصاً رياضياً ؟».

كانت تقول: «استوديو الأفلام الذي صنع هذا الفيلم. مذهل. هنا، هنا حيث نعيش، في إيزلنغتون!».

أخـذت تتأرجح علـى ذراع كرسي مايكل كالطفلـة الصغيرة التي لم تعـد هي عليـه الآن. الكلمـات المطبوعة على قميصهـا الرياضي لم تكـن تبتعد عن عينيّ مايكل وفمـه إلا بمقدار بوصات قليلـة. «أنا فتاة يُحذرونك». ثم أصبح فـم أستريد المفتوح، ولسانها وأسنانها الصغيرة على مسافة بوصة واحدة من وجهه، وفمه، وهي تتأرجح جيئة وذهاباً.

أغمضَ مايكل عينية. عبارة مبتذلة.

قالت: «حقاً حقاً حقاً صدقاً صدقاً صدقاً ؟».

تظاهر مايكل بأنه يعرك عينيه. أسند ظهره إلى الكرسي، وأبقى عينيه مُغمضتين بإحكام. هزَّ رأسه، بصرامة.

قال: «أأنا أكذب عليك؟».[٨٥]

---

٨٥ – هذه الجملة هي عنوان أغنية شهيرة لفريق Eurythmics الإنكليزي. – المترجم.

Twitter: @ketab_n

نهاية الطريق، عند

المفترق الذي تبرز صناديق البريد فيه من الأرض، صناديق بريد من النوع الذي كانت قد شاهدت ما يكفي منها حتى الآن بحيث لم تعُد تراها جميلة، كانت هناك طريق صغيرة أخرى وعلى مسافة بضعة أميال عليها هناك درب قصير منحدر ومُستتر لم تره في المرتين الأوليتين، أوصلها حتى طريق أخرى دائرية مُحاذية للغابة تتشعب وتنفتح على حقول مترامية من الخيول ذات الجمال الأخّاذ. كانت الخيول ملساء الشعر ومثالية، والحقول خصبة وممتدة وخضراء نضرة خلف سياج كهربائي مُعلّقة عليه إشارات تدل على عدم شرعية التجاوز. ولكن عند نهاية الغابة، وبين مزارع الخيل، كانت هناك منازل. منازل بلا سياجات. بعضها لطيف وجديد ومُصممٌ ببذخ، هي بيوت أصحاب مزارع الخيل الأثرياء. بعضها كان مبنياً من ألواح الخشب أبلتها تقلبات الطقس، وبعضها الآخر ألواحها تتقشّر وتتشقّق وأسقفها ملتوية، جعلتها فصول الشتاء أو قوة الرياح منحنية وغير ثابتة. مُعظمها كان ربما منازل لقضاء فصل الصيف أو عطل نهاية الأسبوع. والانتقال من المدينة إلى هنا لا يستغرق إلا ساعتين. وكلها، حتى تلك الآيلة إلى السقوط بينها، بدت أشبه بالمنازل التي تظهر في حلم طفل. فكلها كبيرة. وكلها لها مداخل مسقوفة وأبواب من الأسلاك الشبكية. وكلها، حتى تلك

Twitter: @ketab_n

التـي تبدو كأنَّ أحداً لم يسكنها منذ أمدٍ بعيد، يتدلّى العلم الأميركي بلا حِراك على سارية قصيرة بجوار أبوابها الرئيسة.

كانت إيف قد ركنتْ سيارتها علـى الحافة المعشوشبة عبر الشارع. كان منزلهـا، ككل تلك المنازل، يقوم على أرضه المكشوفة المعشوشبة. وكان العشب المُحيط بهذا المنزل نامياً. وعلى بُعد ثلاثمائة ياردة خلف الأشجـار كان هناك منزل آخر وخلفه آخر أضخم وخلفها جميعاً، ولا تزال مرئية تحت السماء المُضاءة بنور القمر، السلسلة السوداء النائية من الجبـال التي تعرف اسمها من الأطلسـ المدرسي. كانت إيف (ذات الـ ١٥ عاماً) قد كتبـت Cats kill[٨٦] Cat skill. على الغلاف الداخلي من دفتر مسودتها وسط درس الجغرافيا حول طبقات الصخور والبُنية التحتية. كانت إيـف (٤٣ عاماً) حينئذٍ على الطريق الصحيحة. كانت تحفظ عنوان ذلك الشارع عن ظهر قلب منذ ثلاثين عاماً.

ولكـن لا يحمـل أياً من تلك المنازل أرقاماً ظاهـرة. اثنان منها بدوا خاليين. الذي على اليمين أمامها بدا كأنه خال منذ أمدٍ بعيد. والأقرب بـين الاثنـين الآخرَيـن كان مُعتماً لكـنَّ الأبعد كانـت تتوقف خارجه سيـارات. وفي وقت سابق كانت هناك أضواء في نوافذه. وكانت إيف قد سمعت أشخاصاً يهتف أحدهم للآخر وكلباً ينبح، أو كلاباً.

وِفق حساباتها كان والدهـا قد امتلك ذلك المنزل قبل وفاته، المنزل الـذي أقامـت فيه عائلتها الأخـرى. لكنه يبدو مهجـوراً. قد لا يكون

---

٨٦ – عبـارة مـن كلمتـين إذا حركـت الحـرف الأوسـط بينهمـا يتغير المعنـى تماماً ويبقـى لفظيهما واحـد لا يتغـير – Cat skill (مهـارة قطـة) وCats kill (قطط تقتل). – المترجم.

Twitter: @ketab_n

منزله. المنزل الصحيح قد يكون، في الواقع، أي واحد من تلك المنازل. قـد يكون الناس مـع سياراتهم والأضـواء والكلاب يشكلـون عائلة، على الرغـم من أنَّ هذا يبدو مُستبعـداً، لأنَّ منزلهم كان يقع في شارع مختلـف. ولكن كان يمكنهم أنْ يعرفوا لو أنهـا تحلَّت بالكياسة وقرعت الباب وسألتهم في المساء عندما يكون أحدهم لا يزال فيه يقظاً، أيّ تلك المنازل يخصّه.

في هذا البلد ضـوءُ القمر برّاق إلى درجة أنَّ في استطاعتك حتى أنْ تقرأ صحيفـة على ضوئه، إذا أردتَ أنْ تقـرأ صحيفة. بعد قليل سوف تتناول إيف صحيفتها وتذهب لتجلس في المدخل المسقوف لهذا المنزل الخالي.

خرجت من السيارة. وجلستْ على غطائها المعدني.

ولاية نيويورك تكتنفها من كل جانب. كم كانت أيام الـ Catskills جميلـة. إنه شهـر أيار. كانت تحمـل الصحيفة التي اشـترتْ في وقت سابـق مـن ذلك النهـار في نيويـورك. علـى الصفحة الرئيسـة صورة لرجل ملفـوف بكيس بلاستيكي. من الواضح أنَّ الرجل ميت. يحمل نظرة رماديـة خاوية لشخص مات قريباً. كان كيـس البلاستيك مُقفلاً بسحّاب حتى آخره، ولكن في الإمكان رؤية رضوضه، وأنفه، وأسنانه المكسـورة، وعينيـه الميتتـين المقلوبتين. وفوق كيس الميـت وقفت فتاة بالملابس العسكرية. فتاة جميلة، تبتسم وتعطي إشارة الموافقة للمصور فـوق وجه الرجل الميـت. وكان هناك تقريـر عن امـرأة في سبعينيات عمرها. ذات يوم أخرجوها مـن زنزانتها، وأطلقوا عليها كلباً مسعوراً وجعلوها تمشي على أربع ككلب. جلس جنديٌّ على ظهرها وامتطاها

Twitter: @ketab_n

وجعلها تمشـي به حول الفناء كحصان. وهناك صـور لكثير من أسرى الحرب أُجـبِروا، تحت تهديد كلـب وفوهة البندقية، علـى التعرّي. ثم غطى الجنود رؤوسهم بأكياس. ثـم وُضِعوا بعضهـم فوق بعض، عراةً، علـى شكل خلية نحل مـن الأجساد الحيّة وأخـذوا يلتقطون لأنفسهم صوراً وهم يبتسمون وكأنهم في حفلٍ عائليّ فوق التل البشري(٨٧).

كلمـا أمعنتْ إيـف النظر في الصـور أدركت أنَّ هنـاك شيئاً شديد الغموض حدث. أدركـتْ أنه كان من المفترَض أنْ يحدث مثل هذا، وأنـه على الرغـم من أنَّ تلك الصـور الفوتوغرافية كانـت بمثابة إشارة مُرسلـة إلى العيون حـول شيء يحدث حقاً، وكلمـا أطالتْ النظر إليها تلاشى أكثر شعورها وتفكيرهـا. وكلما شاهدت المزيد من الصور، قلَّ مـا تعنيه من أنَّ شيئاً حدث لأناسٍ حقيقيين وأصبح ممكناً تكديس بشر حقيقيـين هكذا من جديد في أي مـكان ترغب لكي تؤخذ لك صورة وأنت تقف مبتسماً خلفهم.

كانت لا تزال تتراءى لها، صورة الرجل الميت داخل كيس البلاستيك والجنديـة تكشّر مبتسمة، على الرغم من أنَّ الوقت كان منتصف الليل. لم تدر مـاذا تفعل بخصوص مسألة النظر، هـل تواصل النظر أم تكفّ عـن النظر. لا جواب على ذلك. كان الجـواب يكمن في السؤال. إنها تعيـش في عصرٍ يُسمح فيـه تاريخياً بالابتسام فـوق وجه شخص مات ميتةً وحشية.

أخـذتْ إيف عامـاً من الراحـة من حياتهـا الخاصـة. كانت تسير

---

٨٧ – مـن الواضـح أنَّ ما تصفه الكاتبة هـو الصور التي تبيّن ممارسـات أفراد الجيش الأميركي الوحشيةمع أسرى سجن أبو غريب في العراق. – المترجم.

Twitter: @ketab_n

في شـارع في لندن ورأت إعلانـاً تجارياً على شـكل مُلصَق في واجهة مكتـب سفريـات للطلاب. س: *هل هناك حيـاة بعد المـوت؟* كانت في طريقهـا لحضور مؤتمر صحفي عن جماعـة «عائلات ضد سرقة أصالة الأقارب». تستطيع مـن الآن أنْ ترى عناوين الأخبار. الجماعة جيدة. كما تشاء الجماعة. كانـت العائلات قد اجتمعت معاً لتحاول أنْ تجمع النقـود من دار جوبيـتر للنشر ومن إيف. كان رأسـ إيف مملوءاً بالجُمل التي تدرّبت على حفظها طـوال الليل. مَنْ الذي يُقرر ما هي الأصالة؟ *مَـنْ الذي يُقرر مَنْ الذي يتمتّـع بالمخيّلة؟ مَنْ الذي يُقرر أنّ روايتي الخاصـة، حكاياتي عن حياة هؤلاء الأفراد بعد الموت، أقلّ صحّة من رواية شخص آخر لها؟* كانت تنوي أنْ تُجيب عن كل سؤال بسؤال. وهذا سيجعل إجاباتها تبـدو مفتوحة، سيُتيح لها أنْ تبدو راغبـة في أنْ تكون استطرادية، وفي الوقت نفسه أنْ تكون منغلقة ببراعة وتكلُّف. كانت حينئذ قد تجاوزت مكتب السفر ثم توقفتْ عند المُلصَق من جديد. ج: *ولماذا الانتظار لمعرفة الجواب؟* خُذ فترة عام من الاستراحة. عِش الآن. هذا دفعها إلى الدخول والضغـط على زر في الآلة التـي تُعطي أرقاماً لأناسٍ ينتظرون دورهم لإجـراء المقابلـة. كُتِبَ علـى البطاقة رقم ٦. كان الوقـت هو منتصف الظهيرة. وكان عدد المسافرين قليلاً بسبب الوضع العالمي الحالي، قالت لها موظفـة المكتب إنهم يفكرون في التخلّص مـن آلة قطع البطاقات. سألتهـا إيف «هل يجب أنْ أكون طالبة؟» قالت المرأة: «سوف يُكلّفك ذلـك المزيد، ولكن كلا، بالنظر إلى مركزك، طبعاً لا. أي شخص يمكن أنْ يأخذ مدة عام إجازة. إلى أين تودين الذهاب في العالم؟».

بـدل أنْ تلتحق بالمؤتمر الصحفي، ذهبت إيـف إلى حجرة عمليات طبيبها وحجـزت دوراً لتلقّي الجرعات. كانـت إيف حتى ذلك الحين

Twitter: @ketab_n

قـد سحبت نقوداً من فـروع المصرف في العديد من المـدن الرئيسة في العالم. تلقّت العديد من العروض الجنسية، ولكن ليست في معظمها من الرجـال حصراً، وبلغ عددها تقريباً عدد الكثـير من المدن التي سحبت منها نقوداً. شربت كوكا كولا في غرفة الفندق في روما، وشربت كوكا كـولا في حانة تطل على قصر في غرناطة، وشربت كوكا كولا في حانة شاليـه في أعلى جبل في سويسرا، وشربـت كوكا كولا على متن العديد من الطائرات، وشربت كـوكا كولا في حانة فندق في نيس في بروممناد ديزانغليه، مقابل مجموعة من مدمني المخدرات على الشاطئ الحجري، وشربـت كوكا كـولا في مطعم مُكيَّـف الهواء في ضاحيـة للأثرياء في كولومبو شاهدت من خـلال واجهاته الأمامية أطفالاً يعيشون في برج متهـدِّم وأسمال تتدلى من ثقوب حيث يجب أنْ تكون نوافذ. وشربت كوكا كولا في حانة فاحشة الفخامة في كيب تاون. وطرقت درباً قذراً في عراء أثيوبيـا حيث لا شيء غير الجفاف، والذباب، ولا شيء يؤكل، ولا شـيء يُـزرَع، لا شـيء غير شاحنة عتيقـة بلا أُطُـر دواليب وبعض الأكواخ القائمة، ورحّبَ بها الشعب النحيل والمُبتسم أبداً الذي يعيش هنـاك، وأعطاها كل ما لديه، الذي يُعادل لا شيء تقريباً، ثم جرّوها إلى حانتهـم المتداعية وكأنها احتفال كامل ووضعوهـا أمام آلة بيع الكوكا كـولا، وأمامهـا تناقشـوا وأومأوا برؤوسهم وتجمعوا معـاً ونادوا على المزيد من الأشخاص إلى أنْ جمعوا أخيراً ما يكفي من النقود ووضعوها قطعـة بعد قطعة في الشـق إلى أنْ سقطت العلبة بصـوت مكتوم في فم الآلة المغطّى بالتراب. كتبت على البطاقة البريدية التي أرسلتها إلى أرض الوطن «***أُرسل إليكم هذه من المطار فقط لأُعلِمكم بأني شربت آخر علبة كوكا كولا سأشربها في حياتي***».

Twitter: @ketab_n

قبـل أسبوعَـين وضعَتْ القطـع النقدية في الشـق بنفسها، في لاس فيغاس. قبل أسبوعَين رمت ما كسبت هنـاك عبر حافة غراند كانيون: مبلغاً صغيراً تافهاً رُميَ في أكبر شق في العالم. كم سيبلغ مقدار الإنفاق؟ ماذا سيخرج لأجلها من أضخـم آلة في العالم؟ استجلاباً للحظ، رمت بهاتفهـا عبر الحافة خلف النقـود. إنه يساوي شيئاً. مـداه عالميّ. على شاشته أيقونة حمراء غاضبة على شكل سماعة هاتف تومض في وجهها منذ أيام. «لديك رسائل جديدة». قبل أنْ ترميه تركت إيف رسالة على الهاتف المُجيب في المنزل.

«مرحبا أستريد، مرحبا ماغنوس، مرحبا مايكل، هذه أنا. أريد فقط أنْ أُخبركـم أني أقـف عند حافة غرانـد كانيون. إنني أحـاول أنْ أُفكّر كيف أصفه. في الواقع إنه يجعلني أعتقد أنَّ كل رصيف أو درب مستوٍ وقفـت عليه في حياتي كان محض هـراء. أعتقد أني قد أشعر بدوار حتى آخـر حياتي. أنا جالسة على الحافة مباشرة، علـى الشفة الجنوبية. يبدو أنَّ الشفـة الشمالية لا زالت مُغلقة. إنها علـى بُعد عشرة أميال من هنا، تقريباً. قال لي رجل عند نقطة المراقبة إنه كان في استطاعتهم في السابق أنْ يروا منحنى الكـرة الأرضية من إحدى نقاط المراقبة تلك، تعرفونها تلـك المزوَّدة بمناظير مُكـبِّرة خاصة، أما الآن فلم يعُـد مرئياً أبداً. هناك سيـاج صغـير هنا حيث أقف، ولكـن في الإمكان اجتيـازه والنظر إلى أسفل مباشرة، وقد فعلت هذا تواً، ومن هنا أرى هذا الشريط الرفيع من اللون الأخضـر في القاع. يبدو أنه نهر كولـورادو. وهناك رجل ياباني أمامـي الآن. إنه يلتقط لنفسه صورة. إنه يقف على صخرة بارزة. يبدو وضعه خطراً. إنه على الحافة بطريقة تُحفّزني على الاندفاع نحوه ودفعه نحو الهاويـة. هناك الكثير من الطيور. الكثير مـن، أعتقد أنها غربان.

Twitter: @ketab_n

أستطيـع أنْ أرى ماعـزاً أيضاً، يـا أستريد، على الصخـور في الأسفل. وكأني أنظـر إلى كوكـب مختلف، لولا السياح. وكأنهـا الأرض قبل أنْ يطأها أحد، لـولا السياح. طبعاً، أنا أيضاً من السياح. الأمر مُحيِّر قليلاً، إذا أردتم الصدق. وغامر قليلاً. إنه غاية في الجمال. ألوانه لا تتوقف عن التبـدُّل مع تبدُّل الضـوء. إنه ضخم جداً. حسن، علـى أي حال، إنني أوشك أنْ أرمي هاتفي فيه. يجب أنْ أرمي شيئاً فيه، وإذا لم أرمِ نفسي، أو ذلك السائح الياباني اللطيف جداً، حسن. وأريد أنْ أترك لكم رسالة قبل أنْ أفعل. حبي الضافي لكم».

ليس هذا كله سجّله الهاتف المُجيب في المنـزل، الذي أصدرَ ذلك الصفـير كإشارة إلى نهايـة مدة الكلام المُحـدَّدة في اللحظة التي كانت إيف تقول «*من هنا أرى*».

علـى الجهة المقابلة من الكانيون، وغـير مرئية للعين المُجرّدة، كانت أمهـا الميتة على بـروز صخري، مُخدَّرة بالمورفين علـى سرير مستشفى، ترتل تراتيل وأغان متداخلة معاً. «*لم تُغني روحي لك أيها الرب المُخلّص*». كانت قد جاءت ممرضة وأغلقت الباب. «*آه يا جزيرة طفولتي كم أشـتاق إليـك*». كانت أمها في الرابعة والأربعين، لا أكثر. لم يعد في استطاعتها أنْ ترفـع رأسها؛ ارتـاح رأسها على صدرهـا وكأنَّ عنقها مكسور. لم يعُد لعنقها عمل. أمسكت بيد إيف وشدّت عليها بقوة موجِعة وعندما تركتهـا تركت علامات على يـد إيف سبَّبتها خـواتم أمها. تحدثت إلى إيـف، قالت شيئاً بـدا أشبه بكلمات لكنها لم تكن كلمات. لم تميِّز إيف أي شيء من رسالة والدتها الأخيرة إليها.

كان مايـكل قـد قال لهـا عندما تعارفـا للمـرة الأولى «أعتقد أنكِ

Twitter: @ketab_n

كنتِ راشدة كفاية بحيث تتحملين المحنة. كنتِ قد تجاوزت مرحلة الطفولة. وتجاوزت المرحلة التي يتحدث فيها علماء النفس عن الوقت الذي يشعر الأطفال فيه بأنهم محرومون إلى الأبد من الأب والأم، لأنهم كانوا في سن صغيرة جداً عندما حُرِموا».

أخبرته إيف: «ما قالت لي في الختام لم يكن له أي معنى».

قال: «إنه ليس بلا معنى. إنَّ له معنى لأنها قالته. وعلى الرغم من أنكِ لا تفهمين مغزى ما قالت، إلا أنَّ له معنى لأنه جرى بينكما، انتقل منها إليك».

قالت إيف: «نعم».

قال مايكل: «كل ما في الأمر أنَّ المعنى الحرفي ذاته لم يُفهَم في الحال. وهذا لا يعني أنه لم يكن له معنى».

هذا الحديث كان أحد الأسباب التي دفعت بإيف إلى الزواج من مايكل. لقد بدا رجلاً يمكن معه إجراء النوع الصحيح من الحوارات.

مسكين مايكل. فتاة اسمها إيما ساكفيل أخيراً نهبت مدينته[٨٨]. كانت الحقيقة في انتظارهم على الهاتف المُجيب لدى عودتهم من نورفوك. ولكن في مرة من المرات الأخيرة التي تحدثت فيها مع مايكل بدت الأمور أفضل. كانت سلسلة من قصائدها قد قُبِلَتْ من قِبَل ناشر

٨٨ – مرة أخرى تتلاعب الكاتبة بالألفاظ. هنا قسمت الكاتبة اسم ساكفيل إلى كلمتين هما ساك وفيل، وإذا وُضِعتا معاً أصبح لهما معنى وربطته بشخصية مايكل: she (sacked his ville) أي نهبت مدينته. – المترجم..

Twitter: @ketab_n

صغير. فقد أبدى الملحق الأدبي للتايمز أو شخصٌ ما رَغْبَتَه في نشرِ اثنتين منهـا. وبدا سعيداً بصورة مُضحكـة بذلك. لكنَّ أستريد كانت لا تزال ترفضُ أنْ تأتي إلى الهاتف، وماغنوس كان في المكتبة العامة مع صديق، يُراجع دروسه استعداداً للامتحانات.

إيف: «كِهانة؟ أي نوع من الكِهانة؟».

مايكل: «أنا أعلم. لقد قلت له إنَّ عليه أنْ يهتدي أولاً، وأنه لا يمكن أنْ ينضم هكذا ببساطة ويصبح كاهناً، فنظر إليّ وكأني أبله. ولكن على أي حـال، كان دائمـاً يعتبرني أبله بصورة مـا. كلا، لكنه طيب، سوف يندم على خسارته لك، نحن على ما يُرام، حقاً».

إيف: «وكيف حال أستريد؟».

مايكل: «في أحسن حال، نحن جميعاً على ما يُرام».

إيف: «ألا زالت ترتدي اللون الأحمر دائماً ؟».

مايـكل: «أوه، أنت تعلمين. إنها على ما يُـرام. لا تقلقي. إنها آمنة تماماً. إنها تعقد صداقات،وتشارك في إصدار صحيفة مدرسية بديلة أو ما شابه، وتؤلِّفُ منشوراً لأجلها، فوق في غرفتها. البنت تشبه أمها».

إيـف: «منشور؟ إنها لا تشبهني، أنا لم أكتب مناشير أبداً. أي نوع من المناشير؟».

مايكل: «ما أدراني؟ إنها لا تُريني إياها. لكنها سمحت لي بأنْ أختار الشارة. كانـت تصنع الشارات لنفسهـا ولأصدقائها. وقالت لي بكل فخامة إنَّ في استطاعتي أنْ أحتفظ بواحدة».

Twitter: @ketab_n

إيـف: «هـل فعلت؟ يـا إلهـي، أنت محظـوظ. أنت تقـوم بالعمل الصحيح».

مايـكل: «كان أمامي خيار. شارة مع كلمـة تخيَّل مكتوبة عليها أو شارة عليها كلمة خائف».

إيف: «تخيَّل أم خائف؟».

مايكل: «إما تخيَّل أو خائف».

إيف: «وأيهما انتقيتَ؟».

مايكل: «أه، هذه مسألة حساسة».

إيف: «حساسة جداً».

مايكل: «ها ها».

إيف: «انقـل لأستريد ، انقل لكليهما، كل حبـي. بلّغهما إني أفكر فيهمـا في صباح كل يـوم عندما أستيقظ وفي كل ليلة قبـل أنْ آوي إلى النوم. إنني أتخيلهما أمامي وكأنهما معي هنا».

مايكل: «حسن، إنهما ليسا كذلك. إنهما حتماً هنا معي».

إيف: «أعلم هذا».

مايـكل: «أعلم هـذا بسبب فواتير السوبر ماركـت. وأنا أيضاً، مع ذلك؟ تفكرين فيّ أيضاً، أليس كذلك؟».

Twitter: @ketab_n

إيـف: «أوه، أعتقد ذلك. أعتقد أني أفكـر فيك أحياناً. ماذا تسمي هذا؟».

مايكل: «ماذا أسمّي هذا؟».

إيف: «سلسلة قصائدك. ماذا تُسمّى؟».

مايـكل: «آه، ها ها. لقد نسيت هذا الأمـر برهة. يجب أنْ أتحدث معك أكثر». عنوانها «السيدة تختفي».

إيف: «السيدة تختفي». «عنوان جيد».

مايكل: «جيد، أليس كذلك؟».

إيف: «هل يدفعون لك مبلغاً كبيراً من المال؟».

مايكل: «ها ها. هذه نكتة».

إيف: «كلا، أنا جادّة، ما مدى حاجتك إلى المال؟».

مايـكل: «حسن، إننا لا نـزال صامدين، لكنّنـا سنتعرض للهجوم حتماً ولا أعلم أنَّ سلسلة من القصائد سوف تدعمنا طويلاً».

إيف: «إذن....؟».

مايـكل: «إذن، كلا، لا أعلم مـاذا سنفعل. إنني أحاول ألا أفكّر في الأمر».

إيف: «لأنني بعيدة».

Twitter: @ketab_n

مايكل: «آه، هل هذا يعني أنكِ عائدة إلى المنزل قريباً ؟».

علـى الجانب المقابل من غراند كانيـون كانت والدة إيف على سرير مستشفـى وما إلى ذلـك. كانت شابـة ولا مبالية، وكأنهـا تتكئ على جانـب خزانة مؤونة في المطبخ تقوم بعملية تفكير سريعة. لوّحت بيدها لإيـف ورأتْ إيف أنَّ أمها تتكئ على طبقـة رقيقة من الخشب المكسو بالفورميـكا وفوقهـا لا شيء غـير الهـواء، وأنَّ تحت قدميهـا مباشرة، المتدليتـين في الهواء، الغربـان تدور وتنعب. وعلـى الجانب النائي من غراند كانيون وقف الرجل الذي كان والدها، بفخامة، في الهواء، فوق قبر مكشوف طوله ٢٥٠ ميلاً، وعرضه عشرة أميال وبعمق ميل واحد. كان أكـبر سناً، وأضخم جثة، وأكثر صلعاً؛ يرتدي بذلة جديدة؛ ويفتح لها ذراعيـه واسعاً. ولوّحَ بيده أيضاً. لـوّحَ لأمها. ولوحت هي له. ثم ابتسـم والدا إيف، معاً أخيراً، ولوّحا بأيديهما مودّعين وكأنهما ذاهبَين في إجـازة إلى مكان ما جميـل، وكأنهما يقضيان أفضـل أيام حياتهما وكأنَّ رسالتهما الخاصة المُصوَّرة تلفزيونياً إليها قد وصلت إلى نهايتها.

كلا. علـى الجانـب القصيّ مـن غراند كانيـون كانت تقـع الحافة الشماليـة. كانت مُغلقة بسبب أحوال الطقس. فالوقت خارج الموسم، علـى الرغم من أنهـا بداية شهـر أيار. ولكـن يمكن المشاهـدة بطائرة مروحية، إذا أردت. كل ما عليك أنْ تفعل هو أنْ تشتري بطاقة دخول، إكراماً لله.

ثـم قالت في نفسها، يجـب أنْ أتجه شمـالاً وأرى، على الأقلّ، أين عاش. يجب أنْ أرى، على الأقلّ، المكان الذي كان يمكن أنْ أنشأ فيه.

اشترت خريطة للطريق نقداً، واشترت سيارة ببطاقة الائتمان في لاس

Twitter: @ketab_n

فيغاس. قالـت للرجل في معرض السيـارات المُستعملة، «لا أدري إنْ كانت البطاقة ستُقبَل». وكانت قد أثارت إعجاب الرجل ذي القميص بكمّين قصيرَين. غمز لها وأخرج الكُتيب معالج بطاقات الائتمان. قال «أنا لا أثق فيك، أيتها السيدة. ولكن لا يهمّ. أنا لدي ضمان».

الآن إيف جالسة في الرواق المسقوف للمنزل المُظلِم وتحت ذراعها صحيفتهـا. صرَّ الرواق من تحتها. لعلـه متعفّن. أهذا هو المنزل؟ ليست لديهـا أدنى فكرة. هل يهم؟ رفعت نظرهانحو الجبال. بعيداً في الظلام علـى الحافة، بمشهدها الجانبي أمام ضوء القمر، تكمن كل الذوات التي كان يمكن أنْ تتمثّلها. كانت متشابكة الأذرع وتؤدي رقصةً اسكتلندية مرحة. إحداها كانت نسخة أميركية من إيف؛ صاحبة بشرة ناعمة جداً ومتزوجـة من رجل مرموق. عاشت في هذا المنزل الذي تجلس إيف في رواقه المسقوف، مع العديد من الأطفال، كلهم من الصبيان، ومع زوج مـزارع صلب؛ وكانـوا أصحاب هذه الخيول، وهـذه الحقول المثالية. الإيـف المجاورة لها كانت إيف أميركية أكـثر خشونة، نشأت وكبرت ولم تتـزوج من أحد ودائماً تُعنى بنفسها؛ ذات بشرة مسمرَّة وصحيحة الجسـم وذهبية الشعر وتدير مزرعتها بنفسهـا وتمتلك خيولها الأصيلة والجميلة. كانت يداها مُشققتين وقويتين، وتعرف كيف تستولد حصاناً وتروّضـه. وإلى جوارها إيف هذه الأيام، لكنها إيف ما كانت لتكونها لو لم تمت أمها. سعيدة؛ تشع بالضياء. وإلى جوارها إيف عاشت مع آدم بيرينسكي. صاحبة وجه خال من التعبيرات. إلى جوارها إيف لم تُقابل آدم بيرينسكي أبداً. ولا يمكن تصورها. وليست لدى إيف أي فكرة عن شكلهـا. وإلى جوارها كانت الأسهـل، مُضيفة الطيران التي تاقت إيف إلى أنْ تكون، عندما كانت في الثامنة من عمرها. كانت مُشرقة ودقيقة؛

Twitter: @ketab_n

معطفها من طراز حقبة الستينيات مُزرَّر حتى أعلاه. وبعدها إيف تشبه إيـف الآن، في الواقـع، لكنها ثبَّـت الزر العلوي علـى المعطف الذي كانــت ابنتها أستريد ترتــدي قبل أنْ تخرج إلى الـبرد والمطر، وشعرت بحــب حقيقيّ وممتع عندما فعلت ذلك، ليس حباً من النوع الذي يبثّ فيك الرعب بل الذي يجعلك سعيداً.

تمــددت ذوات إيـف كلهن على طول الحافة المُظلمــة. لوّحنَ لإيف الحقيقيــة كما فعل والداها، وضربنَ كعوبهن ورقصن وكأنَّ في أية نقطة من حياةٍ ما يمكنك ببساطة أنْ تبدِّل فكرك وتختار ذات أخرى.

هزّتْ إيف رأسها. تذكّرت الرجل الملفوف بكيس البلاستيك الذي كان وجهــه الميت، المؤلَّف منقـــاط دقيقة مطبوعة، منسوخاً منه ملايين النســخ أُرسِلَــت إلى أرجــاء العــالم كافةوهو الآن مطويّ تحــت إبطها، ومُهمــل. تذكّرت الجنديــة المُبتسمة. تذكــرت عينيّ الفتــاة، وإبهامها المنتصــب بقذارة. هما أيضــاً نُسختا بالنوعية نفسها مــن الحبر بالنقاط الدقيقة نفسها كما عين الرجــل الميت.ليست المشكلة في الموتى. يمكن للموتى أنْ يعتنوا بأنفسهم. كانت إيف قد بدأتْ تأسى على الأحياء.

هل لذلك أي معنى، جلوسها في الخارج في المدخل المسقوف لمنزلٍ خالٍ ومظلم بخرقته أو عَلَمهِ المتدلي بجوار بابه الأمامي؟ وهل هو حتى منزلــه؟ لنفرض أنه كذلك؛ هل في الداخــل أي شيء تريده حقاً، أو أي إنسان في هذا العالم يحتاجه حقاً، إذا ما اقتحمته؟ أكثر من، مثلاً، إبريق قهوة من الفخار العتيق لم يُغسَل جيداً، وفنجان قديم أحاطت به القذارة داخل مغسلة ربما شرب منه شخص توفى الآن مشروباً ما؟

ماذا توقعت أنْ يحدث؟ هل اعتقدت، كما في قصةٍ اختُلِقَتْ لتسلية

Twitter: @ketab_n

الناس، أنهـا ستتقدَّم من منزل والدها وإذا بالمنزل يُضاء على الفور كأنما بمصباحِ طاولةٍ ضخم، وينفض عنه فجأةً ظلامه متوهجاً ويُضيء الريف المجـاور كلـه منه، وينفتــح بابه وكأنمـا بفعل السحـر وتنحني أكمات الـورد لها وتقدِم لها ورودها وهــي تسير على الممر في الحديقة؟ ما هي السعـادة؟ ما هي النهاية؟ إنهـا منذ سنين عديدة وهــي ترفض السعادة وتتجنّب النهايات الحقيقية، إلى أنْ فتحت الباب الأمامي لمنزلها الخالي، وخزاناتهـا المجرّدة من أبوابها، وجدرانهـا الخالية من الصور والغرف الفارغة، ولا أثر لأي شــيء منها، لا شيء يُثبت أنَّ إيف سمارت، كائناً مَنْ كانت، كانت موجودة هنا أصلاً.

رأت ولديهـا بوضــوح، وكأنها تطـير فوقهما، وكأنهـا أحد تلك الغربـان السـوداء في غرانـد كانيون تطـير فوقهما. من هنـا يمكنها أنْ تـرى أنَّ كلاً منهما يسير في طريـق منفصلة، على خريطتين منفصلتين، والخريطتــان مجـرد رسوم تخطيطيــة، كخرائط بيانيّــة في دليل هايواي كـود للطرقات تفسّر لنا كيف تعمل تقاطعات الطرق. مئات من تقاطع الطرق تلك واحتمــالات اتّصالها ببعض كلها تمتد أمامهما كشبكة من نقــاط التلاقي المُضيئة. ولكن مـع وصول كل منهمــا إلى نقطة الالتقاء التاليــة الواضحة واتّخاذه قراره حول المنعطـف الذي يجب أنْ يتخذ، يغمــر الظلام مناطق شاسعــة كاملة من الخريطتــين. والأسوأ من ذلك، الخريطتان ليستا إلا من الـورق بسُمك ورق الصحف، نُصِبتا كأفخاخ الحيوانات فوق حفرة عميقة بمقدار ميل. وفي أي لحظة، إذا ما وطأ أي من ولديها بقوة أو وضع قدمــاً خاطئة، قد تتمزق الخريطتان أو تنبعج، أو ربما يذروها الهواء ببساطة.

ولكــن حينئذٍ، أمام عينــيّ إيف، قفزت قطة ضخمــة، قطة برية من

Twitter: @ketab_n

نــوعٍ ما، عبر الطريق المُنــار بضوء القمر إلى العشــب النامي أمام المنزل الخــالي. كان يتدلى من فمها أرنب أو مخلوق صغير من نوع ما ميتاً. لقد رأت إيــف واقفة في مدخل المنزل، فتوقفــت على بُعد بضعة أقدام منها ونظرت إليها.

ثم أدارت رأسها وتابعت طريقها بإيقاع الخطى غير المبالي نفسه عبر المرج نحو الطريق الخلفية، واختفت داخل الأشجار.

قالت إيف لنفسها «اللعنة».

نهضــت عن مجلسها فيَ المدخل المسقوف ونظرتْ لترى إنْ كان في استطاعتها أنْ ترى إلى أين ذهبت. لا أثر لها. ولا شيء، أيضاً، يدل على أنَّ ذلــك حصل حقاً، لكنــه حصل، إنها متأكّــدة، بسبب الطريقة التي كان يضــرب بها قلبها صدرَها. إنها لم تشاهد أبداً، اللهم إلا في حديقة الحيــوان أو في الصور والأفلام السينمائيــة، قطة حقيقية أكبر من القطة المنزلية. كان ذَكَراً، أو كوغراً [٨٩]، أو شيئاً لا تعرف اسمه، كبيراً بحجم كلب ضخم، له فــرو كثّ ظاهر على ذؤابتي أذنيه. كانت نظرته هادئة ومحسوبة. كانت خمس ثوانٍ طويلة كاملة.

عــادت عبر العشــب إلى سيارتها. ولجتها. أسقطــتْ الصحيفة على مقعــد المسافرين ومدّت يدها لتشغّل المُحرّك وتعــود إلى نيويورك على الطريق السريعة التي تفوح برائحة الظربان وإطارات السيارات المحترقة.

لكنها بــدل ذلك أراحت رأسهــا على المقود. فكّــرت في أستريد،

---

٨٩ – الكوغر؛ أو الأسد الأميركي.

Twitter: @ketab_n

ابنتهـا، وفي ماغنوس، ابنهـا. تخيّلتهما هنا معها في السيـارة، أستريد المتذمرة والمزعجة في الخلف، وماغنوس يعبث بمفتاح الراديو أو يُحدّق إلى سمـاء الليل من خلال حاجب الريـح في المقدمة. تخيّلت أنها تقود ببـطء بقدر كاف على أحد تلك الطرق الخلفية وأنَّ أمامهم، على الجهة المقابلة من الشارع، ذلك القط البري بمخالبه الكبيرة.

كان جديراً بأستريد أنْ تحبّه.

كان ماغنوس سيعرف بالضبط نوع ذلك القط.

أغفت وهـي في مقعد السائق وعندما أفاقت مـن جديد كان هناك ضوء.

قالت إيف: «مرحبا».

كانـت المرأة لطيفة لكنها مرتبكة. تُمسـك بكلب عجوز من طوقه. كانـت شقراء، نحيلة، أنيقة الملبس وعِدائيـة بصورة استثنائية إلى درجة أنَّ إيف وجدت نفسها تتراجع خطوة بعيداً عن الباب المفتوح.

قالت المرأة: «لقد تأخرتِ».

قالت إيف: «أحقاً؟».

قالت المـرأة: «توقعتُ وصولك في الثامنـة بالضبط. في المرة التالية استخدمي الباب الخلفي. هذا هو الباب الأمامي»، ثم صاحت «ريبيكا، انزلي إلى هنا وخذي الكلب».

هبطـت فتاة صغـيرة شقراء ترتـدي قميصاً رياضيـاً وبنطلون جينز الدَرج خلف المرأة وانسابت مارة بها من دون أنْ تلمسها.

Twitter: @ketab_n

قالت إيف للفتاة: «مرحبا».

جـرّت الفتاة الكلب العجوز إلى الخارج متجـاوزة إيف وانعطفت حـول المنزل الشاسع. كانت المـرأة قد استـدارت، ومشتْ على طول رواق المنـزل ثم توقفـتْ. وأثارت ضجيجـاً ساخطاً. تبعتهـا إيف إلى داخل المنزل.

قالت المرأة ولا يزال ظهرها لإيف وتسير على طول الرواق متجاوزة الـدَرَج، الذي يتجه عالياً كما في الأفـلام السينمائية، «أريد أنْ أوضِّح رسمياً أني لا أجد أنَّ تأخير ساعة أمر مقبول بأي حال من الأحوال. أنا لســت شخصاً غير متساهل، ولكن لدي معايير وأتوقع منكِ أنْ تتقيدي بها».

بـدأتْ بضـع جُمل تتكـون في رأسـ إيـف، خلاصتها «*مَـنْ أنتِ بالضـبط*» و«*أنا لســت التي*». ولكن فجأة، وبدل أنْ تقـول أياً من تلك الجُمل، قالت:

«ماذا لو أخبرتكِ أنَّ سيارتي تعطّلتْ؟».

قالت المرأة: «إنَّ ما حصل لسيارتكليس مشكلتي».

كان المطبـخ الذي وقفتا فيه فسيحاً. هناك مجموعة من المدافئ تغطي الجـدار كله، نضد بار مُد عليه طعام إفطـار وأطباق في كل مكان وثمة مزيـد من الأطبـاق في المغسلة. تكلّمت المـرأة دون أنْ تنظر مباشرة إلى إيف. وجّهتْ كلامها إلى بقعة تقع إلى اليمين من أعلى رأس إيف بست بوصات.

Twitter: @ketab_n

قالـت المـرأة: «هنا، غاسـلات أطباق. هنـا، مواد تنظيـف. أوعية الطبخ. مواد تنظيف الأرضية والأسطح. هنا. المؤونة التي طلبتها الوكالة موجودة في قبو الغسيل، وعليكِ أنْ تحضري كل شيء آخر تحتاجين إليه معـك. وعليك أنْ تناقشي خطة العمـل مع بوب في الوكالة. إذا أردتِ أنْ تريني نسختك يمكننا أنْ نتناقش بشأنها».

قالت إيف: «أخشى أني لا أعلم أي شيء عن خطتك في العمل».

«لا تعرفين أي شيء عنها؟».

بدت المرأة مذهولة، ثم حانقة، ثم خائبة الأمل إلى أقصى مدى حتى أنَّ إيف شعرتْ بالرثاء لأجلها.

تنهدت. «حسن، أنتِ في حاجة إلى التحدث مع بوب في الوكالة»، ثم قالت «ما اسمك؟».

قالت إيف: «اسمي إيف».

هتـف صوت طفلـة من مكانٍ مـا أبعد من خلفية المنـزل «وصلت الخادمة المُساعدة».

هتفت المرأة مُجيبة: «إني أراها بعينيّ شكراً جزيلاً لك يا ريبيكا»، ثم قالت: «وكيف تحبين قهوتك يا ستيف؟».

قالت إيـف «أوه، هذا لطيف. جميل. كثيفـة، شكراً لكِ، وسادة. شكراً».

صبّـت المرأة بعض القهـوة من إبريق في كـوب نظيف. وأفرغت القهـوة مـن ذلك الكـوب في كوبٍ آخـر. وضعت الكـوب الأول

Twitter: @ketab_n

الفارغ، ولا يزال البخار ينبعث منه، أمام إيف وأومأت باتجاه آلة غسل الأطباق.

قالت المرأة: «جوابي على ذلك السؤال هو، لن تشربي قهوتك أبداً. ليس وأنا على قيد الحياة».

ثم غادرتْ المطبخ، حاملة القهوة التي في الكوب الثاني وخرجت أمامها وكأنما بانتصارٍ احتفاليّ.

بدأتْ إيف تضحك. أخذت تكدس الأطباق من المغسلة داخل أول آلة لغسل الأطباق مفتوحة إلى أنْ عادت المرأة إلى الظهور في المطبخ. كان عنقها، تحت وجهها المتبرّج، شديد الاحمرار، وبرفقتها امرأة لاتينية شابة إلى جوارها طفلان أشقران؛ إنهاالفتاة نفسها التي كان الكلب برفقتها مع صبي أصغر منها ببضعة أعوام بدا أقرب شبهاً بقزم متخلف عقلياً في فيلم ديزني عن «بياض الثلج».

تقدّمت المرأة وأمسكت بكلتا يديّ إيف.

قالت المرأة: «ستيف، أنا في حالة فظيعة من الارتباك. أكاد لا أُصدِّق أني».

قالت إيف للمرأة اللاتينية: «لقد ملأتُ آلة غسل الأطباق. آمل أني أحسنت العمل، ولكنها تبدو متشابهة في أرجاء العالم كله، أليس كذلك، أعني آلات غسل الأطباق؟».

لم تنطُق المرأة اللاتينية بأي كلمة. طأطأت برأسها إلى الأرض، ملتبسة. لقد كان لديها ما يكفي من المشاكل أصلاً.

Twitter: @ketab_n

قالت المرأة: «خذي ضيفتنا إلى غرفة الجلوس الرئيسة، من فضلك، يا ريبيكا».

سأل الصبي: «لماذا اسمها ستيف؟ لماذا تحمل اسم رجل؟».

قالت المرأة: «نيثان، يا أعزّ حبيب، اذهب إلى غرفة العائلة وشاهد التلفاز».

تبعت إيف الفتاة عائدة إلى الرواق.

قالت الفتاة: «هذه هي الردهة. وهذا مطلع الدَرَج. هذه غرفة الجلوس الرئيسة. لدينا ثلاث غرف جلوس أخرى في الطابق الأرضي. إذا أردتِ أنْ تشاهديها يمكنك أنْ تفعلي».

قالت إيف: «تكفي غرفة الجلوس الرئيسة، شكراً لك».

قالت الفتاة وهي تلوح بيدها نحو أريكة كبيرة بقدر كافٍ لتتسع لخمسة أشخاص أو ستة: «يمكنكِ أنْ تجلسي هناك».

قالت إيف: «شكراً لك». خلعت حذاءها برفسه. قالت: «أخبريني شيئاً، يا ريبيكا».

كانت الفتاة تراقب إيف من أريكة تشبه تلك التي تجلس إيف عليها، في الجهة النائية المقابلة من الغرفة. نظرت إلى حذاء إيف. ونظرت إلى قدَميّ إيف. ونظرت إلى إيف وكأنَّ إيف مخلوق عجيب من السيرك.

قالت إيف: «لقد كنتُ مسافرة. قطعتُ مسافة طويلة. ساعديني في الإجابة عن سؤال. مَن الذي يُقيم في ذلك المنزل الصغير، ذاك الذي يبدو متداعياً قليلاً، على الطريق؟».

Twitter: @ketab_n

تظاهرت الفتاة بأنها لم تسمع. فتحت كتاباً وتظاهرت بالقراءة.

قالت إيف: «نساء صغيرات. أيهنّ أنتِ، إذن؟ المتزوجة، الغُلاميّة، التافهة أم الميتة[90]؟».

انفجرت الفتاة بالضحك، ثم عاد الصمت يرين من جديد.

قالت إيف: «هل لديك أي فكرة مَنْ كان يُقيم في ذلك المنزل؟ أو مَنْ يُقيم فيه الآن؟».

بادلتها الفتاة النظر. هزّت كتفيها نفياً.

قالت إيف: «شكراً لك. ساعدتني كثيراً».

الأريكة التي كانت تجلس عليها كانت تواجه جداراً من زجاج يطلُّ على مصطبة مُوزَّعٌ عليه متكئات خشبية تنم عن ذوق راقٍ أمام امتداد من العشب يبدو كنموذج مُصغَّر لمتنزّه لندن، وأخيراً، خلف ذلك، هناك أحد حقول الخيول المثالية.

سألت إيف: «هل تُعنى أمك بهذه الخيول؟».

قالت الفتاة دون رفع بصرها عن كتابها: «لدينا أناس يعتنون بخيولنا. أمي مُهندسة معمارية. هي التي صممت هذا المنزل».

قالت إيف: «إنَّ أمك بنت حرام فظيعة قادمة من الجحيم».

أفلتت نظرة من وجه الفتاة. حدَّقتْ الفتاة إلى إيف، فاغرة فمها.

---

٩٠ - تقصد شخصيات الفتيات الثلاث في رواية «نساء صغيرات». - المترجم.

Twitter: @ketab_n

قالت إيف: «ها ها. ولكن هذا صحيح. أنتِ تعلمين أنه صحيح».

قالت المرأة: «ما هو الصحيح ومَنْ التي تعلم؟».

كانـتْ قد ولجتْ الغرفة حاملة صينية مترعة بالأكواب، والصِحاف مـع رقائق الخبـز، والبسكويت، والجـبن، وطبقات رفيعـة من اللحم. وبيدها الأخرى حملت إبريق القهوة نفسه من المطبخ.

قالت الفتاة: «لا شيء. لا أحد».

بدت مرعوبة.

قالت المرأة: «قهوة؟».

قالـت إيـف: «لا أدري إنْ كان يُسمـح لي بشـرب قهوتك حسب توقيت».

نفحت المرأة إيف ابتسامة دافئة ومؤتمنة.

قالت الفتاة: «أمي، هل تسمحين لي بأخذ صني إلى الغابة؟.

قالـت المـرأة: «أبقِه بعيـداً عـن إوز آل دنلوب، يا ريبيـكا. ولدى عودتك، سوف يتوجب عليك أنْ ترتبي مظهرك بدرجة كبيرة».

غادرت الفتاة الغرفة.

قالت المرأة: «أنتِ مثلي. تشربينها كثيفة وسادة».

قالت إيف: «تذكّرتِ».

قالـت المرأة: «أخشى أنَّ جيري لن يصل حتى وقت متأخر جداً من

Twitter: @ketab_n

بعد ظهيرة هــذا اليوم. عليه أنْ يقلّ أكبر أولاده من المدرسة. في الحقيقة لقــد أقمنا حفل عيد مولد ريتشارد الثامن عشر هنا في الخريف الفائت، ومع ذلك لا أتذكّر أنكِ كنتِ موجودة في تلك المناسبة».

قالت إيف: «كلا، لعلي كنتُ في أوروبا في ذلك الوقت».

شاهــدت من زاوية عينها الفتاة تتلصّص عليهما من خلال النافذة، من خلف حافة الجـدار الخارجي. وعندما أدركت الفتاة أنها شوهدتْ تراجعت وابتعدت عن الأنظار.

كانت المرأة تقــول: «الحقيقة هي أنكِ ظهرتِ في وقت مُبكّر جداً، جــداً. ولأكون صادقة معك نحن لا نستقبل أحداً حتى مساء هذا اليوم على أقرب تقدير وغالبية الناس يصلون في وقتٍ متأخّر غداً».

قالت إيف: «هذه أنا باختصار. أولاً أتأخر، ثم أصل باكراً».

قالت المرأة: «وهذا يفسّر زلّتي. من جديد، أرجو أنْ تغفري لي».

قالت إيف: «كلا. إنها لا تُغتَفَر، أعني طريقة سلوكك. وليس فقط بالنسبة إليّ».

انتظــرت المرأة إيــف كي تضحك. عندما لم تفعــل إيف، ضحكت هي مع ذلك.

قالت: «حسن، يا ستيف، شيء عظيم أنْ تأتي إلى هنا. أخشى أنَّ بين يدي جدول أعمال مُكثّفاً جداً، ولكن يمكنك أنْ تستريحي في غرفتكِ حتى وقت متأخر، أو أنْ تفعلي ما تشائين، استكشفي أي مكان - أوه! هل سمعتكِ تقولين إنَّ لديك مشكلة في سيارتك؟».

Twitter: @ketab_n

قالـت إيف: «إنهـا في الطريق. تركتهـا بجوار أول منـزل، المنزل المحاذي للمستنقع».

قالت المرأة: «إنَّ لكنتكِ ممتازة».

قالت إيف: «شكراً لك».

قالـت المرأة: «إنها كلاسيكية جـداً. وكأنها - وكأنها - لا أستطيع أنْ أقول بالضبط ماذا تشبه -».

قالت إيف: «وكأنكِ تستمعين إلى الـ BBC؟».

قالت المرأة: «نعم. الـ BBC».

عندمـا غادرت المرأة الغرفة أقحمت إيـف أكبر كم من الأطعمة في الأطباق داخل جيبي بنطلونها الجينز وجيوب سترتها قبل أنْ تأتي امرأة لاتينيـة أكـبر سناً مختلفة حاملـة كمية كبيرة مما بدا أنهـا مناشف جديدة بيضـاء، وتصطحبهـا وترتقي معها الـدرج وتسيران علـى طول الممر الزجاجي بتصميمه الحديث، ثم على طول المزيد من الأروقة التقليدية. وقـادت إيـف من خـلال أحد الأبـواب. وتركت المناشـف على أحد الكراسي في الحمّام البرّاق المُلحق بالغرفة.

قالت إيف: «شكراً لك».

قالت المرأة اللاتينية: «أهلاً بك ومرحباً، يا سيدتي».

أغلقت الباب خلفها. الضجيج الذي أصدره الباب وهو ينغلق كان مهذّباً.

وقفـت إيف في وسط الغرفة وأعدّتْ شطيرة من اللُقَم التي وضعتها

Twitter: @ketab_n

في جيوبهـا. وأكلتها. وصنعت أخـرى. وأكلتها. ونسّقت ما تبقّى من طعام على الطاولة المجاورة للسرير.

كانـت الغرفـة هزيلة الأثـاث على الطريقـة الحديثـة. كانت تحتوي مروحـة كهربائية ضخمها في سقفها، وجدرانها مبطّنة بالخشب؛ المنزل برمّته كان يفوح برائحة هـذا الخشب الطيبة. أحد الجدران كان يحتوي نافذتين تطلان على بركة سباحة، ومجموعة من الإسطبلات وحقل شديد النُضرة إلى درجة مُبهرة. وعلى الجدران الأخرى عُلِّقتْ صور فوتوغرافية لأناسٍ مع جياد، أو لأناس على صهوات الجياد. تعرّفت إيف على المرأة الشقراء في ثلاثٍ منها. كانت مع رجل، شديد الوسامة، وغير مبتسم.

إنه جيري.

الفتـاة كانـت في واحدة فقط مـن الصور. كانت أصغـر سناً بكثير ومرحة بصورة تكاد لا تُلاحَظ.

الصـور الأخـرى كانت كلها لقطـات للصبي الصغـير البليد الذي يرتـدي زي الكاوبوي، مع المسدسـات والصدرية والقبعـة العريضة، على صهوة مهر أبيض العرف كان كبيراً جداً عليه.

لم تكـن هناك أية صـورة لأي شخص يُعادل ريتشـارد (١٨ عاماً) الذي سيُقلّ من المدرسة بعد ظهيرة هذا اليوم. قالت إيف في نفسها، إنه ابن من زواج سابق.

صنعـت شطيرة أخرى من شرائح الطعـام والخبز، وأكلتها. جلستْ على حافة سرير مُرتَّب ترتيباً مثالياً.

ثم قرّرت أنْ تنام في السيارة.

Twitter: @ketab_n

لقد وُلِدتُ. وما إلى ذلك. أمي وأبي. إلى آخره.

لا عليك من هذا. تخيَّل أجمل القصور قاطبة. أجمل قصر في العالم. والآن تخيَّلـه مُضاعفاً. إنه قصر مصنوع من قصور. قصوره هي أقراص عسـل بطبقات مـن الحجارة والنـور. هناك أفنيـة، وأقواس، وممرات، وغرف كاملة من النجوم المتلألئـة، لأنَّ الصنّاع المهرة قدّوا النجوم من الصخور قبل مئات السنـين والشمس لا تزال تنثر نجوماً على أرضيات وجدران القصور كلها. هناك نافورة جميلة. وأسود من حجارة تحملها على ظهورها. وهناك سقف يُشبه السماء مصنوع من كسارة منحنيات الضـوء. عن بُعـد تبدو الجدران كأنها مصنوعة مـن تخريم معقّد. وعن قُـرب تستطيـع أنْ ترى التخـريم المُعقّدمصنوع من حجـارة. وثمة يد ومن ثم مفتاح محفـوران في أقواس بوابة. وعلى جدران القصر حُفِرت الكلمات: لا غالب إلا الله.

هـذا حقيقي! إنـه موجود في إسبانيـا. احجز مكاناً باكـراً، الزمن مُحـدَّد. في كل ساعة يُشاهده ثلاثمئـة وخمسون شخصاً. بعض أجزائه عمرهـا أكثر من ألف عـام. المخرج السينمائـي راي هاريهاوزن صوّر الكثير من فيلم «*الرحلة السـابعة للسـندباد*» فيه لأنه يُشبه بغداد القديمة. إنـه مغربي. عربي. بربري. مسلم. أضحى أطلالاً. فرمموه. وكان بقدرٍ

Twitter: @ketab_n

قليـل جداً يهوديـاً. وكان بقدرٍ قليل جـداً غجرياً. وطـرد المسيحيون المسلمين. واحتل الكاثوليك القصر لكنهم وضعوا كنيسة فوق الجامع. الشعراء أحبوه. الكُتّاب أحبّـوه. الرسّامون أحبّوه. سياح القرن التاسع عشـر أحبّوه. اقتطعوا قِطعاً صغيرة مـن أسواره وأخذوا بعضاً منه معهم إلى الوطـن. الكاتـب جون رسكن قال إنه أبعد مـا يكون عن المسيحية بحيث يكون فناً. المُصمم والمهندس المعماري أوين جونز قام بدراسته، ثـم بنى لنفسه قصراً على غراره. القصـر لم يدُم. احترقَ في نهاية الأمر. الذين بنوا دور السينمـا أعطوا أسماءهم لبعض تلك الدور. كتلك التي وُلِدتُ فيها. وها نحن الآن عدنا إلى البداية.

إنه الجنة على الأرض. قصر الحمراء.

إنه ذروة سلسلة الجبال ولكن لا يزال عربة نقل تتسع لسبعة أشخاص بخمسة أبواب ويمكن تحمّل تكاليفها بمحرّك يتسع لـ ٢،٨ ليتر يمكنه أنْ يقطع من ٠ – ٦٢ في ٩،٩ ثانية.

إنه قصر في الشمس.

إنـه دار سينما قديمة ومتداعية مزدحمة بمـادة فيلمية قابلة الاشتعال. ألديك ولاعة؟ هل ترى؟ انتبه. أنا كل ما حلمتَ مرة به.

– انتهـى –

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

آلي سميث كاتبة اسكتلندية، ولدت في إنفرنس عام 1962 لأبوين من الطبقة العاملة، وفي منزل هو إعانة من مجلس المدينة. التحقت بجامعة أبردين، ثم بجامعة نيونهام في كمبريدج، لكنها لم تُكمل دراستها للحصول على درجة الدكتوراه. وعملتْ كمُحاضرة في جامعة ستراثيكلايد، إلى أنْ بدأتْ تظهر عليها علامات الإصابة بالتعب المزمن، فتركت العمل وتفرّغت للكتابة. وهي الآن تساهم بمقالات في الغارديان

والسكوتسمان وفي الملحق الأدبي لصحيفة التايمز. هي عضو في جمعية الأدب الملكية. نالت عدداً من الجوائز على كتبها، منها جائزة إنكور على رواية «فندق العالم»، وجائزة مجلس الفنون الاسكتلندية، ورُشّحت لجائزة الأدب وجائزة مان بوكر. وفي عام 2005 نالت جائزة وايتبريد.

بدأتْ أمي بصناعتي ذات ليلةٍ من عام 1968 على طاولةٍ في مقهى دار السينما الوحيدة في البلدة. على مسافة بضع دَرَجات سلّم، خلف المخمل الأحمر البسيط لستارة الشرفة، كانت مرشدة النظّارة تتثاءب، تؤرجح المصباح المُطفأ، وهي متّكئة بمرفقها فوق الحفيف والثرثرة الصادرة عن الصف الخلفي وتعبث بخشب الحاجز الفاصل،ناقرة قطعاً صغيرة منه على رؤوس أهل البلدة الصغيرة في الظلام. وعلى الشاشة فوقهم كان يُعرَض فيلم «المسكينة»، من بطولة تيرينس ستامب، وهو ممثل ذو موهبة هائلة حتى إنَّ أمي، الشابة، الأنيقة، النحيلة والمهيبة.

ISBN 978-2-843090-64-6

9 782843 090646